

الجزء العشرون
من كتاب الأغاني



شركة أبناء شريف الأنصاري
للطباعة والنشر والتوزيع
صيدا - بيروت - لبنان

• **المكتبة الحضرية**

الخندق العميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥

تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١

بيروت - لبنان

• **الدار الشامية للطباعة**

الخندق العميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥

تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١

بيروت - لبنان

• **الطبعة الحضرية**

بوليفار نزيه البرزي - ص.ب: ٢٢١

تلفاكس: ٧٢٠٦٢٤ - ٧٢٩٢٥٩ - ٧٢٩٢٦١ ٧ ٠٠٩٦١

صيدا - لبنان

الطبعة الأولى

٢٠١١م - ١٤٣٢هـ

جميع حقوق هذه الطبعة محفوظة للناشر

حقوق التأليف والاعداد محفوظة لدار ابن الأثير/جامعة الموصل
لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو اختزان
مادته بطريقة الاسترجاع أو نقله على أي نحو أو
بأي طريقة، سواء كانت الكترونية أو بالتصوير،
أو التسجيل، أو خلاف ذلك، إلا بموافقة كتابية من
الناشر مقدما.

alassrya@terra.net.lb

E. Mail alassrya@cyberia.net.lb

info@alassrya.com

موقعنا على الإنترنت

www.almaktaba-alassrya.com

أخبار أبي نواس وجنان خاصة

إذ كانت أخباره قد أفردت خاصة

نسب جنان وحب أبي نواس لها:

كانت جنان هذه جارية آل عبد الوهّاب بن عبد المجيد الثقفي المحدث، الذي كان ابنُ مُناذرٍ يصحب ابنه عبد المجيد، ورثاه بعد وفاته، وقد مضت أخبارهما، وكانت حلوة جميلة المنظر أديبة، ويُقال: إن أبا نواس لم يصدق في حبه امرأةً غيرها.

أبو نواس يحجّ من أجلها:

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثني إسحاق بن محمد، عن أبي هفّان، عن أصحاب أبي نواس، قالوا:

كانت جنان جارية حسناء أديبة، عاقلة ظريفة، تعرف الأخبار، وتروي الأشعار، قال اليويو خاصة: وكانت لبعض الثقفين بالبصرة، فرأها أبو نواس فاستحلاها، وقال فيها أشعاراً كثيرة، فقلت له يوماً: إن جنان قد عزمت على الحجّ، فكان هذا سبب حجّه، وقال: أما والله لا يفوتني المسيرُ معها والحجّ عامي هذا إن أقامت على عزمِتها، فظننته عابثاً مازحاً، فسبقها والله إلى الخروج بعد أن علم أنها خارجة، وما كان نوى الحجّ، ولا أحدث عزمه إلا خروجها، وقال وقد حجّ وعاد:

ألم تر أنّني أفنيت عمري بمطلبها، ومطلبها عسيرٌ
فلما لم أجد سبباً إليها يُقرّبني وأعيّتني الأمورُ
حججتُ، وقلت: قد حجت جناناً فيجمعني وإياها المسيرُ
[الوافر]

أبو نواس يلبي بشعر ويحدو به ويطرب:

قال اليويو: فحدثني من شهبه لما حجّ مع جنان، وقد أحرم، فلما جنّه الليلُ جعل يُلبي بشعر، ويحدو به ويطرب، فغنى به كل من سمعه، وهو قوله:

إِلْهِنَا مَا أَعْدَلَكُ مَلِيكَ كُلِّ مَنْ مَلَكُ
لَبِيكَ قَدْ لَبَّيْتُ لَكَ لَبِيكَ إِنَّ الْحَمْدَ لَكَ
وَالْمَلِكُ لَا شَرِيكَ لَكَ وَاللَّيْلَ لَمَّا أَنْ حَلَكُ^(١)
وَالسَّابِحَاتِ فِي الْفَلَكَ عَلَى مَجَارِي الْمَنَسَلِكُ
مَا خَابَ عَبْدٌ أَمْلَكَ أَنْتَ لَهُ حَيْثُ سَلَكَ
لَوْلَاكَ يَارَبُّ هَلَكُ كُلُّ نَبِيٍّ وَمَلَكُ
وَكُلُّ مَنْ أَهْلَ لَكَ سَبَّحَ أَوْ لَبَّى فَلَكَ
يَا مَخْطِئاً مَا أَغْفَلَكَ عَجَّلَ وَبَادِرُ أَجَلَكَ
وَاخْتِمَ بِخَيْرِ عَمَلِكَ لَبِيكَ إِنْ الْمَلِكُ لَكَ
وَالْحَمْدُ وَالنَّعْمَةُ لَكَ وَالْعِزُّ لَا شَرِيكَ لَكَ

[مجزوء الرجز]

أَبُو نَوَاسٍ يَذْكُرُ جِنَانَ :

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عِمَارٍ وَأَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوْهَرِيُّ قَالَا :
حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شُبَّةَ، قَالَ :

كَانَتْ جِنَانُ الَّتِي يَذْكُرُهَا أَبُو نَوَاسٍ جَارِيَةً لَأَلِ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ عَبْدِ الْمَجِيدِ
الثَّقَفِيِّ، وَفِيهَا يَقُولُ :

جَفَنُ عَيْنِي قَدْ كَادَ يَسْقُ ط مِنْ طُولِ مَا اخْتَلَجُ
وَفُؤَادِي مِنْ حَرِّ حُبِّكَ وَالْهَجْرُ قَدْ نَضِجُ وَفُؤَادِي مِنْ حَرِّ حُبِّكَ وَالْهَجْرُ قَدْ نَضِجُ
خَبَّرَنِي فَدَتِكَ نَفْسُ ي وَأَهْلِي مَتَى الْفَرَجُ؟!
كَانَ مِيعَادِنَا خَرُو جُ زِيَادٍ فَقَدْ خَرَجُ
أَنْتَ مِنْ قَتْلِ عَائِدِ بَكَ فِي أَضْيَاقِ الْحَرْجُ

[مجزوء الخفيف]

حَسْبُوهَا الْعُرُوسُ حِينَ رَأَوْهَا :

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عِمَارٍ، قَالَ : حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّخْعِيُّ،
قَالَ : حَدَّثَنِي الْجَمَّازُ، قَالَ ابْنُ عِمَارٍ : وَحَدَّثَنِي بِهِ قَلِيبُ بْنُ عَيْسَى قَالَ :

(١) حلك الليل : اشتدَّت ظلمته .

كانت جنان قد شهدت عرساً في جوار أبي نواس، فانصرفت منه وهو جالس معنا، فراها، فأنشدنا بديهاً قوله:

شهدت جلوة العروس جناناً فاستمالت بحسنها النظارة
حسبوها العروس حين رأوها فإليها دون العروس الإشارة
قال أهل العروس حين رأوها: مادهاناً بها سواك عمارة
قال: وعامرة: زوج عبد الرحمن الثقفي، وهي مولاة جنان. [الخفيف]

جنان تخيب أمل أبي نواس:

أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ ومحمد بن خلف، قالوا: حدثنا يزيد بن محمد بن عمر، قال:

غضبت جنان من كلام كلمها به أبو نواس، فأرسل يعتذر إليها، فقالت للرسول: قل له: لا برح الهجران ربك ولا بلغت أملك من أحببتك، فرجع الرسول إليه، فسأله عن جوابها فلم يخبره، فقال:

فديتك فيم عتبك من كلام نطقته به على وجه جميل
وقولك للرسول: عليك غيري فليس إلى التواصل من سبيل
فقد جاء الرسول له انكسار وحال ما عليها من قبول
ولوردت جنان مردّ خير تبين ذاك في وجه الرسول
[الوافر]

أبو نواس يُعاتب جنان حتى يستميلها:

قال أبو خالد يزيد بن محمد: وكان أبو نواس صادقاً في محبته جنان من بين من كان ينسب به من النساء ويُداعبه، ورأيت أصحابنا جميعاً يصححون ذاك عنه، وكان لها محباً، ولم تكن تُحبه، فمما عاتبها به - حتى استمالها بصحة حبه لها، فصارت تُحبه بعد بُوّها عنه - قوله:

جنان إن جدت يا مُنّاي بما أمل لم تقطّر السماء دماً
وإن تماديت ولا تماديت في منعك أصبح بقفرة رماً
علقت من لو أتى على أنف الم اضين والغابرين ما ندماً
لو نظرت عينه إلى حجر ولد فيه فتورها سقماً
[المنسرح]

أَبُو نُوَّاسٍ يَسِرُّ لَأَنَّ جِنَانَ ذَكَرَتْهُ :

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ النَّحْوِيِّ صِهرَ الْمُبَرَّدِ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ، عَنْ أَبِي هَفَانٍ، عَنِ الْجَمَّازِ، وَأَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الصُّوْلِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَوْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي الْجَمَّازُ، قَالَ:

كُنْتُ عِنْدَ أَبِي نُوَّاسٍ جَالِسًا، إِذْ مَرَّتْ بِنَا امْرَأَةٌ مِمَّنْ يَدَاخِلُ الثَّقَفِيِّينَ، فَسَأَلَهَا عَنْ جِنَانَ، وَأَلْحَفَهَا^(١) فِي الْمَسْأَلَةِ، وَاسْتَقْصَى، فَأَخْبَرْتَهُ خَبَرَهَا، وَقَالَتْ: قَدْ سَمِعْتُهَا تَقُولُ لَصَاحِبَةِ لَهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ تَعْلَمَ أَنِّي أَسْمَعُ: وَيَحْكُ قَدْ آذَانِي هَذَا الْفَتَى وَأَبْرَمَنِي، وَأَخْرَجَ صَدْرِي، وَضَيَّقَ عَلَيَّ الطَّرِيقَ بِحِدَّةِ نَظَرِهِ وَتَهْتِكِهِ، فَقَدْ لَهَجَ قَلْبِي بِذِكْرِهِ وَالْفِكْرِ فِيهِ مِنْ كَثْرَةِ فَعْلِهِ لَذَلِكَ حَتَّى رَحِمْتُهُ، ثُمَّ التَفَتْتُ فَأَمْسَكَتُ عَنِ الْكَلَامِ، فَسُرَّ أَبُو نُوَّاسٍ بِذَلِكَ، فَلَمَّا قَامَتِ الْمَرْأَةُ أَنْشَأَ يَقُولُ:

يَا إِذَا الَّذِي عَنْ جِنَانَ ظَلَّ يُخْبِرُنَا	بِاللَّهِ قُلْ وَأَعِدْ يَا طَيِّبَ الْخَبَرِ
قَالَ، اشْتَكَيْتُكَ وَقَالَتْ مَا ابْتُلَيْتُ بِهِ	أَرَاهُ مِنْ حَيْثُ مَا أَقْبَلْتُ فِي أَثَرِي
وَيُعْمِلُ الطَّرْفَ نَحْوِي إِنْ مَرَرْتُ بِهِ	حَتَّى لِيُخْجَلَّنِي مِنْ حِدَّةِ النَّظَرِ
وَإِنْ وَقَفْتُ لَهُ كَيْمَا يَكْلَمَنِي	فِي الْمَوْضِعِ الْخَلُو لَمْ يَنْطِقْ مِنَ الْحَصْرِ ^(٢)
مَا زَالَ يَفْعَلُ بِي هَذَا وَيُذِمَّنِي	حَتَّى لَقَدْ صَارَ مِنْ هَمِي وَمِنْ وَطَرِي ^(٣)

[البسيط]

رِسَالَةُ جِنَانَ إِلَى أَبِي نُوَّاسٍ :

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عِمَارٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّوْفَلِيُّ، وَأَحْمَدُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ أَبِي شَيْخٍ، قَالَا: قَالَ ابْنُ عَائِشَةَ: وَأَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ وَابْنُ عِمَارٍ، عَنِ الْغَلَابِيِّ، عَنِ ابْنِ عَائِشَةَ، قَالَ ابْنُ عِمَارٍ: وَحَدَّثْتُ بِهِ عَنِ الْجَمَّازِ، وَذَكَرَهُ لِي مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ بْنِ الْجَرَّاحِ، عَنْ إِسْحَاقَ النَّخَعِيِّ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عَمِيرٍ.

أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ حَفْصِ بْنِ عَمَرَ التَّمِيمِيَّ - وَهُوَ أَبُو ابْنِ عَائِشَةَ - انْصَرَفَ مِنَ الْمَسْجِدِ، وَهُوَ يَتَوَلَّى الْقَضَاءَ، فَرَأَى أَبَا نُوَّاسٍ قَدْ خَلَا بِامْرَأَةٍ يَكْلَمُهَا.

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ عَمِيرٍ فِي خَبَرِهِ: وَكَانَتِ الْمَرْأَةُ قَدْ جَاءَتْهُ بِرِسَالَةِ جِنَانَ جَارِيَةٍ

(١) أَلْحَفَهَا فِي الْمَسْأَلَةِ: أَلَحَّ عَلَيْهَا فِي السُّؤَالِ.

(٢) الْحَصْرُ: عَدَمُ اسْتَطَاعَةِ الْمَرْءِ النُّطْقَ بِسَهُولَةٍ.

(٣) الْوَطَرُ: الْحَاجَةُ، النِّيَّةُ.

عمارة امرأة عبد الوهَّاب بن عبد المجيد، فمر به عمر بن عثمان التميمي، وهو قاضي البصرة.

هكذا ذكر أحمد بن عمير وحده.

وذكر الباقون جميعاً أنه محمد بن حفص.

قال الجماز: وكانت عليه ثياب بياض، وعلى رأسه قلنسوة مضرية^(١)، فقال له: اتقِ الله، قال: إنها حرمتي، قال: فضنها عن هذا الموضع، وانصرف عنه، فكتب إليه أبو نواس:

صوت

بَكَرًا أَكَلَّمَهَا رَسُولُ	إِنِ التَّي أَبْصَرْتَهَا
كَادَتْ لَهَا نَفْسِي تَسِيلُ	أَدَّتْ إِلَيَّ رِسَالَةَ
ذَبْ خَصْرَهُ رَذْفٌ ثَقِيلُ ^(٢)	مِنْ سَاحِرِ الْعَيْنَيْنِ يَجْـ
يَرْمِي وَلَيْسَ لَهُ رَسِيلُ ^(٣)	مَتَقَلَّدَ قَوْسَ الصَّبَا
حَتَّى تَسْمَعَ مَا نَقُولُ	فَلَوْ أَنَّ أَدْنَكَ بَيْنَنَا
أَمْرِي هُوَ الْأَمْرُ الْجَمِيلُ	لَرَأَيْتَ مَا اسْتَقْبَحَتْ مِنْ

[مجزوء الكامل]

في هذه الأبيات لحنان: من الرمل وخفيفه، كلاهما لأبي العباس بن حمدون.

القاضي لا يتعرّض للشعراء:

قال ابن عمير: ثم وجه بها فألقيت في الرّقاع بين يدي القاضي، فلما رآها ضحك وقال: إن كانت رسولاً فلا بأس.

وقال ابن عائشة في خبره: فجاءني برقعة فيها هذه الأبيات، وقال لي: ادفعها إلى أبيك، فأوصلتها إليه، ووضعتها بين يديه، فلما قرأها ضحك وقال: قل له: إني لا أتعرّض للشعراء.

قوله في أبي عثمان وأبي أمية:

حدثني علي بن سليمان الأخفش، قال: حدثنا محمد بن يزيد، قال: كان أبو

(١) المضربة من ألبة الرأس: قلنسوة ذات طاقين بينهما قطن.

(٢) ردف ثقيل: وركان عظيم.

(٣) الرسيل: هو من يشارك سواه في النضال.

عُثْمَانُ أَخَا مَوْلَى جِنَانٍ، وَكَانَ مَوْلَاهَا أَبُو أُمَيَّةَ زَوْجَ عُمَارَةَ وَهِيَ مَوْلَاتُهَا، وَكَانَتْ لَهُ بِحَكْمَانِ ضِيعَةٌ كَانَ يَنْزِلُهَا هُوَ وَابْنُ عَمٍّ لَهُ يُقَالُ لَهُ أَبُو مَيَّةَ، فَقَالَ أَبُو نُوَّاسٍ فِيهِ قَوْلُهُ:

أَسْأَلُ الْقَادِمِينَ مِنْ حَكْمَانَ كَيْفَ خَلَّفْتُمَا أَبَا عَثْمَانَ
وَأَبَا مَيَّةَ الْمُهَذَّبَ وَالْمَا جَدَّ وَالْمُرْتَجَى لِرَيْبِ الزَّمَانِ
فَيَقُولَانِ لِي: جِنَانٌ كَمَا سَرَّكَ فِي حَالِهَا فَسَلْ عَنْ جِنَانِ
مَا لَهُمْ لَا يُبَارِكُ اللَّهُ فِيهِمْ كَيْفَ لَمْ يُغْنِ عَنْهُمْ كِتْمَانِي
[الخفيف]

عبث خرج منه :

فَأَخْبَرَنِي ابْنُ عِمَارٍ قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ مَهْرُويَةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ الْكَاتِبَ، قَالَ:

كَنت جالساً بسر من رأى في شارع أبي أحمد، فَأَنْشَدَنِي قَوْلَ أَبِي نُوَّاسٍ:

أَسْأَلُ الْمُقْبِلِينَ مِنْ حَكْمَانَ كَيْفَ خَلَّفْتُمَا أَبَا عَثْمَانَ
[الخفيف]

وإِلَى جَانِبِي شَيْخٌ جَالِسٌ، فَضَحِكُ، فَقُلْتُ لَهُ: لَقَدْ ضَحَكْتَ مِنْ أَمْرٍ، فَقَالَ: أَجَلُ، أَنَا أَبُو عَثْمَانَ الَّذِي قَالَ أَبُو نُوَّاسٍ فِيهِ هَذَا الشَّعْرُ، وَأَبُو مَيَّةَ ابْنُ عَمِّي، وَجِنَانٌ جَارِيَةٌ أَخِي، وَلَمْ تَكُنْ فِي مَوْضِعِ عِشْقٍ، وَلَا كَانَ مَذْهَبُ أَبِي نُوَّاسٍ النِّسَاءَ، وَلَكِنَّهُ عَبَثٌ خَرَجَ مِنْهُ.

أَبُو نُوَّاسٍ يَأْخُذُ مَعْنَى النَّابِغَةِ الْجَعْدِيِّ :

أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ، قَالَ: قَالَ لِي أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ: قَالَ النَّابِغَةُ الْجَعْدِيُّ:

أَكْنِي بِغَيْرِ اسْمِهَا وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ خَفِيَّاتِ كُلِّ مُكْتَتَمٍ
[المنسرح]

وَهُوَ سَبَقَ النَّاسَ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى وَأَخَذُوهُ جَمِيعاً مِنْهُ، وَأَحْسَنُ مَنْ أَخَذَهُ أَبُو نُوَّاسٍ حَيْثُ يَقُولُ:

أَسْأَلُ الْمُقْبِلِينَ مِنْ حَكْمَانَ كَيْفَ خَلَّفْتُمَا أَبَا عَثْمَانَ
فَيَقُولَانِ لِي: جِنَانٌ كَمَا سَرَّكَ فِي حَالِهَا فَسَلْ عَنْ جِنَانِ
مَا لَهُمْ لَا يُبَارِكُ اللَّهُ فِيهِمْ كَيْفَ لَمْ يُغْنِ عَنْهُمْ كِتْمَانِي
[الخفيف]

أبو نواس يذكر مأتماً حضرته جنان :

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: أنشدني أحمد بن محمد بن صدقة الأنباري لأبي نواس يذكر مأتماً بالبصرة وحضرته جنان:

يا مُنْسِي المأتم أشجائه لمّا أتاهم في المعزينا
سرت قناع الوشى عن صورة^(١) ألبسها الله التحاسينا
فاستفتنتهن بتمثالها فهن للتكليف يبكينا
حقّ لذاك الوجه أن يزدهي^(٢) عن حزنه من كان محزوناً
[السريع]

جنان تلطم . . . وأبو نواس يتغزل!!

أخبرني عمي قال: حدثني إسحاق بن محمد النخعي، قال: حدثنا عبد الملك بن عمر بن أبان النخعي، وكان صديقاً لأبي نواس.

أن أبا نواس أشرف من دار على منزل عبد الوهاب الثقفي، وقد مات بعض أهله، وعندهم مأتم، وجنان واقفة مع النساء تلطم وجهها، في يديها خضاب فقال:

يا قمرأ أبرزه مأتم يندب شجوا^(٣) بين أتراب
يبكي فيذري الدر من عينه ويلطم الورد بعئاب
لا تبك ميثاً حل في حفرة وابك قتيلاً لك بالباب
أبرزه المأتم لي كارهأ برغم ديات وحجاب
لا زال موطأ دأب أحبابه ولا تزل رؤيته دابي
[السريع]

سفيان بن عيينة يعجب من قول أبي نواس :

فحدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: حدثني محمد بن عائشة، قال:

قال لي سفيان بن عيينة، لقد أحسن بصريكم هذا أبو نواس حيث يقول - وشدد الواو وفتح النون - :

(١) سرت قناع الوشى: خلعتة عن وجهها.

(٢) يزدهي: يفخر بما يزيته من جمال.

(٣) الشجو: الحزن.

يا قمرأً أبصرتُ في مأتَمٍ يندب شَجْواً بين أترابِ
يبكي فيُذري الدرَّ من عينه ويلطم الورد بعُئَابِ
[السريع]

قال: وجعل يعجب من قوله: ويلطم الورد بعناب.
وأخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني
محمد بن محمد، قال: حدثني حسين بن الضحاك، قال:
أُنشِدَ ابْنُ عُيَيْنَةَ قولَ أبي نُواس:

يبكي فيذري الدرَّ من طَرَفه ويلطم الورد بعُئَابِ
[السريع]

فَعَجِبْتُ مِنْهُ وَقَالَ: آمَنْتُ بِالَّذِي خَلَقَهُ.
وقد قيل إن أبا نُواس، قال هذا الشعر في غير جنان، والله أعلم.

بنت المبارك لا جنان:

أخبرني بذلك الحسن بن عليّ، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال:
حدثني بعض الصيارف بالكرخ - وسماه - قال:

كان حارس درب عون يُقال له المبارك، وكان يلبس ثياباً نظيفة سريّة، ويركب
حماراً، فيطوف عليه السوق بالليل، ويكرّيه بالنهار، فإذا رآه من لا يعرفه ظن أنه من
بعض التجار، وكان يصل إليه في كل شهر من السوق ما يسعه ويفضّل عنه، وكانت له
بنت من أجمل النساء، فمات مبارك، وحضره الناس، فلما أُخرجت جنازته خرجت
بنته هذه حاسرة^(١) بين يديه فقال أبو نُواس فيها:

يا قمرأً أبرزه مأتَمٌ يندب شَجْواً بين أترابِ
[السريع]

وذكر الأبيات كلها.

جنان تطلب من أبي نُواس أن يقطع زيارته لها أياماً:

أخبرني محمد بن جعفر، قال: حدثني أحمد بن القاسم، عن أبي هفان، عن
الجماز واليويو وأصحاب أبي نُواس.

(١) حاسرة عن رأسها: كاشفة لا يسترها شيء.

أَنْ جِنَان وَجَّهَتْ إِلَيْهِ: قَدْ شَهَرْتَنِي، فَاقْطَع زِيَارَتَكَ عَنِّي أَيَّاماً لِيَنْقَطِعَ بَعْضُ الْقَالَةِ، فَفَعَلَ وَكَتَبَ إِلَيْهَا:

إِنَّا اهْتَجَرْنَا لِلنَّاسِ إِذْ فَطَنُوا وَبَيْنَنَا حِينَ نَلْتَقِي حَسَنُ
نُدَافِعُ الْأَمْرَ، وَهُوَ مُقْتَبِلُ فَشَبَّ حَتَّى عَلَيْهِ قَدْ مَرُّنَا
فَلَيْسَ يُقْذِي عَيْنَا مُعَايِنَةً لَهُ وَمَا إِنْ تَمُوجُهُ أَدُنُ
وَيَحْ ثَقِيفٍ مَاذَا يَضُرُّهُمْ إِنْ كَانَ لِي فِي دِيَارِهِمْ سَكَنُ
أَرَيْبُ مَا بَيْنَنَا الْحَدِيثُ فَإِنْ زِدْنَا فزِيدُوا وَمَا لَذَا ثَمَنُ
[المنسرح]

أَبُو نُوَاسٍ يَكْتُبُ إِلَى جِنَانٍ مِنْ بَغْدَادَ:

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ مَهْرُويَه، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي سَعْدٍ، قَالَ:

بَلَّغَنِي أَنَّ أَبَا نُوَاسٍ كَتَبَ إِلَى جِنَانٍ مِنْ بَغْدَادَ:

كَفَى حَزْناً أَلَا أَرَى وَجْهَ حِيلَةٍ أَزُورُ بِهَا الْأَحْبَابَ فِي حَكَمَانِ
وَأَقْسَمُ لَوْلَا أَنْ تَنَالَ مَعَاشِرُ جِنَاناً بِمَا لَا أَشْتَهِي لِجِنَانِ
لَأَصْبَحْتُ مِنْهَا دَانِي الدَّارِ لَاصِقاً وَلَكِنْ مَا أَخْشَى - فُديت - عَدَانِي
فَوَا حَزْناً حَزْناً يُؤْذِي إِلَى الرَّدَى فَأَصْبَحَ مَأْثُوراً بِكُلِّ لِسَانِ
أَرَانِي انْقَضَتْ أَيَّامَ وَصْلِي مِنْكُمْ وَأَذَنْ فِيكُمْ بِالْوَدَاعِ زَمَانِي
[الطويل]

جِنَانٌ تَشْتُمُ أَبَا نُوَاسٍ وَتَذْكُرُهُ أَقْبَحَ الذِّكْرِ:

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ مَهْرُويَه، عَنْ يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْخُرَيْمِيِّ، قَالَ:

بَلَغَ أَبَا نُوَاسٍ أَنَّ امْرَأَةً ذَكَرَتْ لَجِنَانٍ عِشْقَهُ لَهَا، فَشْتَمَتْهُ جِنَانٌ وَتَنْقَضَتْهُ، وَذَكَرَتْهُ أَقْبَحَ الذِّكْرِ، فَقَالَ:

وَأَبَا بِي مَنْ إِذَا ذُكِرْتَ لَهُ وَطَوَّلُ وَجْدِي ^(١) بِهِ تَنْقُصْنِي
لَوْ سَأَلُوهُ عَنْ وَجْهِ حُجَّتِهِ فِي سَبِّهِ لِي لِقَالَ يَعْشَقُنِي

(١) وَجْدِي: شِدَّةُ حُبِّي وَعِشْقِي.

نَعَمْ إِلَى الْحِشْرِ وَالتَّنَادِ نَعَمْ
أَصْبَحَ جَهْرًا لَا أَسْتَسِرُّ بِهِ
يَا مَعْشَرَ النَّاسِ فَاسْمَعُوهُ وَعُوا
أَعَشَّقَهُ أَوْ أَلْفَ فِي كَفَنِي
عَنَّفَنِي فِيهِ مِنْ يُعَنَّفُنِي
إِنَّ جِنَانًا صَدِيقَهُ الْحَسَنَ
[المنسرح]
فبلغها ذلك فهجرته وأطالت هجره، فرآها ليلة في منامه، وأنها قد صالحته،
فكتب إليها:

إِذَا التَّقَى فِي النُّومِ طَيْفَانَا
يَا قَرَّةَ الْعَيْنِ فَمَا بَالُنَا
لَوْ شِئْتَ إِذْ أَحْسَنْتَ لِي فِي الْكُرَى
يَا عَاشِقَيْنِ اصْطَلَحَا فِي الْكُرَى
كَذَلِكَ الْأَحْلَامُ غُدَارَةٌ
عَادَلْنَا الْوَصْلَ كَمَا كَانَا
نَشْقَى وَيَلْتَذُّ خِيَالُنَا
أَتَمَّتْ إِحْسَانُكَ يَقْظَانَا
وَأَصْبَحَا: غَضَبِي وَغَضْبَانَا
وَرَبَّمَا تَصَدَّقَ أَحْيَانَا
[السريع]

الغناء في هذه الأبيات لابن جامع ثقیل أول بالوسطى عن عمرو.

جِنَانُ تَطْلُبُ الصُّلْحَ فَيَرْفُضُ أَبُو نُوَاسٍ:

قال الخريمي: ورآها يوماً في ديار ثقيف، فجَبَّهَتْ^(١) بما كره، فغضب وهجرها مدة، فأرسلت إليه رسولا تُصَالِحُه، فردده ولم يُصَالِحْهَا، ورآها في النوم تطلب صلحه، فقال:

دَسَّتْ لَهُ طَيْفَهَا كَيْمَا تُصَالِحُه
فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَ طَيْفِي طَيْفَهَا فَرَجًا
حَسِبْتُ أَنَّ خِيَالِي لَا يَكُونُ لِمَا
جِنَانٌ لَا تَسْأَلُنِي الصُّلْحَ سُرْعَةً ذَا
فِي النُّومِ حِينَ تَأْبَى الصُّلْحَ يَقْظَانَا
وَلَا رَثَى لَتَشْكِيهِ وَلَا لَنَا
أَكُونُ مِنْ أَجَلِهِ غَضْبَانٌ غَضْبَانَا
فَلَمْ يَكُنْ هَيْنًا مِنْكَ الَّذِي كَانَا
[البسيط]

لَأَبِي نُوَاسٍ فِي جِنَانٍ:

وَأَشْدُنِي عَلَيَّ بَنَ سَلِيمَانَ الْأَخْفَشِ لِأَبِي نُوَاسٍ فِي جِنَانٍ:

أَمَّا يَفْنَى حَدِيثُكَ عَنْ جِنَانٍ
وَلَا تُبْقِي عَلَيَّ هَذَا اللِّسَانَ

(١) جبَّهَتْ: واجهته بما لا يرضيه.

أَكَلَّ الدهر قَلْتُ لَهَا وقالت
 جعلتَ الناسَ كُلَّهُمُ سواءَ
 عدوكَ كالصديقِ وذا كهذا
 إذا حَدَّثتَ عن شَأْنٍ تواليت
 فلو موَّهتَ عنها باسمُ أخرى
 فكم هذا: أمّا هذا بفاني؟
 إذا حَدَّثتَ عنها في البيانِ
 سواءً والأباعدَ كالأداني
 عجائبه أتيتهمُ بشأنِ
 علمنا إذ كُنيتَ منَ انتَ عاني
 [الوافر]

رجل من البصرة يشتري جنان ويرحل بها :

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثني يحيى بن محمد السلمي، قال: حدثني
 أبو عكرمة الضبيّ .
 أن رجلاً قدم البصرة، فاشترى جنان من مواليتها، ورحل بها، فقال أبو نواس في
 ذلك :

أما الديار فقلّ ما لبثوا بها
 وضعوا سياط الشوقِ في أعناقها
 بين استيق العيس^(١) والركبانِ
 حتى أطلعن بهم على الأوطان^(٢)
 [الكامل]

تقبيلة من بعيد :

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق، قال: حدثني محمد بن سعد الكرانيّ قال:
 حدثني أبو عثمان الأشنادانيّ، قال:
 كتب أبو نواس إلى جنان:

أكثرني المحو في كتابك وامحيه
 وامرري بالمحاة بين ثنايا
 إنني كلما مررت بسطر
 تلك تقبيلة لكم من بعيد
 إذا ما محوته باللسان
 لك العذاب المفلجات الحسان
 فيه محو لطحته بلساني^(٣)
 أهديت لي وما برحت مكاني
 [الخفيف]

(١) العيس من الإبل: البيض منها يُخالط بياضها سواد خفيف.

(٢) أطلعن على الأوطان: أقبلن فجأة دون سابق إنذار.

(٣) لطحته بلساني: لحسته.

صوت

تجنّى علينا آل مكتومة الذنبا وكانوا لنا سلماً فأضحوا لنا حربا
يقولون عزّ القلب بعد ذهابه فقلت ألا طوباي لو أنّ لي قلبا
[الطويل]
عروضه منّ الطويل ، الشعر لابن أبي عُيينة ، والغناء لسليمان أخي جحظة رمل
بالوسطى عن عمرو بن بانة .

نسب ابن أبي عيينة وأخباره

اسمه ونسبه :

أبو عيينة - فيما أخبرنا علي بن سليمان الأخفش، عن محمد بن يزيد اسمه وكنيته أبو المنهال، قال: وكل من يدعى أبا عيينة من آل المهلب فأبو عيينة اسمه، وكنيته أبو المنهال، وكل من يدعى أبا رهم من بني سدوس فكنيته أبو محمد.

وابن أبي عيينة هو محمد بن أبي عيينة بن المهلب بن أبي صفرة، وقال أبو خالد الأسلمي: هو أبو عيينة بن المنجاب بن أبي عيينة، وهو الذي كان يهجو ابن عمه خالداً، واسم أبي صفرة ظالم بن سراق، وقيل: غالب بن سراق بن صبح بن كندي بن عمرو بن عدي بن وائل بن الحارث بن العتيك بن الأسد بن عمران بن الوضاح بن عمرو بن مزيقا بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة البهلول بن مازن زاد الراكب بن الأزد.

الأزد يستلحقون المهلب :

هذا النسب الذي عليه آل المهلب، وذكر غيرهم أن أصلهم من عجم عُمان، وأنهم تولوا الأزد، فلما ساد المهلب وشرف وعلا ذكره استلحقوه، وممن ذكر ذلك الهيثم بن عدي وأبو عبيدة وابن مزروع وابن الكلبي وسائر من جمع كتاباً في المثالب، وهجتهم به الشعراء فأكثر.

أبو صفرة ليس عربياً :

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي، قال: أخبرني الحسن بن عليل العنزي قال: حدثني أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حميد بن سليمان العدوي، قال: أخبرني الهيثم بن عدي، عن عبد الله بن عياش الهمداني، قال:

وفد ابن الجلندي في الأزد أزد عمان ومواليهم وأحلافهم، فكان فيمن وفد منهم أبو صفرة، وكان يُلقب بذلك، لأنه كان يصفر لحيته، فدخل على عمر مع ابن الجلندي ولحيته مخضوبة مصفرة، فقال عمر لابن الجلندي: أكل من معك عربي؟ قال: لا، فينا العربي وفينا غير ذلك فالتفت عمر رحمه الله إلى أبي صفرة

فقال له: أعربني أنت؟ قال: لا، أنا ممن من الله عليه بالإسلام.

أبو صُفرة يجلس على جفنة ليختن:

قال: وقدم الحكم بن أبي العاصي الثقفي أخو عثمانَ بأعلاج من شهرك^(١) في خلافة عمرَ قد أسلموا، فأمر عمرُ عثمانَ بن أبي العاصي أن يختنهم، وقد كان أبو صُفرةَ حاضراً، فقال: ما لهؤلاء يطهرون ليصلوا؟ قالوا: إنهم يختنون، قال: أنا والله هكذا مثلهم، قال: فسمع ذلك عثمانُ بن أبي العاصي فأمر بأبي صُفرةَ فأجلس على جفنة فختن وإنه لشيخ أشمط فكان بها من قال: لسنا نشك في زوجته كذلك، فأحضرت، وهي عجوز آدماء، فأمر بها القابلة فنظرت إليها وكشفتها، وإذا هي غير مختونة، وذلك منها قد حشف^(٢)، فأمر بها فخفضت ذلك.

قول زياد الأعجم في ذلك:

وقال في ذلك زياد الأعجم، وقد غضب على المهلب:

نحن قطعنا من أبي صُفرة قلفته^(٣) كي يدخل البصرة
لما رأى عثمانُ غرمولَه أحنى على قلفته الشفرة
[المقارب]

كتاب المثالب:

وليس هذا من الأقوال المعول^(٤) عليها، لأن أصل المثالب زيادُ لعنه الله، فإنه لما ادعى إلى أبي سفيان، وعلم أن العرب لا تُقرّ له بذلك مع علمها بنسبه، ومع سوء آثاره فيهم، عمل كتاب المثالب، فالصق بالعرب كلها كل عيب وعار، وحق وباطل، ثم بنى على ذلك الهيثم بن عدي، وكان دعيًا^(٥)، فأراد أن يعرّ أهل البيوتات تشفيًا منهم، وفعل ذلك أبو عبيدة معمر بن المثنى، وكان أصله يهودياً، أسلم جدّه على يدي بعض آل أبي بكر الصديق - رضي الله عنه -، فانتفى إلى ولاء بني تيم، فجدد كتاب زياد وزاد فيه، ثم نشأ غيلان الشعوبي لعنه الله، وكان زنديقاً ثنوياً لا يُشكّ فيه، عُرف في حياته بعضُ مذهبه، وكان يُوري عنه في عوراته للإسلام؟ بالتشعب والعصبية، ثم انكشف أمره بعد وفاته، فأبدع كتاباً عمله لطاهر بن الحسين، وكان شديد التشعب والعصبية، خارجاً عن الإسلام بأفاعيله، فبدأ فيه بمثالب بني هاشم،

(٢) حشف: انقبض.

(١) شهرك: موضع؛ ولعله سهرج.

(٣) قلفته: جلدة عضو تناسله.

(٤) الأقوال المعول عليها: المعتمدة المطلوبة.

(٥) الدعي من الناس: من ينسب إلى غير بني قومه من الأشراف النبلاء.

وذكر مناكحهم وأمهاتهم وصنائعهم، وبدأ منهم بالطيب الطاهر رسول الله ﷺ، فغمصه وذكره، ثم والى بين أهل بيته الأذكىاء النجباء عليهم السلام، ثم ببطون قريش على الولاء، ثم بسائر العرب، فألصق بهم كل كذب وزور، ووضع عليهم كل خبر باطل وإعطاء ظاهر على ذلك ما يشين الذي زعم فيما بلغني. وإنما جرّ هذا القول، ذكرُ المهلب وما قيل فيه، وإني ذكرته فلم أجد بداً من ذكر ما روي فيه وفيما مرّ عن أهل النسب، ثم قلت ما عندي.

عبد الملك يحرق كتاب المثالب:

أخبرني حبيب بن نصر، قال: أخبرني عمر بن شبة، قال: حدثني محمد بن يحيى أبو عثمان عن أبيه، قال:

دخل بعض الناس على عبد الملك بن مروان، فقال له: هل عندك كتاب زياد في المثالب؟ فتلّكأ، فقال له: لا بأس عليك، وبحقي إلا جئتني به. فمضى فجاء به، فقال له: اقرأ عليّ، فقرأه، وجعل عبد الملك يتغيّظ ويعجب مما فيه من الأباطيل، ثم تمثل قول الشاعر:

وأجراً من رأيت بظهر غيبٍ على عيب الرجال أولو العيوب
[الوافر]

ثم أمر بالكتاب فأحرق.

رجع الخبر إلى سِياقة أخبار ابن أبي عيينة.

غزل هجاء:

وهو شاعر مطبوع ظريف غزل هجاء، وأنفد أكثر أشعاره في هجاء ابن عمه خالد، وأخبارهما تذكر على أثر الكلام وما يصلح تصدير أخباره به. وهو من شعراء الدولة العباسية من ساكني البصرة.

حدثني عمي والصوليّ، قالوا: حدثنا أحمد بن يزيد المهلبيّ، قال: حدثني أبي، قال:

أبو عيينة اسمه وكنيته، وهو ابن محمد بن أبي عيينة بن المهلب بن أبي صُفرة.

أبو أبي عيينة يتولى الريّ ثم يُقبض عليه:

وأخبرني محمد بن عمران الصيرفيّ، قال: حدثني العنزيّ، قال: حدثني أبو خالد الأسلميّ، قال:

أبو عُيَيْنَةَ الشاعر هو أبو عُيَيْنَةَ بْنُ الْمُنْجَابِ بْنِ أَبِي عُيَيْنَةَ بْنِ الْمَهْلَبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عُيَيْنَةَ أَبُو أَبِي عُيَيْنَةَ الشَّاعِرُ يَتَوَلَّى الرَّيَّ لِأَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ، ثُمَّ قَبِضَ عَلَيْهِ وَحَبَسَهُ وَغَرَّمَهُ^(١).

وأخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثني يزيد بن محمد المهلب قال:

قال وهب بن جرير: رأيت في منامي كأنَّ قائلاً يقول لي:

ما يلقى أبو حربٍ تعالى الله من كربٍ

[الهج]

فلم ألبث أن أخذ المنصور أبا حربٍ محمد بن أبي عُيَيْنَةَ المهلب فحبسه، وكان ولأه الري، فأقام بها سنين.

ابن أبي عُيَيْنَةَ يهوى فاطمة ويقول الشعر في دنيا:

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق ومحمد بن يحيى الصولي وعمي، قالوا: حدثنا الحزنبل الأصبهاني، قال: حدثني الفيض بن مخلد مولى أبي عُيَيْنَةَ بْنِ الْمَهْلَبِ، قال:

كان أبو عُيَيْنَةَ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عُيَيْنَةَ يهوى فاطمة بنت عمر بن حفص الملقب: هزار مَرْد، وكانت امرأة نبيلة شريفة، وكان يخاف أهلها أن يذكرها تصريحاً، ويرهب زوجها عيسى بن سليمان، فكان يقول الشعر في جارية لها يقال لها دنيا، وكانت قيمة دارها ووالية أمورها كلها، وأنشدنا لابن أبي عُيَيْنَةَ فيها، ويكني باسم دنيا هذه:

ما لقلبي أرق من كل قلبٍ ولحبي أشد من كل حبٍ
ولدنيا على جنوني بدنيا أشتهي قربها وتكره قربي
نزلت بي بليّة من هواها والبلايا تكون من كل ضربٍ
قل لدنيا: ألم تجئك لما بي رطبة من دموع عيني كُثبي
فعلام انتهت بالله رُسلي وتهدّتهم بحبس وضرب؟!
أيّ ذنب أذنبته ليت شعري كان هذا جزاءه أيّ ذنبٍ

[الخفيف]

(١) غَرَّمَهُ: فرض عليه غرامة مالية عالية.

لو كان له علم أخيه لكان أشعر منه :

أخبرني علي بن سليمان، قال: حدثني محمد بن يزيد، قال:

كان ابن أبي عيينة من أطيع الناس وأقربهم مأخذاً، من غير أدب موصوف ولا رواية كثيرة، وكان يقرب البعيد ويحذف الفضول، ويُقل التكلّف، وكان أصغر من أخيه عبد الله ومات قبله، وقيل لعبد الله: أنت أشعر أم أخوك؟ فقال: لو كان له علمي لكان أشعر مني.

أيهما أشجع: يزيد بن خالد أم عمر بن حفص؟

وكان يتعشق فاطمة بنت عمر بن حفص هزار مرّد التي تزوجها علي بن سليمان ويُسرّ عشقها، ويلقبها دنيا، كتماناً لأمرها، وكانت امرأة جليلة نبيلة سرّية من النساء، وكان أبوها من أشدّ الفرسان وشجعانهم، فذكر عيسى بن جعفر: أن عيسى بن موسى قال للمهلب بن المغيرة بن المهلب: أكان يزيد بن خالد أشجع أم عمر بن حفص هزار مرّد؟ فقال المهلب: لم أشهد من يزيد ما شهدته من عمر بن حفص، وذلك أني رأيته يركض في طلب حمار وحش، حتى إذا حاذاه جمع جراميزه^(١) وقفز فصار على ظهره، فقمص^(٢) الحمار، وجعل عمر بن حفص يحزّ معرفته إما بسيف وإما بسكين معه حتى قتله.

من التي كان يحبها؟

قال محمد بن يزيد: وحدثت عن محمد بن المهلب أنه أنكر أن يكون أبو عيينة كان يهوى فاطمة، وقال: إنما كان جندياً في عداد الشطّار، وكانت فاطمة من أنبل النساء وأسراهن، وإنما كان يتعشق جارية لها، وهذه الأبيات التي فيها الغناء من قصيدة له جيدة من مشهور شعره، يقولها في فاطمة هذه أو في جاريتها ويكنّي عنها بدنيا، فمما اختير منها قوله:

وقالوا: تجئبنا. فقلت: أبعد ما	غلبتم على قلبي بسلطانكم غصبا
غضاب وقد ملّوا وقوفي ببابهم	ولكنّ دنيا لا ملول، ولا غضبي
وقد أرسلت في السرّاني بريئة	ولم تر لي فيما ترى منهم ذنبا
وقالت: لك العتبي ^(٣) وعندي لك الرضا	وما إن لهم عندي رضى لا ولا عتبي

(١) جراميزه: قوائمه.

(٢) قمص الحمار: رفع يديه معاً وطرحهما معاً وعجن برجليه، ووثب ونفر.

(٣) العتبي: الرضى.

وُبُئْتُهَا تلهو إذا اشتدَّ شوقُها
فأحببتُها حُبًّا يقرّ بعينها
فيا حسرتا نغصتُ قربَ ديارها
لقد شمت الأعداءُ أن حيل بينها
بشعري كما تُلهي المغنية الشربا
وحبي إذا أحببت لا يُشبه الحُبّا
فلا زلفَةً منها أرجي ولا قُرْباً
وبيني ألا للشامتين بنا العُقبى
[الطويل]

ومما قاله فيها وغُني فيه قوله :

صوت

ضَيَّعَتْ عهدَ فتى لعهدك حافظٍ
ونأيت عنه فماله من حيلة
متخشعاً يُذري عليك دموعه
إن تقتليه وتذهبي بفؤاده
في حفظه عَجَبٌ وفي تضييعك
إلا الوقوف إلى أوان رجوعك
أسفاً ويعجب من جُمودِ دُموعك
فبحسن وجهك لا بحسن صنيعك
[الكامل]

عروضه من الكامل، الغناء في هذه الأبيات من الثقليل الأول بالوسطى، ذكر عمرو بن بانه أنه له، وذكر الهشامي أنه لمحمد بن الحارث بن بسخر وذكر عبد الله بن موسى بن محمد بن إبراهيم الإمام أنه لإبراهيم الموصلي.

محمد بن جعفر بن موسى الهادي يحب نيران :

فذكر العتابي ومحمد بن الحسن الكاتب أن محمد بن أحمد بن يحيى المكي حدثهما، قال :

حدثني عمرو بن بانه، قال : ركبت يوماً إلى دار صالح بن الرشيد، فاجتزت بمحمد بن جعفر بن موسى الهادي، وكان معاقراً للصبوح، فألفيته في ذلك اليوم خالياً منه، فسألته عن السبب في تعطيله إياه، فقال : نيرانٌ عليّ غَضَبِي، يعني جارية لبعض النخاسين ببغداد، وكانت إحدى المحسنات، وكانت بارعة الجمال ظريفة اللسان، وكان قد أفرط في حبها حتى عُرف به، فقلت له : فما تحب؟ قال : تجعل طريقك على مولاها، فإنه يستخرجها إليك، فإذا فعل دفعت رقعتي هذه إليها، ودفع إليّ رقعةً فيها :

ضَيَّعَتْ عهدَ فتى لعهدك حافظٍ
في حفظه عجب وفي تضييعك

إِنْ سُمِّتَهُ أَنْ تَذْهَبِي بِفَوَّادِهِ فَبِحُسْنِ وَجْهِكَ لَا بِحُسْنِ صَنِيعِكَ
[الكامل]

فقلت له: نعم أنا أتحمل هذه الرسالة وكرامةً على ما فيها، حفظاً لروحك عليك، فإني لا آمن أن يتمادى بك هذا الأمر، فأخذت الرقعة، وجعلت طريقي إلى منزل النخاس، فبعث إلى الجارية: اخرجي، فخرجت، فدفعت إليها الرقعة، وأخبرتها بخبري، فضحكت ورجعت إلى الموضع الذي أقبلت منه، فجلست جلسة خفيفة، ثم إذا بها قد وافتني ومعها رقعة فيها:

صوت

وما زلت تعصيني وتُغري بي الردى^(١) وتهجرني حتى مَرَنْتَ على الهجر
وتقطع أسبابي وتنسى مودتي فكيف ترى يا مالكي في الهوى صبري
فأصبحت لا أدري أيأساً تصبري على الهجر أم جد البصيرة لا أدري
[الطويل]

غنى في هذه الأبيات عمرو بن بانه، ولحنه ثقیل أول بالنصر، ولمقاسة بن ناصح فيها ثقیل أول آخر بالوسطى، لحن عمرو في الأول والثاني ابتداءً نشيد ولحن مقاسة في الأول والثالث بغير نشيد.

قال: فأخذت الرقعة منها وأوصلتها إليه، وصرت إلى منزلي، فصنعت في بيتي محمد بن جعفر لحناً، وفي أبياتها لحناً، ثم صرت إلى الأمير صالح بن الرشيد، فعرفته ما كان من خبري، وغنيت الصوتين، فأمر بإسراج دوابه فأسرجت، وركب فركبت معه إلى النخاس مولى نيران، فما برح حتى اشتراها منه بثلاثة آلاف دينار، وحملها إلى دار محمد بن جعفر فوهبها له، فأقمنا يومنا عنده.

زرياب تغني والواثق يردد:

أخبرنا محمد بن يحيى الصولي، قال:

حدثني يزيد بن محمد المهلب، قال: دخلت على الواثق يوماً، وهو خليفة وزرياب جالسة في حجره وهي صبية، وهو يلقي عليها قوله:

ضيعت عهد فتى لعهدك حافظ في حفظه عجب وفي تضييعك
[الكامل]

(١) الردى: الموت.

وهي تُغنيه ويردده عليها، فما أذكر أني سمعت غناءً قطّ أحسن من غنائهما جميعاً، وما زال يردده عليها حتى حفظته .

رجع الخبر إلى حديث أبي عيينة .

زوج فاطمة أول من جمع السّامد وباعه :

أخبرني عليّ بن سُلَيْمَانَ، قال : حدثنا محمد بن يزيد، قال :

قال عبد الله بن محمد بن أبي عُيَيْنَةَ - أخو أبي عُيَيْنَةَ - في فاطمة التي كان يشبب بها أخوه، بنت عمر بن حفص، لما تزوجها عيسى بن سُلَيْمَانَ بن عليّ، وكان عيسى مُبَخَّلًا، وكانت له محابس يحبس فيها البَيَّاح^(١) وبيعه، وكانت له ضيعة تعرف بدالية عيسى، يبيع منها البقول والرياحين، وكان أول من جمع السّامد بالبصرة وباعه، فقال فيه أبو الشّمقمق :

إذا رُزِقَ العَبَادُ فلان عيسى له رزق من أسْتَاهِ العَبَادِ
[الوافر]

عبد الله بن محمد بن أبي عُيَيْنَةَ يهجو عيسى :

فلما تزوج عيسى فاطمة بنت عمر بن حفص، قال عبد الله بن محمد بن أبي عُيَيْنَةَ في ذلك :

أفَاطَمَ قد زُوِّجَت عيسى فأبشري
فإنك قد زُوِّجَت عن غير خِبرة
فإن قلت من رَهْطِ النَبِيِّ فإنه
وقد قال فيه جعفر ومحمد
وما قلت ما قالاً لأنك أُخْتُنا
لعمري لقد أثبتته في نصابه
إذا ما بنو العباس يوماً تنازعوا
رأيت أبا العباس يسمو بنفسه
لديه بذلٌ عاجل غير آجل
فتى من بني العباس ليس بعاقِل
وإن كان حرّاً الأصل عبدُ الشّمائل
أقاويل حتى قالها كلُّ قائل
وفي البيت منّا والدُّرا والكواهل
بأن صرت منه في محلّ الحلائل
عُرى المجد واختاروا كرام الخصائل
إلى بيع بيّاحاته والمباقل
[الطويل]

أخوه أشعر منه :

قال مؤلف هذا الكتاب : وكان عبد الله بن محمد أخو أبي عُيَيْنَةَ شاعراً،

(١) البَيَّاح : ضرب من الأسماك صغار .

وكان يقدم على أخيه، فأخبرني جحظة، قال: حدثني علي بن يحيى المنجم، قال:

قال لي إسحاق الموصلي: شعر عبد الله بن أبي عبيدة أحب إلي من شعر أبيه وأخيه، قال: وكان عبد الله صديقاً لإسحاق.

قرايته لفاطمة:

قال محمد بن يزيد: ومما قاله في فاطمة وصرح بذكر القرابة بينهما وحق على نفسه أنه يعنيه قوله:

دعَاءُ مُصْرَحٍ بِأَدْيِ السَّرَارِ	دَعْوَتِكَ بِالْقَرَابَةِ وَالْجَوَارِ
وَمَحْتَرَقٍ عَلَيْكَ بِغَيْرِ نَارِ	لَأَنِّي عَنْكَ مَشْغُولٌ بِنَفْسِي
عَلَى نَارِ الصَّبَابَةِ مِنْ وَقَارِ	وَأَنْتِ تُوقِّرِينَ وَلَيْسَ عِنْدِي
تُؤَدَّيْنِ الْعَدُوَّ وَلَا أُدَارِي	وَأَنْتِ لَأَنْ مَابِكَ دُونَ مَا بِي
جَمَحْتِ إِلَى مَخَالَعَةِ الْعِذَارِ	وَلَوْ وَاللَّهِ تَشْتَاقِينَ شَوْقِي
وَبُحْتِ بِسَرِّهَا بَيْنَ الْجَوَارِي	أَلَا يَا وَهْبُ فِيمَ فَضَحْتَ دُنْيَا
غَوَادٍ نَحْوَ مَكَّةَ أَوْ سَوَارِي	أَمَّا وَالرَّاقِصَاتِ بِكُلِّ وَادٍ
كَفَضَلِ يَدِي الْيَمِينِ عَلَى الْيَسَارِ	لَقَدْ فَضَلْتُكَ دُنْيَا فِي فَوَادِي
فَلِإِنِّي لَا أَلُومُكَ أَنْ تَعَارِي	فَقُولِي مَا بَدَا لَكَ أَنْ تَقُولِي

[الوافر]

رق قلبه وأبى قلبها:

قال: وقال فيها، وهو من ظريف أشعاره:

وَأَبَى قَلْبُكَ لِي أَنْ يَرْقَا	رَقَّ قَلْبِي لَكَ يَا نَوْرَ عَيْنِي
لَسْتُ أَرْضَى أَنْ تَمُوتِي وَأَبْقَى	فَأَرَاكَ اللَّهْ مُوتِي فَإِنِّي
وَمَنْ الْعَذَّالَ فِيهَا مُلْقَى	أَنَا مَنْ وَجَدَ بِدُنْيَايَ مِنْهَا

[المديد]

صوت

زعموا أنني صديقٌ لدُنْيَا ليت ذا الباطل قد صار حقًا

[المديد]

في هذا البيت ثم الذي قبله، ثم الأول لإبراهيم لحن ماخوري بالوسطى عن الهشامي.

كل مملوك له حرّ إذا قصّر عن هواها :

قال : وقال فيها أيضاً في هذا الوزن، وفيه غناء محدث رمل طنبري :

عيشُها حلّو وعيشك مرّ ليس مسروّ كمن لا يُسرّ
كمِدٌ^(١) في الحبّ تُسخن فيه عيْنُه أكثر مما تُقرّ
قلت للآثم فيها : ألّه عنها لا يقع بيني وبينك شرّ
أتراني مقصّراً عن هواها كلُّ مملوك إذا لي حُرّ
[المديد]

هلا انتظرت وقت المساء !!

وقال فيها أيضاً، وأنشدناه الأخفش عن المبرد، وأنشدناه محمد بن العباس اليزيدي، قال : أنشدني عمّي عبيد الله لأبي عيّنة :

جئتُ قالت دنيا : علام نهارةً زُرت هلاً انتظرت وقت المساء ؟ !
إن تكن معجباً برأيك لا تفرق فاستحي يا قليل الحياء
ذاك إذ روحها وروحي مزاجا ن كأصفي خمر بأعذب ماء
[الخفيف]

البحثري يأخذ منه هذا المعنى :

قال محمد بن يزيد : وقد أخذ هذا المعنى غيره منه - ولم يُسمه وهو البحثري - فقال :

صوت

جعلتُ حبّك من قلبي بمنزلة هي المصافاة بين الماء والراح
تهتزُّ مثل اهتزاز الغصن حرّكه مرور غيث من الوسمي سحّاح^(٢)
[البسيط]

الغناء في هذين البيتين لرداد ثقیل أول مطلق في مجرى البنصر .

(١) كمد في الحبّ : الحزين .

(٢) سحّاح : سهل ولين .

شهر من فرس أبلق :

ومما قاله أبو عيينة في فاطمة هذه وكنى عنها بدنيا قوله :

صوت

أَلَمْ تَنْهَ قَلْبَكَ أَنْ يَعْشَقَا وَمَا أَنْتَ وَالْعِشْقَ لَوْلَا الشَّقَا
أَمِنْ بَعْدِ شُرْبِكَ كَأْسِ النُّهَى وَشَمُّكَ رِيحَانُ أَهْلِ التُّقَى
عَشَقْتَ فَأَصْبَحْتَ فِي الْعَالَمِ يَنْ أَشْهَرَ مِنْ فَرَسٍ أَبْلَقَا
أَذْنِيَّائِي مِنْ غَمْرِ بَحْرِ الْهَوَى خَذِي بِيَدِي قَبْلَ أَنْ أَغْرَقَا
أَنَا ابْنُ الْمَهْلَبِ مَا فَوْقَ ذَا لِرَاقٍ إِلَى نُمْرُقٍ^(١) مُرْتَقَى
[المقارب]

غنى فيه أبو العُبَيْس بن حمدون، ولحنه ثان ثقيل مطلق، وفيه لعريب ثقيل أول رواه أبو العيبس عنها.

ذكريات :

وهذه قصيدة طويلة، يذكر فيها دنيا ويفخر بعقب النسيب بأبيه، ويذكر مآثر المهلب بالعراق، ولكن مما قاله في دنيا منها قوله :

أَذْنِيَّائِي مِنْ غَمْرِ بَحْرِ الْهَوَى خَذِي بِيَدِي قَبْلَ أَنْ أَغْرَقَا
أَنَا لِكَ عَبْدٌ فَكُونِي كَمَنْ إِذَا سَرَّهُ عَبْدُهُ أَعْتَقَا
أَلَمْ أَخْذَعْ النَّاسَ عَنْ حَبْهَا وَقَدْ يَخْذَعُ الْعَاقِلُ الْأَحْمَقَا
بَلَى فَسَبَقْتُهُمْ إِنْنِي أَحَبُّ إِلَيَّ الْخَيْرِ أَنْ أَسْبَقَا
وَيَوْمَ الْجَنَازَةِ إِذْ أَرْسَلْتُ عَلَى رَقْعَةٍ أَنْ جَزَّ الْخَنْدَقَا
وَعُجْ ثُمَّ فَاَنْظُرْ لَنَا مَجْلَساً بِرَفْقٍ وَإِيَّاكَ أَنْ تَخْرَقَا
فَجئْنَا كَغُصْنَيْنِ مِنْ بَانَةٍ قَرِينَيْنِ خَذْنَيْنِ قَدْ أَوْرَقَا
فَقَالَتْ لِأَخْتٍ لَهَا: اسْتَنْشِدِي مِنْ شَعْرِهِ الْمَحْكَمِ الْمُنتَقَى
فَقُلْتُ: أَمَرْتُ بِكِتْمَانِهِ وَحَذَرْتُ إِنْ شَاعَ أَنْ يُسْرِقَا
فَقَالَتْ: بَعَيْشُكَ قَوْلِي لَهُ: تَمْنَعُ لَعَلَّكَ أَنْ تَنْفَقَا
[المقارب]

(١) النمروق، بضم النون: الوسادة الصغيرة يتكأ عليها.

ليالي الهوى!

ومن مشهور قوله في دنيا، وهو مما تهتك فيه وصرَّح فأفحش، وهي من جيد قوله، قصيدته التي يقول فيها:

فلا تسألوني عن فراغي وعن شُغلي
وإعراضه عنها وإقباله قبلي
بكتبي وقد أرسلت فانتهرت رُسلي
إلى قابلٍ خطاً إليّ ولا تُملي
قضيتُ لدنيا بالقطيعة والبُخل
فقد كان في غُلٍّ وثيقٍ وفي كبلٍ
بمنُصفٍ ما بين الأبلّة والحَبَل
قرنين كالغصنين فرعين في أصلٍ
ظلال من الكرم المعرَّش والنخل
إلى غُصنٍ بانٍ بين دِعصين^(١) من رملٍ
فكانت ثناياها بلا حشمة نُزلي
وركضي إليها راكباً وعلى رجلي
برُكني وقد وطّنت نفسي على القتل
بيسراي واليمنى على قائم النصل
وإذ نفسها نفسي وإذ أهلها أهلي
ولا خوفٍ عينٍ من وُشاةٍ ولا بعلٍ
وقد أوحشتُ مني إلى دارها سُبلي
قضيتُ على أمّ المحبين بالشُّكل^(٢)
وشتان^(٣) ما بين الولاية والعزل
[الطويل]

أنا الفارغ المشغول، والشوقُ آفتي
عجبت لترك الحب دنيا خلية
وما بالها لما كتبتُ تهاونت
وقد حلفت ألا تخطّ بكفها
أبخلاً علينا كلُّ ذا وقطيعة
سَلوا قلب دنيا كيف أطلقه الهوى
فإن جحدت فاذكر لها قصر معبدٍ
وملعبنا في النهر والماء زاهر
ومن حولنا الريحان غصّاً وفوقنا
إذا شئت مالت بي إليها كأنني
ليالي ألقاني الهوى فاستضفتها
وكم لذة لي في هواها وشقوة
وفي مآثم المهديّ زاحمتُ رُكنها
فبتنا على خوف أسكن قلبها
فيا طيبَ طعم العيش إذ هي جارة
وإذ هي لا تعتلّ عني برقبة
فقد عفّت الآثار بيني وبينها
ولما بلوتُ الحب بعد فراقها
وأصبحت معزولاً وقد كنت والياً

ومما قاله فيها وفيه غناء .

(١) الدّعص، بكسر الدال: كتيب الرمل المجتمع .

(٢) الشُّكل، بضم الثاء: فقد الأعزاء على الأمهات والآباء والبكاء والحزن لأجلهم .

(٣) شتان: اسم فعل ماضٍ بمعنى بُعد .

صوت

ألا في سبيل الله ما حلّ بي منك وصبرك عني حين لا صبر لي عنك
وتركك جسمي بعد أخذك مهجتي ضئيلاً فهلاً كان من قبل ذا تركي؟!
فهل حاكم في الحب يحكم بيننا فيأخذ لي حقي ويُنصفني منك؟!
[الطويل]

لسليم في هذه الأبيات هزج مطلق في مجرى الوسطى .

وصفه لقصر كانوا فيه :

وفي هذه القصيدة يقول يصف قصراً كانوا فيه ، وهي من عجيب شعره .

لقد كنت يوم القصر مما ظننت بي يذكّرني الفردوس طوراً فأرعوي^(١)
بغرس كأبكار الجواري وثربة وسرب من الغزلان يرتعن حوله
وورقاء تحكي الموصلي إذا غدث فيا طيب ذاك القصر قصراً ومنزلاً
كأن قصور القوم ينظرن حوله يدلّ عليها مستطيلاً بفضله
بغرس كأبكار الجواري وثربة وسرب من الغزلان يرتعن حوله
وورقاء تحكي الموصلي إذا غدث فيا طيب ذاك القصر قصراً ومنزلاً
كأن قصور القوم ينظرن حوله يدلّ عليها مستطيلاً بفضله

[الطويل]

الفضل بن الربيع يقول : أشعر أهل زماننا أبو عيينة :

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار ، قال : حدثني علي بن عمرو الأنصاري ، قال : سمعت الأصمعي يذكر .

أن الفضل بن الربيع قال لجلسائه : من أشعر أهل عصرنا هذا؟ فقالوا : فأكثرنا ، فقال الفضل بن الربيع : أشعر أهل زماننا الذي يقول في قصر عيسى بن جعفر بالخريبة يعني أبا عيينة .

(١) إرعوى : إرتدع .

(٢) القصف : الجلبة ، الإعلان باللهو ، الإقامة في الأكل أو الشرب واللهو .

(٣) أفيح سهل : موضع واسع مترامي الأطراف .

(٤) الضنك : الضيق والشدة .

زُرْ واديَّ القصر نعم القصرُ والوادي وحبّذا أهله من حاضرٍ بادي
تُرفاً قراقيره^(١) والعيسُ^(٢) واقفةً والنون والصبّ والملاح والحادي
[البسيط]

الطلاق أو الفناء :

أخبرني الحسن بن عليّ، قال : حدثنا محمد بن مجمع، قال :
تزوج سعيد بن عباد بن حبيب بن المهلب بنتَ سفيانَ بن معاويةَ بن يزيدَ بن
المهلب، وقد كان تزوجها قبله رجلان من أهلها فدفنتهما، فكتب إليه أبو عيينة بن
محمد بن أبي عُيينة.

رأيت أثاثها فرغبت فيه وكم نُصبتُ لغيرك بالأثاثِ
إلى دارِ المنون^(٣) فجهّزتهم تحثُّهم بأربعةِ حثاثِ
فصيرَ أمرها بيدي أبيها وعيشك من حبالك بالثلاثِ
وإلا فالسلام عليك مّني سأبدأ من غدٍ لك بالمرائي
[الوافر]

أبو عُيينة يُعاتب إسحاق :

أخبرني محمد بن مزيد، قال : حدثنا حماد بن إسحاق، عن أبيه، قال :
كان عليّ بن هشام قد دعاني ودعا أبا عُيينة فتأخرت عنه حتى اصطبحنا شديداً،
وتشاغلت عنه برجل كان يجيئني من الأعراب، وكان فصيحاً لأكتب عنه، وكان عنده
بعض من يُعاديّني - قال حماد : كأنه يومئ بهذا القول إلى إبراهيم بن المهديّ - فسأل
أبا عُيينة أن يُعاتبني بشعر ينسبني فيه إلى الخلف، فكتب إليّ :

يا مليئاً بالوعدِ والخلفِ والمط لبطيئاً عن دعوة الأصحابِ
لهجاً بالأعراب إنَّ لدينا بعض من تشتهي من الأعرابِ
قد عرفنا الذي شُغلت به عنّا وإن كان غير ما في الكتابِ
[الخفيف]

قال : فكتبت إلى الذي حمل أبا عُيينة على هذا - يعني إبراهيم بن المهديّ - :

(١) القراقير : ضرب من السفن .

(٢) العيس من الإبل : البيض منها يُخالط بياضها سواد خفيف .

(٣) المنون : الموت .

قَدْ فَهَمْتُ الْكِتَابَ أَصْلَحَكَ اللَّهُ
وَلَعَمْرِي مَا تُنْصَفُونَ وَلَا كَا
لَسْتُ آتِيكَ فَاَعْلَمَنَّ وَلَا لِي
هُ وَعِنْدِي إِلَيْكَ رَدُّ الْجَوَابِ
نَ الَّذِي جَاءَ مِنْكُمْ فِي حَسَابِي
فِيكَ حَظٌّ مِنْ بَعْدِ هَذَا الْكِتَابِ
[الخفيف]

أَبُو عُيَيْنَةَ يَقُولُ حِكْمًا:

أَخْبَرَنِي عَيْسَى بْنُ الْحُسَيْنِ الْوَرَّاقُ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ، قَالَ:
حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ إِسْحَاقَ الْعَمَرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو هَاشِمٍ الْإِسْكَدَرَانِيُّ عَنْ ابْنِ
لَهِيْعَةَ، قَالَ:

حُفِرَ حَفْرٌ فِي بَعْضِ أَفْنِيَةِ مَكَّةَ فَوُجِدَ فِيهِ حَجَرٌ عَلَيْهِ مَنَقُوشٌ:

مَا لَا يَكُونُ فَلَا يَكُونُ بِحِيلَةٍ
سَيَكُونُ مَا هُوَ كَائِنٌ فِي وَقْتِهِ
يَسْعَى الْقَوِيُّ فَلَا يَنَالُ بِسَعْيِهِ
حَظًّا وَيَحْظِي عَاجِزٌ وَمَهِينٌ
أَبْدَأُ وَمَا هُوَ كَائِنٌ فَيَكُونُ
وَأَخُو الْجَهَالَةِ مُتَعَبٌ مُحْزُونٌ
حَظًّا وَيَحْظِي عَاجِزٌ وَمَهِينٌ
[الكامل]

قَالَ ابْنُ أَبِي سَعْدٍ: هَكَذَا فِي هَذَا الْحَدِيثِ، وَقَدْ أَنْشَدَنِي هَذِهِ الْأَيَّاتِ جَمَاعَةٌ
لَأَبِي عُيَيْنَةَ.

ابن الربيع يفضّل أبا عُيَيْنَةَ عَلَى أَبِي نُوَّاسٍ:

حَدَّثَنِي عَمِّي قَالَ: حَدَّثَنِي عَمْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ، قَالَ: حَدَّثَنِي
عَلِيٌّ بْنُ عَمْرٍوسَ الْأَنْصَارِيُّ.

عَنِ الْأَصْمَعِيِّ، قَالَ: قَالَ لِي الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ: يَا أَصْمَعِيُّ، مِنْ أَشْعَرِ أَهْلِ
زَمَانِكَ؟ قُلْتُ: أَبُو نُوَّاسٍ، قَالَ: حَيْثُ يَقُولُ مَاذَا؟ قُلْتُ: حَيْثُ يَقُولُ:

أَمَا تَرَى الشَّمْسَ حَلَّتِ الْحَمَلَا
وَقَامَ وَزُنُ الزَّمَانِ فَأَعْتَدَلَا
[المنسرح]

فَقَالَ: وَاللَّهِ إِنَّهُ لَذَهَبٌ فُطِنَ وَأَشْعَرُ مِنْهُ عِنْدِي أَبُو عُيَيْنَةَ.

حَسَدُهُ لِمَنْ أَهْدَيْتَ إِلَيْهِ دُنْيَا:

حَدَّثَنِي عَمِّي، قَالَ: حَدَّثَنِي فَضْلُ الْيَزِيدِيِّ، عَنْ إِسْحَاقَ:

أَنَّهُ أَنْشَدَهُ لِأَبِي عُيَيْنَةَ فِي دُنْيَا الَّتِي كَانَ يَشْبَبُ بِهَا، وَقَدْ زُوجَتْ، وَبَلَغَهُ أَنَّهَا تُهْدَى
إِلَى زَوْجِهَا، وَكَانَ إِسْحَاقُ يَسْتَحْسِنُ هَذَا الشَّعْرَ وَيَسْتَجِيدُهُ:

أرى عهدَها كالورد ليس بدائم
وعهدي لها كالآس حسناً وبهجة
فما وجد^(١) العذري^(٢) إذ طال وجده
كوجدي غداة البين عند لقائها
فقلت لأصحابي هي الشمس ضوؤها
وإني لمن تهدي إليه لحاسدٌ
ولا خيرَ فيمن لا يدوم له عهدٌ
له نُصرةٌ تبقى إذا ما انقضى الوردُ
بعفراء حتى سلَّ مهجته الوجدُ
وقد شفَّ^(٣) عنها دون أترابها البردُ
قريب ولكن في تناولها بُعدُ
جَرى طائري نحساً وطائرهُ سَعْدُ
[الطويل]

دنيا هي فاطمة بنت عمر:

أخبرني عمي، قال: حدثني أحمد بن يزيد المهلب، قال:
سألت أبي عن دنيا التي ذكرها أبو عُيَينة بن محمد بن أبي عُيَينة في شعره،
وقلت: إن قوماً يقولون إنها كانت أمة مغنية لبعض مغني البصرة، فقال: لا يا بني،
هي فاطمة بنت عمر بن حفص هِزار مَرَد بن عثمان بن قبيصة أخي المهلب، وكان
عيسى بن سليمان بن عليّ أخو جعفر ومحمد ابني سليمان تزوجها، وهجاء
عبد الله بن محمد بن أبي عُيَينة أخو أبي عُيَينة، فقال:

أفاطمَ قد زوّجت عيسى فأبشري
فإنك قد زوّجت عن غير خبرة
لديه بذلٌ عاجلٌ غير آجلٍ
فتى من بني العباس ليس بعاقِلٍ
[الطويل]

وذكر باقي الأبيات، وقد مضت متقدّماً، قال أحمد بن يزيد: ثم أنشدني أبي
لأبي عُيَينة يُصرِّح بنسبه الجامع له ولفاطمة من أبيات له:

ولأنتِ إن متُّ المصابةُ بي
فلئن هلكْتُ لتلطُّمنَ جزعاً
فتجئبي قتلي بلا وترٍ
خديك قائمةٌ على قبري
[الكامل]

قال أحمد: وأنشدني أبي أيضاً في تصديق ذلك، وأنه كان يُكَنِّي بدنيا عن
غيرها:

ما لِدُنْيا تجفوك والذنبُ منها
إنَّ هذا منها الخَبُّ^(٤) ومَكْرُ؟!

(١) وجد: حزن.

(٢) العذري: هو عروة بن حزام أحب عفراء وتغزل بها.

(٣) شفَّ: كشف.

(٤) الخَبُّ: الخداع والمكر والحيلة.

عرفت ذنبها إليّ فقالت
قد أمرت الفؤاد بالصبر عنها
وكتمت اسمها حذاراً من النا
ويقولون: بُح لنا باسم دنيا
ثم قالوا ليعلموا ذات نفسي
فتنفست ثم قلت أبكر
إبدؤوا القوم بالصياح يفرّوا
غير أن ليس لي مع الحب أمر
س ومن شرّهم وفي الناس شر
واسم دنيا سرّ على الناس دُخْر
: أعوان^(١) ذنيك أوهي بكر
شَبّ يا إختوتي عن الطوق عمرو^(٢)
[الخفيف]

جار ثقیل :

أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدثني هارون بن عبد الملك الزيات قال:
حدثني أبو خالد الأسلمي، قال:

كان ابن أبي عيينة المهلب صديقي، وهو أبو عيينة بن المنجاب بن أبي عيينة،
فجاء رجل من جيرانه كان يستقله، فسأله حاجة فقضاها، ثم سأله أخرى فوعده بها،
ثم سأله الثالثة فقال:

خَفَّفْ عَلَى إِخْوَانِكَ الْمُؤَنَّا إِنَّ شِئْتَ أَنْ تَبْقَى لَهُمْ سَكَنًا
لَا تُلْحِقَنَّ^(٣) إِذَا سَأَلْتَ فِيهِ الْإِلْحَافَ إِجْحَافًا بِهِمْ وَعَنَّا
[الكامل]

فقام الرجل وانصرف.

ابن أبي عيينة يطلب عزل أمير البصرة، فيعزل :

أخبرني أبو دلف هاشم بن محمد، قال: حدثني المبرد، قال:

وفد ابن أبي عيينة إلى طاهر بن الحسين يسأله أن يعزل أمير البصرة، وكان من
قَبْلِهِ، فدافعه^(٤) وعرض عليه عوضاً خطيراً من حاجته ووعدته أن يستصلح^(٥) له ذلك
الأمير ويؤزله عما كرهه، فأبى، فعزله وأجزَلَ صلته، فقال ابن أبي عيينة فيه:

(١) العوان من النساء: من تزوّجت منهن.

(٢) شَبّ عن الطوق عمرو: من أمثال العرب، قاله جذيمة الأبرش، وعمرو هو ابن أخت جذيمة، وهو عمرو بن عدّي بن نصر. ورد المثل في مجمع الأمثال للميداني.

(٣) ألحف بالسؤال: ألح فيه.

(٤) دافعه: ماطله وسوّف في الإجابة لما طلب.

(٥) يستصلح: يعمل على صلاح حاله ويسترضيه.

يا ذا اليمينين قد أوقرتني^(١) منناً
ولست أسطيع من شكرٍ أجىء به
لو كنتُ أعرف فوق الشكر منزلةً
أخلصْتُها لك من قلبي مهذبةً
تتري هي الغايةُ القُصوى من المني
إلا استطاعة ذي روح وذو بدنٍ
أوفى من الشكر عند الله في الثمن
حذواً على مثل ما أوليت من حسنٍ
[البسيط]

انتقام ابن أبي عُيينة من إسماعيل والي البصرة:

أخبرني محمد بن القاسم الأنباري، قال: حدثني أبي، عن أبي عكرمة عامر بن عمران، وأخبرني به عمي، عن أحمد بن يزيد المهلب عن أبيه، قال:

كان إسماعيل بن جعفر بن سليمان والياً على البصرة خليفةً لطاهر بن الحسين فأساء محاورة ابن أبي عُيينة، حتى تباعد ما بينهما وقبح، وأظهر إسماعيل تنقصه وعييه، فخرج إلى طاهر ليُشكو إسماعيل ويسعى في عزله عن البصرة، فبعد ذلك عليه بعضُ البُعد، وسافر طاهر بن الحسين إلى وجهٍ أمر بالخروج إليه، فصحبه ابن أبي عُيينة في سفره، فتذمّم من ذلك وأمر بإيصاله إليه، فلما دخل ابن أبي عُيينة إليه سأله عن حوائجه، وأذناه وأمره برفعها، فأنشده:

مَن أوحشْتُهُ البلادُ لم يُقم
ومَن يَبِت والهمومُ قادمةً
ومَن يَرِ النقص من موطنه
والقربُ ممن ينأى بجانبه
وربَّ أمرٍ يعيا اللبيبُ به
صَبِرٌ عليه كظمٍ على مَضضٍ^(٣)
يا ذا اليمينين لم أزرُك ولم
إنني من الله في مُراح غنى
زارتك بي همّة منازعةً
وإنني للجميل محتملٌ
فيها ومن أنسته لم يرم^(٢)
في صدره بالزناد لم ينم
يُزل عن النقص موطئ القدم
صدعٌ على الشعب غير مُلتئم
يظلُّ منه في حيرة الظلم
وتركُه من مراتع الندم^(٤)
أتك من خلّة^(٥) ولا عدم
ومُنْتدَى واسع وفي نَعَم
إلى العلا من كرائم الهمم
في القدر من منصبي ومن شيمي

(٢) لم يرم: لم يزل في موضعه على حاله.

(١) أوقرتني: حملتني.

(٤) مراتع الندم: حيث يندم.

(٣) على مضض: على الرغم، كرهاً عنه.

(٥) الخلّة: بفتح الخاء: الحاجة، وسوء الحال.

وقد تعلّقت منك بالذّم الكُبرى التي لا تخيب في الذّم
 فإن أنل بُغيتي فأنت لها
 وإن يَعمق عائق فلست على
 في قدر الله ما أحملله
 لم يضق الصّبر والفجاج^(١) على
 ماضٍ كحدّ السنّان في طرف الـ
 إذا ابتلاه الزمان كشّفه
 ما ساء ظنّي إلا بواحدة
 ليهنّ قوماً جُزت المدى بهم
 وليس كلّ الدلاء راجعة
 ترجع بالحمأة القليلة أحـ
 ما تُنبت الأرض كلّ زهرتها
 ما في نقص عن كلّ منزلة

في الصدر محصورة عن الكلام
 ولم تُقصّر فيهم ولم تُلم
 بالنصف من ملئها إلى الودم^(٣)
 ياناً وزنق^(٤) الصُّبابة^(٥) الأمم^(٦)
 ولا تعمّ السماء بالديم
 شريفة والأمور بالقسم
 [المنسرح]

فأجابه طاهر :

مَن تستضفه الهموم لم ينم
 ولا يزل قلبه يُكابد ما
 وقد سمعتُ الذي هتفت به
 وقد علمنا أن لست تصحبنا
 إلا لحقّ وحرمة وعلى
 أنت امرؤ لا تزول عن كرم

إلا كنوم المريض ذي السقم
 تُولّد فيه الهموم من ألم
 وما بأذني عنك من صمم
 لفاقة فيك لا ولا عدم
 مثلك رغي الحقوق والحرم
 إلا إلى مثله من الكرم

(١) الفجّاج، بكسر الفاء، الواحد فجّ: السهل الواسع بين جبليْن .

(٢) الخدم: السيف القاطع بسرعة .

(٣) الودم، الواحدة وذمة: السيور بين آذان الدلو والعراقي وواحدتها عرقوة وهي الخشبة المعروضة على الدلو .

(٤) الزنق: الفقر، القلّة .

(٥) الصُّبابة، بضم الصاد: البقية من الماء .

(٦) الأمم: الزهيد، القليل .

وَأَنْتَ مِنْ أُسْرَةٍ جَحَاجِحَةٍ^(١) فَازُوا بِحَسَنِ الْفَعَالِ وَالشَّيْمِ
فَمَا تَرْمُ مِنْ جَسِيمٍ مَنْزِلَةٍ فَالْحَكْمُ فِيهَا إِلَيْكَ فَاحْتَكِمِ
إِنْ كُنْتَ مُسْتَسْقِيًّا سَمَاحَتَنَا مَنَّا تَجُودُكَ الْيَدَانِ بِالْدَّيْمِ
أَوْ تَرْمُ فِي بَحْرِنَا بَدَلُوكَ لَا نُعْدِمُكَ مِلًّا لَهَا إِلَى الْوَدَمِ
إِنَّا أَنْاسٌ لَنَا صَنَائِعُنَا فِي الْعُرْبِ مَعْرُوفَةٌ وَفِي الْعَجَمِ
مُغْتَنِمُو كَسْبِ كُلِّ مَحَمَدَةٍ وَالْكَسْبُ لِلْحَمْدِ خَيْرٌ مُغْتَنِمِ
[المنسرح]

فاحتكم عليه أبو عُيَيْنَةَ عَزَلَ إِسْمَاعِيلَ بْنَ جَعْفَرٍ عَنِ الْبَصْرَةِ، فَعَزَلَهُ عَنْهَا، وَأَمَرَ
لَهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، فَقَالَ أَبُو عُيَيْنَةَ فِي عَزْلِهِ إِسْمَاعِيلَ بْنَ جَعْفَرٍ عَنْ إِمَارَةِ الْبَصْرَةِ:

لَا تَعْدَمِ الْعَزَلَ يَا أَبَا الْحَسَنِ وَلَا هُزْلاً فِي دَوْلَةِ السَّيْمَنِ
وَلَا انْتَقَالاً مِنْ دَارِ عَافِيَةٍ إِلَى دِيَارِ الْبَلَاءِ وَالْمُحْنِ
أَنَا الَّذِي إِنْ كَفَرْتَ نَعَمَّتْهُ أَذَابَ مَا فِي جَنْبَيْكَ مِنْ عَكَنِ^(٢)
[المنسرح]

ابن زعبل يهجو ابن أبي عُيَيْنَةَ:

حدثني عيسى بن الحسين، قال: حدثني محمد بن عبد الله الحزنبل
الأصبهاني، قال:

كَانَ ابْنُ أَبِي عُيَيْنَةَ قَدْ هَجَا نَزَاراً بِقَصِيدَةٍ لَهُ مَشْهُورَةٌ، وَفَضَّلَ عَلَيْهَا قَحْطَانَ، فَقَالَ
ابْنُ زَعْبَلٍ يَهْجُوهُ وَيُرِدُّ عَلَيْهِ، وَاسْمُهُ عَمْرُو بْنُ زَعْبَلٍ:

بُنَيَّ أَبِي عُيَيْنَةَ مَا نَطَقْتَ بِهِ مِنَ اللَّغَطِ
عَلَى مَا أَنْتَ مَلْتَحِفٌ مِنَ الْأَوْجَاعِ فِي الْوَسَطِ
لِمَا فِي الدُّبْرِ مِنْ نَغْلٍ^(٣) وَمَا فِي الْعِرْضِ مِنْ سَقَطِ
أَتَتْنَا الْخُمْسُ وَالْمَائِتَا نَ بِالنَّعْمَاءِ وَالْغِبَاطِ
أَمِيرٌ مِنْ هَلَالٍ مَسْـ تَطِيلِ الْبَاعِ مُنْبَسِطِ
شَرِيفٍ لَيْسَ بِالْمَدْخُو لَ فِي عِرْضٍ وَلَا رَهْطِ

(١) الجحاجح، الواحد جحجج: السيد المسارع إلى المكارم.

(٢) العكن: تشي لحم البطن سمنة.

(٣) النغل: الفساد.

أَظَنَّكَ مِنْ يَدِيهِ وَاقْعاً لَا شَكَّ فِي وَرِطِ
ووالي الخرج فيأض الـ يدين بنائل سَيطِ^(١)
له نَعَمٌ حَبَاكَ^(٢) بها فلم تحفظ ولم تحط
وقاضٍ من أمير الممؤ منين يقوم بالقِسْطِ
يسرَّكَ أنه من حيٍّ قحطانٍ على الشَحَطِ^(٣)
وأَنَّكَ إِنْ ذُكِرْتَ يَقَا ل: شيخٌ فاسق الشَّمَطِ^(٤)
أَعْبَدُ مِنْ عَبِيدُ عَمَا نَ عَابَ مناقبَ الشُّبُطِ
ويهجو الغرَّ من مضر كفى هذا من الشَّطَطِ^(٥)
تيمم في مَقْيَرَةٍ^(٦) مسيراً غير مُغْتَبِطِ
مجوِّفةٌ مُزِينَةٌ بوذعٍ لاح كالرَّقْطِ
بنوك تجرُّها بالْقَلِّ س^(٧) مؤتزيين بالفُوطِ
متى غمزوا مداريهم^(٨) لجد السير تختلِطِ
وأنت بموضع السُّكا ن يُمسكه بلا غَلِطِ
عليك عباءةٌ مشكـ وكـة بالشوك لم تُخَطِ
فطيَّبَ ريح بلدتنا فراؤك خيفة الشرطِ
وإنك قد عرفت بكثـرة التخليط والغلطِ
تري الخُسرانَ إِنْ لَمْ تَز ن في يوم ولم تَلُطِ^(٩)

[مجزوء الوافر]

المأمون ينذر دمه :

قال : وكان ابن أبي عبيدة لما هجا نزاراً بلغ شعره المأمون فنذر دمه ، فهرب من البصرة ، وركب البحر إلى عُمان ، فلم يزل بها متوارياً في نواحي الأزْد حتى مات المأمون .

(١) السبط : هو الكريم الذي تسخّ يده عطاءً (٢) حباك : أعطاك ، منحك .

(٣) الشحط : البعد .

(٤) الشَّمَط من الرجال : من خالط سواد شعر رأسه بياض .

(٥) الشطط : تخطي حدود التعقل والرزانة . (٦) المقيرة : السفينة المدهونة بالقار .

(٧) القلس : حبل السفينة .

(٨) المداري ، الواحدة مدرة : ويقال رجل أمدّر أي عظيم البطن والجنين .

(٩) تلط : تعمد إلى اللواط .

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حدثني ابن مهرويه، عن أبيه، بقصة ابن أبي عُيْنَةَ هذه مع ابن زعل، فذكر نحو الخبر المتقدم.

ابن أبي عُيْنَةَ يُشَبِّبُ بُوْهَبَةَ وَدُنْيَا:

حدثني عمِّي، قال: حدثني أحمد بن يزيد المَهْلَبِيُّ، قال: حدثني أبي، قال: كان ابن أبي عُيْنَةَ يُشَبِّبُ بُوْهَبَةَ جارية القرويِّ، وهي التي يقول فيها فرُّوج الزنا: يا وُهَبَ لم يبق لي شيء أُسْرُّ به إلا الجلوس فتسقينني وأسقيكِ [البسيط]

ثم عدل عن التشبيب بها إلى دنيا، وذكرهما جميعاً في شعره، فقال: أرسلتُ وُهَبَةً لما رأتني بعد سُقْمٍ من هواها مُفِيقاً
أَتَغَيَّرْتُ كَأَنَّ لَمْ تَكُنْ لي قبل أن تعرف دنيا صديقاً
قد لعمري كان ذاك ولكن قَطَعْتُ دنيا عليك الطريقاً [المديد]

دليل على أنه كان يُكَنِّي عن فاطمة بدنيا:

أخبرني عمِّي، قال: حدثني أحمد بن يزيد عن أبيه، قال: لما ولي عمرُ بنُ هزار مرد البصرة قال ابن أبي عُيْنَةَ في ذلك، وفي دنيا، يُكَنِّي بها عن فاطمة بنت عمر بن حفص صاحبته: هنيئاً لدُنْيَا هنيئاً لها قدومُ أبيها على البصرة
على أنها أظهرت نَخْوَةً وقالت: لي الملك والقدرة
فيا نورَ عيني كذا عاجلاً عليَّ تطاولت بالإمرة [المقارب]

قال: وهذا دليل على أنه كان يُكَنِّي عن فاطمة بدنيا، لا أنه كان يهوى جارتها دنيا، قال أحمد بن يزيد: وفيها يقول أيضاً:

يا حسنَّها يوم قالت لي مودعة لا تنس ما قلت من فيها إلى أذني
كأنني لم أصل دنيا علانية ولم أزر أهل دنيا زورة الختن^(١)
جسمي معي غير أن الروح عندكم فالروح في وطن والجسم في وطن

(١) الختن: الزوج، أو القريب منها، كالأخ والأب.

فليعجب الناس مني إن لي جسداً لا روح فيه ولي روح بلا بدن
[البسيط]

في هذه الأبيات هزج طنبوريّ محدث .

رثاؤه لأخيه داود :

وأخبرني عمّي ، قال : حدثني أحمد بن يزيد عن أبيه ، قال :

ورد على ابن أبي عيينة كتابٌ من بعض أهله ، بأن أخاه داود خرج إليه ببريد
فمات بهمذان ، فقال ابن أبي عيينة ، عند ذلك ، يرثيه :

أناحّة الحمّام قعي فنوحي	على داود رهنأ ^(١) في ضريح
لدى الأجدال من همذان راحت	به الأيام للموت المريح
ولم يشهد جنازته البواكي	فتبكيه بمنهل سقوح
وكوني مثله إذ كان حيّا	جواداً بالغبوق ^(٢) وبالصبح ^(٣)
أناحّة الحمّام فلا تشحي	عليه فليس بالرجل الشحيح
ولا بمثمر مالا لدنيا	ولا فيها بمعمار طموح
يبيع كثير ما فيها بباقي	ثمين من عواقبه ربيع
ومن آل المهلب في لباب اللباب الخالص المحض الصريح	وأهداف المراثي والمديح
هم أبناء آخرة ودنيا	[الوافر]

حبه لقينة في الكوفة :

أخبرني عمّي ، قال : حدثنا أحمد بن يزيد عن أبيه ، قال :

قدم أبو عيينة الكوفة في بعض حوائجه ، فعاشره جماعة من وجوه أهلها ، وأقام
بها مدة ، وألف فيها قينة كان يُعاشرها ، وأحبها حباً شديداً ، فقال فيها :

لعمري لقد أعطيت بالكوفة المني	وفوق المني بالغانيات النواعم
ونادمت أخت الشمس حسناً فوافقت	هواي ومثلي مثلها فلينادم

(١) رهنأ في ضريح : حبس القبر .

(٢) الغبوق : شرب الخمرة مساءً .

(٣) الصبح : شرب الخمرة صباحاً .

وَأَنشَدْتُهَا شِعْرِي بِدَنِيَا فَعَرَبِدْتُ
فَقُلْتُ لَهَا: يَا ظَبِيَّةَ الْكُوفَةِ اغْفِرِي
فَقَالَتْ: قَدْ اسْتَوْجِبْتَ مِنَّا عَقُوبَةً
وقالت: ملولٌ عهدُهُ غيرُ دائمٍ
فقد تُبِتَ مما قُلْتَ توبَةً نادمٍ
ولكن سنرعى فيك رَوْحَ بَنِ حَاتِمٍ
[الطويل]

شعره في ضيعة له:

قال أحمد بن يزيد: قال لي أبي:

كان لابن أبي عُيَيْنَةَ بُسْتَانٌ وَضِيعَةٌ فِي بَعْضِ قِطَاعِ الْمُهَلَبِ بِالْبَصْرَةِ، فَأَوْطَنَهَا
وَصَيَّرَهَا مَنْزِلَهُ، وَأَقَامَ بِهَا، وَفِيهَا يَقُولُ:

يَا جَنَّةً فَاقْتِ الْجِنَانُ فَمَا
أَلْفَتْهَا فَاتَخَذْتُهَا وَطَنًا
زَوْجَ حَيَاتِنَا الضُّبَابَ^(١) بِهَا
فَانْظُرْ وَفَكِّرْ فِيمَا نَطَقْتُ بِهِ
مَنْ سَفُنٍ كَالنَّعَامِ مَقْبَلَةٍ
تَبْلُغُهَا قِيمَةٌ وَلَا تَمُنْ
إِنْ فَوَّادِي لِأَهْلِهَا وَطَنٌ
فَهَذِهِ كَنَّةٌ^(٢) وَذَا خَتَنُ
إِنْ الْأَرَيْبِ الْمَفَكَّرُ الْقَطَنُ
وَمَنْ نَعَامَ كَأَنَّهَا سَفُنُ
[المنسرح]

أخبرني عيسى بن الحسين، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثنا
إسحاق بن إبراهيم الموصلي.
أن أبا عُيَيْنَةَ أَنشده لنفسه:

صوت

لَا يَكُنْ مِنِّي مَا بَدَا لِي بِعَيْنِي
إِنْ يَكُنْ فِي الْفَوَّادِ شَيْءٌ وَإِلَّا
فَلْعَلِّي إِذَا قَرَبْتُ عُذْ
حِينَ نَفْسِي لَا تَسْتَطِيعُ لِمَا قَدْ
لِكِ مِنَ اللَّحْظِ حِيلَةً وَاخْتِدَاعًا
فَدْعِينِي لَا تَقْتُلِينِي ضَيَاعًا
تِ وَأَظْهَرْتَ جَفْوَةً وَامْتِنَاعًا
وَقَعْتَ فِيهِ مِنْ هَوَاهَا ارْتِجَاعًا
[الخفيف]

في هذه الأبيات رمل مطلق محدث.

(١) الضُّبَاب: مفردا ضَبَّ، وهو من الزخافات شبيه بالحرذون ذنبه كثير العقد.

(٢) الكَنَّة: زوجة الابن، أو زوجة الأخ.

أخوه عبد الله يُعَاتِبُ مُحَمَّدَ بْنَ يَحْيَى بْنِ خَالِدِ الْبَرْمَكِيِّ :

أخبرني عمِّي، قال: حدثني أحمد بن يزيد قال: حدثني أبي، قال:

كان عبد الله بن محمد بن أبي عُيَيْنَةَ أَخُو أَبِي عُيَيْنَةَ شَاعِرًا، وَهُوَ الْقَائِلُ يُعَاتِبُ

مُحَمَّدَ بْنَ يَحْيَى بْنِ خَالِدِ الْبَرْمَكِيِّ بِأَبْيَاتٍ رَائِيَةٍ أُولَاهَا:

قَبْضٌ لَكَفَّيْكَ وَازْوَرَارُ
كَأَنَّمَا بِي لَدَيْكَ ثَارُ
يَجُوزُ مِنْهُ لِي اعْتِذَارُ
لِجَازِ مَنْ لِي لَكَ الْفِرَارُ
لَا مَنَصِبٌ لِي وَلَا نِجَارُ^(١)
مَا تَحْمِلُ الْأَنْفُسُ الْكِبَارُ
وَكُلُّ أَهْلِي فَتَى خِيَارُ
مِنْكَ وَأَنْ نَالَنِي ضِرَارُ
قَحْطَانُ لِي الْجَدُّ لَا نِزَارُ
أَوَانُ يَنْأَى^(٢) بِي الْمَزَارُ
دَعَا إِلَيَّ أَكَلَهُ اضْطِرَارُ
مُحَمَّدٌ دِيمَةٌ غِزَارُ
بِقَدْرِ مَا يَنْجَلِي الْعُبَارُ
أَعْلَامُهُ السَّفْلَةُ الشَّرَارُ
فِيهِ وَيَسْتَقْدِمُ الْجِمَارُ
يَوْمًا وَمَا إِنْ لَهُ اخْتِيَارُ
وَفِي مَقَادِيرِهِ الْخِيَارُ
[مخلع البسيط]

إِسْلَمَ وَإِنْ كَانَ فِيكَ عَنِي
تَلَحُّظُنِي عَابِسًا قَطُوبًا
لَوْ كَانَ أَمْرًا عَتَبْتُ فِيهِ
أَوْ كُنْتُ سَأَلَةً حَرِيصًا
أَوْ كُنْتُ نَذْلًا عَدِيمَ عَقْلِ
أَوْ لَمْ أَكُنْ حَامِلًا لِنَفْسِي
وَإِنِّي مِنْ خِيَارِ قَوْمِي
عَذَرْتُ أَنْ نَالَنِي جَفَاءُ
لَكِنْ ذَنْبِي إِلَيْكَ أَنِّي
عَلَيْكَ مِنْ السَّلَامِ هَذَا
مَا كُنْتُ إِلَّا كَلْحَمِ مَيِّتِ
رَاحَتْ عَلَى النَّاسِ لَابَنِ يَحْيَى
وَلَمْ يَكُنْ مَا أَنْلْتُ مِنْهُ
قَدْ أَصْبَحَ النَّاسُ فِي زَمَانِ
يَسْتَأْخِرُ السَّابِقُ الْمُذَكِّي
وَلَيْسَ لِلْمَرْءِ مَا تَمْنَى
مَا قَدَّرَ اللَّهُ فَهُوَ آتٍ

هَجَاءٌ وَمَدْحٌ :

أخبرني عمِّي، قال: حدثنا أبو هِفَانٍ، قال:

(١) النجار، بكسر النون: الأصل الشريف، الحساب.

(٢) ينأى: يبعد.

كان ابن أبي عُيَيْنَةَ قد قصد قبيصةَ بن روح بن حاتم المهلبِي واستماحه، فلم يجد عنده ما قدَّره فيه، فانصرف مغاضباً، فوجه إليه داوُدُ بنُ يزيدَ بن حاتم بن قبيصة، فترضَّاه وبلغ ما أحبه ورضيه من برِّه ومعونته، فقال يمدحه ويهجو قبيصة:

أَقْبِيصُ لست وإن جهدتَ بمدركِ
شَتَانٌ^(١) بينك يا قبيصُ وبينه
إختار داوُدُ بناءً محامدِ
قد كان مجدُّ أبيك لو أحييته
لكن جرى داوُدُ جريَّ مُبرَّرِ
داوُدُ محمود وأنت مذمَّم
ولرُبَّ عُودٍ قد يُشقَّ لمسجد
فالحشُّ أنت له وذاك لمسجد
هذا جزاؤك يا قبيصُ لأنَّه
سَعِيَ ابن عمك ذي العلا داوُدِ
إن المذمَّم ليس كالمحمودِ
واخترت أكلَ شرائح وثريدِ
رُوح أبي خَلَف كمجدِ يزيدِ
فَحَوَى المدى وجريتَ جريَّ بليدِ
عَجِباً لَذاك وأنتما من عُودِ
نصف وسائره لحشَّ يهودِ^(٢)
كم بين مَوضع مَسْلَح وسُجودِ
جادت يدها وأنت قُفْلُ حديدِ
[الكامل]

حبه للجارية بُستان:

حدثني جعفر بن قُدَّامة، قال: حدثنا حماد بن إسحاق، قال: حدثني أبي قال: كانت لأبي حذيفة مولى جعفر بن سُليمان جاريةً مغنية يقال لها: بُستان، فبلغه أن أبا عُيَيْنَةَ بن محمد بن أبي عُيَيْنَةَ ذكر لبعض إخوانه محبَّته لها ولاستماع غنائها، فدعاه وسأله أن يطرح الحِشمة بينه وبينه، فأجابه إلى ذلك، وقال لما سكر وانصرف من عنده في ذلك:

أَلَمْ تَرَنِي على كسلي وفثري
وكنيت إذا دُعيتُ إلى سماع
كأنَّما من بشاشتنا ظللنا
أَجبت أبا حذيفة إذ دعاني
أَجبت ولم يكن مني تواني
بيومٍ ليس من هذا الزمانِ
[الوافر]

هجاؤه لعيسى بن سُليمان:

أخبرني الحسن بن عليٍّ، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني محمد بن عُثْمان، قال:

(٢) الحش: المرحاض.

(١) شتان: اسم فعل ماضٍ بمعنى بُعد.

كانت لعيسى بن سليمان بن علي ضيعة إلى جانب ضيعة ابن أبي عُيْنَةَ بالبصرة، وكان له إلى جانب ضيعة سَمَاد كثير، فسأله ابن أبي عُيْنَةَ أَنْ يُعْطِيَهُ بَعْضَهُ ليعمر به ضيعة، فلم يفعل، فقال فيه:

رَأَيْتُ النَّاسَ هَمُّهُمْ الْمَعَالِي وَعَيْسَى هَمُّهُ جَمْعُ السَّمَادِ
وَرَزَقُ الْعَالَمِينَ بِكَفِّ رَبِّي وَعَيْسَى رَزَقَهُ فِي اسْتِ الْعِبَادِ
[الوافر]

هكذا ذكره ابن مهرويه، وهذا بيت فاسد، وإنما هو:

إِذَا رَزَقَ الْعِبَادُ فَإِنْ عَيْسَى لَهُ رَزَقٌ مِنْ اسْتِاهِ الْعِبَادِ
[الوافر]

ولابن أبي عُيْنَةَ مع ابن عمه خالد أخبار جَمَّة أذكرها هاهنا والسبب الذي حمله على هجائه.

خالد يتشاغل عنه ويجفوه:

أخبرني عليُّ بنُ سُلَيْمَانَ الْأَخْفَش ببعضها، عن محمد بن يزيد المبرد، وبعدها عمي عن أحمد بن يزيد المهلب عن أبيه، وقد جمعت روايتهما فيما اتفقا عليه، ونسبت كل ما انفرد به أحدهما أو خالف فيه إليه، وذكرت في فصول ذلك وخلاله ما لم يأتيا به مما كتبه عن الرواة، قالوا جميعاً:

ولي خالد بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب جرجان، فسأل يزيد بن حاتم أبا عُيْنَةَ أَنْ يَصْحَبَهُ وَيُخْرِجَ مَعَهُ، ووعدته الإحسان والولاية، وأوسع له المواعيد، وكان أبو عُيْنَةَ جندياً فجرد اسمه في جريدته وأخرج رزقه معه فلما حصل بجرجان أعطاه رزقه لشهر واحد، واقتصر على ذلك، وتشاغل عنه وجفاه، فبلغه أنه قد هجاه، وطعن عليه، وبسط لسانه فيه، وذكره بكل قبيح، عند أهل عمله ووجوه رعيته، فلم يقدر على معاقبته لموضع أبيه وسنه ومحلّه في أهله، فدعا به وقال له: إنه قد بلغني أنك تريد أن تهرب، فإما أن أقمت لي كفيلاً برزقك أو رددته، فأتاه بكفيل، فأعنته^(١) ولم يقبله ولم يزل يردّده حتى ضجر، فجاءه بما قبض من الرزق، فأخذه، ولح أبو عُيْنَةَ في هجائه وأكثر فيه حتى فضحه، فقال فيه، هذا عن أحمد بن يزيد المهلب:

دُنِيَا دَعَوْتُكَ مُسْمِعاً فَأَجِيبِي وَبِمَا اصْطَفَيْتُكَ فِي الْهَوَى فَأَثِيبِي

(١) أعنته: حمّله ما لا يُطيق.

إني بعهدك واثق فشقي بي
ومشيبُ رأسي قبلَ حينٍ مشيبي
يا حسن ذاك إليَّ من تطريبِ
حُزنِ الحبيبةِ من فراقِ حبيبِ
إن البُكا حسنٌ بكلِّ غريبِ
تشفي جَوَى من أنفُسٍ وقلوبِ؟!
واللَّهِ ما أنا بعدها بأريبِ^(١)
ولخالدِ بن يزيدٍ من مصحوبِ
حرباً فدونك فاصطبرْ لحروبي
وأبيت غير تهجِّم وقطوبِ^(٢)
ظهرت فضائحُها على التجريبِ
ووهبتُ للشيطانِ منك نصيبي
نظراً يفرِّجُ كُرْبَةَ المكروبِ
ولأروينَ عليك كلَّ عجبِ
حَبَرْتها بتشكُّرٍ مقلوبِ
ولتُشْتَمَنَّ وأنت غيرُ مهيبِ
ولأشْلينَ^(٤) على نعاذك ذبيبي
[الكامل]

دُومي أدُم لك بالصفاء على النوى
ومن الدليل على اشتياقي عَبرتي
أبكي إليك إذا الحمامة طرّبت
تبكي على فننِ الغصون حزينه
وأنا الغريب فلا ألام على البُكا
أفلا يُنادى للقفول برحلةٍ
ما لي صحت على التعفف خالداً
تباً لصحبة خالدٍ من صحبةٍ
يا خالد بن قبيصةٍ هيّجت بي
لما رأيت ضميرَ غشك قد بدا
وعرفتُ منك خلائقاً جربتها
خلّيت عنك مفارقاً لك عن قلبي^(٣)
فلئن نظرتُ إلى الرُصافة مرّةً
لأمزقنَّك قاعداً بك قائماً
ولتأتينَ أباك فيك قصائد
وليسمعنَ بها الأنام قصيدة
ولأوذيتنَّك مثلما أذيتني

أخوه داود يعرس وهو غائب في جرجان:

قال أحمد بن يزيد في خبره: حدثني أبي قال:

أعرس داودُ بن محمد بن أبي عُيينة أخو أبي عُيينة بالبصرة وأخوه غائب يومئذٍ
مع ابن عمه خالد بجرجان، فكتب داود إلى أخيه يُخبره بسلامته وسلامة أهل بيته،
ويُخبره نقلةً أهله إليه فقال أبو عُيينة في ذلك:

ألا مالعينك معتلّة وما لدموعك مُنهلّة؟!

(١) الأريب: الذكي.

(٢) القطوب: العبوس.

(٣) القلي: الكراهية، البغض، البعد.

(٤) أشلين: أثيرن، أغرين.

وكيف بجرجان صبرُ امرئٍ
وأطولُ بليلىك أطولُ به
وراعك من خيله حاشِرُ
يسوقك نحوهم مُكرهاً
عروس ينعم من تحته
وما مدنف بين عوَّاده
بأوجع مني إذا قيل لي:
ومالي وللري لولا الشقا
أكلَّفُ أجبالها شاتياً
وأهونُ من ذاك لو سَهَّلوه
تروح إلينا بها طربةً
أخالدُ خذ من يدي لطفةً
جمعت خصال الردى^(٤) جملةً
وبعت خصال الندى^(٥) جملةً
ولما تناضل أهلُ العلا
فمالك في المجد يا خالدُ
وأسرعت في هدم ما قد بنى
وكانت من النَّبع عيدانهم
فيا عجباً نبعه أنبتت
ثيابك للعيد مطويةً
أجعت بنيك وأعريتهم

وحيدٍ بها غير ذي خُلَّة^(١)
إذا عسكر القومُ بالآثلة^(٢)
من القوم ليست له قبله
وداودُ بالمِصر في غفلة
سريرو ومن فوقه كَلَّة
ينادي وفي سمعه ثقله
تأهب إلى الرِّي في الرحلة
ء إن كنت عنها لفي عزلة
على فرس أو على بغلة
ركوب القراقير^(٣) في دجلة
رواح الندامى إلى دَلَّة
تغيظ ومن قدمي ركَلَّة
وكم لك في الشر من خُلَّة
لمالك في الخير من حُلَّة
نُضِلت فأذعنت^(٦) للنَّضلة
مُقَرطسة^(٧) لا ولا خصله
أبوك وأشياخه قبله
نُضاراً وعودك من أثلة^(٨)
خلفاً^(٩) وريحانةً بقله
وعرضك للشتم والبذلة
ولم تُؤت في المال من قلَّة

(١) الخُلَّة، بضم الخاء: الحاجة.

(٣) القراقير: ضرب من السفن.

(٥) الندى: الكرم، الجود.

(٧) المقرطة: الصحيفة التي تكتب فيها أمجاد الرجل.

(٨) الأثلة: شجر من فصيلة الطرفائيات يكثر قرب المياه في الأراضي الرملية.

(٩) الخِلاف، بكسر الخاء: ضرب من الصفصاف.

(٢) الأثلة: المجد.

(٤) الردى: الموت.

(٦) أذعن: خضع، ذل.

إذا ما دُعيت لِقَبْضِ العِطَا
وَجُلَّة^(١) تَمَرُ تُغَادِي بِهَا
وَتُقْصِي^(٢) بَنِيكَ وَهَمَّ بِالْعِرا
ولو كان خَبِزٌ وَتَمَرٌ لَدَيْكَ
وَتُصْبِحُ تَقْلَسُ^(٤) عَن تَخْمَةٍ
إِذَا الْحَيُّ رَاعَهُمُ رَائِعٌ
وَلَيْتُ يَصُولُ عَلَي قِرْنِهِ
فَلَلَّهُ دُرُّكَ عِنْدَ الْخِوَا
وإن جَاءَكَ النَّاسُ فِي حَاجَةٍ
وَتَلْقَاهُمْ أَبْدَأُ كَالْحَا^(٨)
فَهَذَا نَصِيبِي مَن خَالِدٍ
فإنِّي لِصُحْبَتِهِ مَبْغُضٌ

ء هِيَّاتَ كَيْسَكَ لِلْعَلَّةِ
فَتَأْتِي عَلَي آخِرِ الْجَلَّةِ
ء نَزَلَهُمُ الْمِلْحُ وَالْمَلَّةُ^(٣)
لَمَّا طَمِعُوا مِنْكَ فِي فَضْلِهِ
كَأَنَّ جُشَاءَكَ^(٥) عَن فِجْلِهِ
فَأَوْهَنُ مَن غَادَةٍ طَفْلَةٍ^(٦)
إِذَا مَا دُعِيَتْ إِلَى أَكْلِهِ
ن^(٧) مَن فَارِسٍ صَادِقِ الْحُمْلَةِ
تَفَكَّرْتَ يَوْمِينَ فِي الْعِلَّةِ
كَأَنَّ قَدْ عَضَضْتَ عَلَي مَقْلَةٍ^(٩)
لَكُمْ هِبَةٌ بَثَّةٌ بِثَلَّةِ^(١٠)
وَلَا خَيْرَ فِي صَحْبَةِ السُّفْلَةِ
[المقارب]

ابن أبي عُيَيْنَةَ يَفْضَحُ خَالِدًا:

حدثني أحمد بن عُبَيْدِ اللَّهِ بن عَمَارِ الثَّقَفِيِّ، قال: حدثني أبو الحسن بن المنجم، قال:

رَأَيْتُ مُسْلِمَ بْنَ الْوَلِيدِ الْأَنْصَارِيِّ يَوْمًا عِنْدَ أَبِي، ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ، فَلَقِيَهُ ابْنُ أَبِي عُيَيْنَةَ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَتَحَقَّى^(١١) بِهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: مَا خَبْرُكَ مَعَ خَالِدٍ؟ قَالَ: الْخَبَرُ الَّذِي تَعْرِفُهُ، ثُمَّ أَنْشَدَهُ قَوْلَهُ فِيهِ:

- (١) الْجُلَّةُ، بضم الجيم: القفَّة الكبيرة.
- (٢) تُقْصِي: تَبْعِدُ.
- (٣) الْمَلَّةُ، بفتح الميم: الملل والضجر.
- (٤) تَقْلَسُ عَن تَخْمَةٍ: تَخْرُجُ مِنْ بَطْنِكَ مَا فِيهِ مِنْ طَعَامٍ كَأَنَّكَ تَجْتَرُّ.
- (٥) الْجُشَاءُ: الْقِيءُ، مَا يَخْرُجُ مِنَ الْفَمِ مِنْ رِيحٍ مَعَ صَوْتٍ عِنْدَ الشَّبَعِ.
- (٦) الطَّفْلَةُ، بفتح الطاء: الرخصة الناعمة من الفتيات.
- (٧) الْخَوَانُ: الْمَائِدَةُ عَلَيْهَا الطَّعَامُ.
- (٨) كَالْحَا: مَقْطَبًا عَابِسًا.
- (٩) الْمَقْلَةُ، بفتح الميم: حِصَاةٌ كَانَ الْمُرْتَحِلُونَ يَضَعُونَهَا فِي الْإِنَاءِ إِذَا قَلَّ الْمَاءُ أَثْنَاءَ رِحْلَتِهِمْ.
- (١٠) بَثْلَةٌ: يُقَالُ يَعْطَا بَثْلًا أَيْ مَنَقُطَعًا لَا يَشْبِهُهُ عَطَاءٌ، وَهِبَةٌ بَثْلَةٌ أَيْ مَنَقُطَعَةٌ لَا يُعْطَى بَعْدَهَا هِبَةٌ.
- (١١) تَحَقَّى بِهِ: أَحْسَنَ اسْتِقْبَالَه وَرَحَّبَ بِهِ.

يا حفصُ عاطٍ^(١) أخاك عاطٍ كَأَسَأْتُهَيِّجُ من نشاطٍ
[مجزوء الكامل]

قال: ومسلم يتبسم من هجائه إياه حتى مرَّ فيها كلها، ثم ختمها بقوله:

وإذا تطاولتِ الرؤو سُنْ فغَطَّ رأسك ثم طاطة^(٢)
[مجزوء الكامل]

فقال له مسلم: مَهْ إنا لله، هتكته والله وأخزيتَه، وإنما كنتُ أظنُّ أنك تمزح وتهزل إلى آخر قولك، حتى ختمته بالجد القبيح، وأفرطت فيما خرجتَ به إليه. ثم مضى وهو يقول: فضحته، والله، هتكته والله.

دِعبِل يستنشد شعره في خالد:

أخبرني عمِّي قال: حدثني أحمد بن يزيد، قال: حدثني أبي، قال:

لقي دِعبِلُ أبا عُيينَةَ، فقال له: أنشدني قولك في ابن عمِّك، فأنشده:

يا حفصُ عاطٍ أخاك عاطٍ كَأَسَأْتُهَيِّجُ من نشاطٍ
صِرْفاً^(٣) يعود لوقوعها كالظبي أطلِق من رباطٍ
صَبَّاطَوَت عنه الهمو مُنْ نعيمه بعد انبساطٍ
فبكى وحقَّ له البكا لشقائه بعد اغتباطٍ
جَزَعَ المَخْنَثُ خالدٌ لما وقعت على قِمَاطٍ^(٤)
فانظر إلى نزواته من منطقي وإلى اختلاطٍ
دعني وإيَّا خالدٍ فلاقطعن غُرى نياطٍ^(٥)
إنني وجدت كلامه فيه مَشَابَه من صُرَاطٍ
رجل يُعدُّ لك الوعي دَ إذا وطئت على بساطٍ
فإذا انتظرت غداءه فخف البوادر من سياطٍ
يا خالُ صدَّ المجدُ عنك فلن تجوزَ على صِرَاطٍ

(١) عاطٍ أخاك: أعطه.

(٢) طاطٍ رأسك: احنيه.

(٣) صرفاً: خالصاً.

(٤) القِمَاط، بكسر القاف: الحجاب تستتر به المرأة.

(٥) النياط: الحدود.

وَعَرِيَتْ مِنْ حُلِّلِ النَّدَى عُرِّيَ الْيَتِيمَ وَمِنْ رِيَاطَةٍ^(١)
فَإِذَا تَطَاوَلَتِ الرُّؤُ سُنْ فَغَطَّ رَأْسُكَ ثُمَّ طَاطَهُ
[مجزوء الكامل]

فقال له دِعبِل: أغرقت والله في النَّزْع، وأسرفت وهتكت ابن عمك وقتلته،
وغضضت منه، وإنما استنشدتك وأنا أظن أنك كنت قلت قولاً متوسطاً كما يقول
الناس، ولو علمت أنك بلغت به هذا كله لما استنشدتك.

قتله قتله والله :

أخبرني بهذا الخبر الحسن بن عليٍّ وعمِّي، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن
مهرويه، قال: حدثني الحسين بن السري، قال:

لما لقي دِعبِلُ أبا عُيَيْنَةَ بن محمد بن أبي عُيَيْنَةَ، فقال له أنشدني بعض ما قلت
في ابن عمك، ثم ذكر الخبر مثل ما ذكره أحمد بن يزيد، وقال فيه: إنما ظننت أنك
قلت فيه قولاً أبقيت معه عليه بعض الإبقاء، ولو علمت أنك بلغت به هذا كله،
وأغرقت هذا الإغراق لما استنشدتك، وجعل يُعيد:

فَغَطَّ رَأْسُكَ ثُمَّ طَاطَهُ .

ويقول: قتله قتله والله .

من مختار ما قاله في خالد :

أخبرني عليُّ بنُ سليمانَ الأَخْفَش، قال: حدثني محمد بن يزيد، قال:

ومن مختار ما قاله في خالد قوله:

قل لدنيا بالله لا تقطعينا واذكرينا في بعض ما تذكرينا
لا تخوني بالغيب عهدَ صديق لم تخافيه ساعةً أن يخونا
واذكرني عيشنا وإذ تنفضُ الرِّب ح علينا الخيري والياسمين
إذ جعلنا الشَّاهِسْفَرَمَ^(٢) فراشاً من أذى الأرض والظلال الغصونا
حفظ الله إخوتي حيث كانوا من بلادٍ سارين أو مُدلجين^(٣)

(١) الرياط، الواحدة، ربطة من الأردية: ثوب يُشبه الملحفة.

(٢) الشاهسفرم: ضرب من النباتات.

(٣) مدلجين: سارين في الليل.

فتيةً نازحون عن كلِّ عيب وهمُ في المكارم الأولونا
 وهمُ الأكثرون بعلم ذاك النَّاس والأطيبون للأطيينا
 أزعجتني الأقدار عنهم وقد كند ست بقربي منهم شحيحاً ضنينا
 وتبدلت خالداً لعنة الله عليه ولعنة اللاعنينا
 رجل يقهر اليتيم ولا يؤر تي زكاةً وينهر المسكيننا
 ويصون الثياب والعرض بال ويرائي ويمنع الماعونا
 نزع الله منه صالح ما أع طاه آمين عاجلاً آميننا
 فلعمرُ المبادرين إلى مكَّة وفداً غادين أو رائجيننا
 إن أضياف خالداً وبنييه ليجوعون فوق ما يشبعونا
 وتراهم من غير نُسك يصومو ن ومن غير علة يحتمونا^(١)
 يا بني خالد دعوه وفرُّوا كم على الجوع ويحكم تصبرونا
 [الخفيف]

من مشهور شعره في خالد :

قال محمد بن يزيد: ومن مشهور شعره فيه قصيدته التي أولها :

ألا خبروا إن كان عندكم خبرُ أنقل أم نثوي^(٢) على الهم والضجرُ
 نفى النوم عن عيني تعرض رحلة بها الهم واستولى بها بعده السهرُ
 فإن أشك من ليلي بجرجان طوله لقد كنت أشكو فيه بالبصرة القصرُ
 فيا حبذا بطن الحزير وظهره ويا حسن واديه إذا ماؤه زخرُ
 ويا حبذا نهر الأبلّة منظرأ إذا مدّ في إبانة النهر أو جزرُ
 وفتيان صدق همهم طلب العلا وسيماهم^(٣) التحجيل^(٤) في المجد والغرُ
 لعمري لقد فارقتهم غير طائع ولا طيب نفساً بذاك ولا مقرُ
 وقائلة: ماذا نأى بك عنهم فقلت لها: لا علم لي فسلي القدرُ
 فيا سفرأ أودى بلهوي ولذاتي ونعّصني عيشي عديمتك من سفرُ
 دعوني وإيا خالد بعد ساعة سيحمله شعري على الأبلق الأغر^(٥)

(١) يحتمون: يتحاشون ويمتنعون عن التعاون. (٢) نثوي: نستقرّ في مكاننا.

(٣) سيماهم: ما يميّزهم من علامات. (٤) التحجيل: بياض الوجه والجباه.

(٥) الأبلق الأغر: ما كان في وجهه بياض ونضرة وإشراق.

كَأَنِّي بِصِدْقِ الْقَوْلِ لَمَّا لَقِيْتُهُ وَأَعْلَمْتُهُ مَا فِيهِ أَلْقَمْتُهُ الْحَجَرُ
 ذَنِيءٌ بِهِ عَنْ كُلِّ خَيْرٍ بِلَادَةٌ لِكُلِّ قَبِيحٍ عَنْ ذِرَاعِيهِ قَدْ حَسَرُ
 لَهُ مِنْظَرُ يُعْمِي الْعَيُونَ سَمَاجَةٌ^(١) وَإِنْ يُخْتَبِرُ يَوْمًا فَيَا سَوْءَ مُخْتَبِرُ
 أَبُوكَ لَنَا غَيْثٌ يُعَاشُ بِوَبْلِهِ^(٢) وَأَنْتَ جَرَادٌ لَيْسَ تُبْقِي وَلَا تَذَرُ
 لَهُ أَثَرٌ فِي الْمَكْرَمَاتِ يَسْرُنَا وَأَنْتَ تُعَفِّي^(٣) دَائِمًا ذَلِكَ الْأَثَرُ
 لَقَدْ قَنَعْتَ قَحْطَانُ خَزِيًّا بِخَالِدٍ فَهَلْ لَكَ فِيهِ يُخْزِكَ اللَّهُ يَا مُضَرُّ!

[الطويل]

فأخبرني عيسى بن الحسين، قال: حدثني الزبير بن بكار، قال: حدثني عمي،

قال:

أُنشد الرشيدُ قولَ ابن أبي عُيَيْنَةَ:

لَقَدْ قَنَعْتَ قَحْطَانُ خَزِيًّا بِخَالِدٍ فَهَلْ لَكَ فِيهِ يَخْزِكَ اللَّهُ يَا مُضَرُّ

[الطويل]

فقال الرشيد: بل يُوقَرُونَ وَيُشْكِرُونَ.

يهجو خالدًا ويمدح أباه في بيت واحد:

أخبرني محمد بن يحيى الصولي، قال: قال لنا أبو العباس محمد بن يزيد:
 لم يجتمع لأحد من المحدثين في بيت واحد هجاء رجلٍ ومدحُ أبيه كما اجتمع
 لابن أبي عُيَيْنَةَ في قوله:

أَبُوكَ لَنَا غَيْثٌ نَعِيشُ بِوَبْلِهِ وَأَنْتَ جَرَادٌ لَيْسَ تُبْقِي وَلَا تَذَرُ

[الطويل]

يتوعد خالدًا:

وقال محمد بن يزيد: ومن جيد قوله أيضاً يهجو خالدًا هذا:

عَلَى إِخْوَتِي مَنِي السَّلَامُ تَحِيَّةٌ تَحِيَّةٌ مُثْنٍ بِالْأُخُوَّةِ حَامِدُ
 وَقُلْ لَهُمْ بَعْدَ التَّحِيَّةِ أَنْتُمْ بِنَفْسِي وَمَالِي مِنْ طَرِيفٍ وَتَالِدُ
 وَعَزَّ عَلَيْهِمْ أَنْ أَقِيمَ ببلدة أَخَا سَقَمٍ^(٤) فِيهَا قَلِيلَ الْعَوَائِدِ^(٥)

(٢) الوبل: الكرم والجود.

(١) سماجة: قباحة وثقل ظل.

(٤) السقم: المرض.

(٣) تُعَفِّي: تمحو.

(٥) العوائد، الواحد عائد: الزائرون في حالة المرض.

لئن ساءهم ما كان من فعلِ خالدٍ وقد علموا أن ليس مني بمفليتٍ
 وأخالدُ لا زالت من الله لعنةُ أخالدُ كانت صُحبَتِيكَ ضلالةُ
 وأرسلَ يبغي الصلحَ لما تكتفتُ فأرسلت بعد الشرِّ أني مسالمٌ
 لقد سرَّهم ما قد فعلت بخالدٍ ولا يومه المسكينُ مني بواحدٍ
 عليك وإن كنت ابن عمِّي وقائدي عصيت بها ربي وخالفْتُ والدي
 عوارضَ جنبه سياطُ القوائدِ إلى غير ما لا تشتهي غيرُ عائدٍ
 [الطويل]

أهجي المحدثين :

أخبرني عمِّي، قال: حدثنا الكرائي، قال: زعم القحزمي:
 أن الرشيد قال للفضل بن الربيع: من أهجي المحدثين عندك يا فضلُ في عصرنا
 هذا؟ قال الذي يقول في ابن عمه:

لو كما ينقصُ يزدا خالداً لولا أبوه
 كان والكلبُ سواء أنا ما عشتُ عليه
 أسوأُ الناس ثناءً إن من كان مُسيئاً
 لحقيق أن يُساء

[مجزوء الرمل]

فقال الرشيد: هذا ابن أبي عيينة، ولعمري لقد صدقت.

ابن أبي عيينة يكتب إلى الهادي فيصله ويسحبه من جيش خالد:

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال:
 حدثني أبي، قال:

كان ابن أبي عيينة مع ابن عمه خالد بجرجان، فأساء به وجفاه، وكان لابن أبي
 عيينة صديقان من جند خالد من أهل البصرة، أحدهما مهلب، والآخر مولى للأزد،
 وكلهم شاعر ظريف، فكانوا يمدحون السَّراة^(١) من أهل جرجان، فيُصيبون منهم ما
 يقوتهم، وولي موسى الهادي الخلافة، فكتب ابن أبي عيينة إلى من كان في خدمة
 الخلفاء من أهله بهذه القصيدة:

(١) السَّراة، الواحد سري: السادة الأشراف.

كيف صبري ومنزلي جرجان
نحن فيها ثلاثة حلفاء
نتساقى الهوى ونطرب للذكر
وإذا ما بكى الحمّام بكينا
يا زماني الماضي ببغداد عُدْ لي
يا زماني المسيء أحسن فقيماً
ما يُريد العُدّال مني أما يُد
ويقولون: امْلِكْ هَوَاكَ وَأَقْصِرْ
أَيُّهَا الْكَاتِمُ الْحَدِيثُ، وَقَدْ طَا
قَدْ لِعَمْرِي عَرَّضْتَ حِيناً فَبَيَّنْ
وَاتَّخِذْ خَالِداً عَدُوّاً مُبِيناً
وَالَهُ عَنْهُ فَمَا يَضُرُّكَ مِنْهُ
وَلِعَمْرِي لَوْلَا أَبَوُهُ لَنَالَتْ
قُلُوبُ لَفْتِيَانِنَا الْمُقِيمِينَ بِالْبَا
لَا تَخَافُوا الزَّمَانَ قَدْ قَامَ مُوسَى
أَوْ لَمْ تَأْتِهِ الْخِلَافَةُ طَوْعاً
فَهِيَ مُنْقَادَةٌ لِمُوسَى وَفِيهَا
قُلُوبُ لِمُوسَى يَا مَالِكَ الْمَلِكِ طَوْعاً
أَنْتَ بَحْرٌ لَنَا وَرَأْيُكَ فِينَا
فَاكْفِنَا خَالِداً فَقَدْ سَامَنَا الْخَسْ
كَمْ إِلَى كَمْ تُغْضِي عَلَى الذِّلِّ مِنْهُ

والعراق البلاد والأوطان
وندامى على الهوى إخوان
كما تُطربُ النشاوى^(١) القيان
لبكاه كأننا صبيان
طالما قد سررتني يا زمان
كان عندي من فعلك الإحسان
ترك أيضاً بغمّه الإنسان
قلت مالي على الهوى سلطان
ل به الأمر وانتهى الكتمان
ليس بعد التعريض إلا البيان
ما تعادى الإنسان والشيطان
عضّ كلب ليست له أسنان
به بسوء مني يدّ ولسان
ب ثَقُّوا بالنجاح يا فتیان
فَلَكُمْ مِنْ رَدَى^(٢) الزمان أمان
طاعة ليس بعدها عصيان
عن سواه تقاعس وجران
بقيادي وفي يديك العنان^(٣)
خير رأي، رأي لنا سلطان
ف^(٤) رماه لحتفه الرحمن
وإلى كم يكون هذا الهوان

[الخفيف]

قال فلما أنشدت هذه الأبيات موسى الهادي أمر له بصيلة، وأعطاه ما فات من رزقه، وأقفل^(٥) من جيش خالد إليه.

(٢) ردى الزمان: هلاكه.

(٤) الخسف: الجور.

(١) النشاوى، الواحد نشوان: السكران.

(٣) العنان، بكسر العين: القيادة، الرسن.

(٥) أقفله: أرجعه، أعاده.

صوت

أَيْنَ مَحَلِّ الْحَيِّ يَا وادي خَبْرُ سَقَاكَ الرَّائِحُ الْغَادِي
 بَيْنَ خَدُورِ^(١) الظُّعْنِ^(٢) مُحْجُوبَةِ حَذَا بِقَلْبِي مَعَهَا الْحَادِي^(٣)
 مُسْتَصْحِبٌ لِلْحَرْبِ خَيْفَانَةٌ^(٤) مِثْلَ عُقَابِ السَّرْحَةِ^(٥) الْعَادِي
 وَأَسْمَرُ^(٦) فِي رَأْسِهِ أَزْرَقُ مِثْلَ لِسَانِ الْحَيَّةِ الصَّادِي
 [السريع]

الشعر لدعبل بن علي الخزاعي، والغناء لأحمد بن يحيى المكي خفيف ثقیل
 مطلق في مجرى الوسطى عن أبي عبد الله الهشامي.

(١) الخدور: النساء اللواتي يلازم من بيوتهن.

(٢) الظعن، بضم الظاء: الراحلات في هودجهن.

(٣) الحادي: المغني لقافلة الإبل كي تسرع في سيرها.

(٤) الخيفانة من النياق: المسرعة.

(٥) السرحة: ضرب من الشجر العظيم.

(٦) الأسمر: القناة، الرمح.

أخبار دِعبِل بن علي ونسبه

اسمه ونسبه :

هو دِعبِل بن علي بن رَزِين بن سُليمان بن تميم بن نهشل، وقيل بهنس بن خِداش بن خالد بن عبد بن دِعبِل بن أنس بن حُزَيْمَة بن سلامان بن أسلم بن أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامر مزيقيا .

تعصّبه على النزارية للقحطانية :

ويُكنّى أبا عليّ، شاعر متقدم مطبوع هجاء خبيث اللسان، لم يسلم منه أحد من الخلفاء ولا من وزرائهم ولا أولادهم، ولا ذو نباهة أحسن إليه أو لم يُحسن، ولا أفلت منه كبيرٌ أحدٍ، وكان شديد التعصب على النزارية للقحطانية، وقال قصيدة يردّ فيها على الكُميت بن زيد ويُناقضه في قصيدته المذهبة التي هجا بها قبائل اليمن :

أَلا حُيِّتِ عَنَّا يَا مَرِينَا .

فرأى النبي ﷺ في النوم فنهاه عن ذكر الكُميت بسوء، وناقضه أبو سعد المخزومي في قصيدته وهاجاه وتناول الشرّ بينهما، فخافت بنو مخزوم لسان دِعبِل وأن يعمّهم بالهجاء، فنفوا أبا سعد عن نسبهم، وأشهدوا بذلك على أنفسهم، وكان دِعبِل من الشيعة المشهورين بالميل إلى عليّ صلوات الله عليه، وقصيدته :

مدارس آيات خلت من تلاوة .

من أحسن الشعر وفاخر المدائح المقولة في أهل البيت عليهم السلام، وقصد بها الرضا أبا الحسن عليّ بن موسى عليه السلام بخراسان، فأعطاه عشرة آلاف درهم من الدراهم المضروبة باسمه، وخلع عليه خلعة من ثيابه، فأعطاه بها أهل قُم ثلاثين ألف درهم، فلم يبيعها، فقطعوا عليه الطريق وأخذوها، فقال لهم: إنها تُراد لله عزّ وجلّ، وهي مُحَرَّمَة عليكم، فدفَعوا إليه ثلاثين ألف درهم، فحلف ألا يبيعها أو يُعطوه بعضُها ليكون في كفه، فأعطوه فَرَدَ كُم فُكان في أكفانه، وكتب قصيدته «مدارس آيات» فيما يُقال على ثوب وأحرم فيه، وأمر أن يكون في أكفانه، ولم يزل مرهوب اللسان وخائفاً من هجائه للخلفاء، فهو دهره كلّ متوارٍ هارب .

يحمل خشبته على كتفه :

حدثني إبراهيم بن أيوب، قال: حدثنا عبد الله بن مسلم بن قتيبة قال: رأيت دعل بن علي وسمعتة يقول: أنا أحمل خشبتي على كتفي منذ خمسين سنة لست أجد أحداً يصلبني عليها.

وحدثني عمي، قال: حدثنا ميمون بن هارون، قال: قال إبراهيم بن المهدي للمأمون قولاً في دعل يحرضه عليه، فضحك المأمون وقال: إنما تحرضني عليه لقوله فيك:

يا معشر الأجناد لا تقنطوا وارضوا بما كان ولا تسخطوا
فسوف تعطون حنينية يلتذها الأمر والأشمط^(١)
والمعبدات لقوادكم^(٢) لا تدخل الكيس ولا تربط
وهكذا يرزق قواده خليفة مصحفه البربط^(٣)

[السريع]

فقال له إبراهيم: فقد والله هجاك أنت أيضاً يا أمير المؤمنين، فقال: دع هذا عنك، عفوت عنه في هجائه إياي لقوله هذا، وضحك، ثم دخل أبو عبّاد، فلما رآه المأمون من بُعد قال لإبراهيم: دعل يجسر على أبي عباد بالهجا ويحجم^(٤) عن أحد؟ فقال له: وكأنّ أبا عبّاد أبسط يداً منك يا أمير المؤمنين؟ قال: لا، ولكنه حديد جاهل، لا يؤمن، وأنا أحلم وأصفح، والله ما رأيت أبا عبّاد مقبلاً إلا أضحكني قول دعل فيه:

أولى الأمور بضيعة وفساد أمر يدبره أبو عبّاد
وكأنه من دير هرقل مفلت حرّ^(٥) يجر سلاسل الأقياد

[الكامل]

أبوه يقول الشعر :

أخبرني الحسن بن عليّ الخفاف، قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني أبي، قال:

- (١) الأشمط: من خالط سواد شعره بياض.
- (٢) الحنينية والمعبدات: نسبة لحنين ومعبد المعنيين.
- (٣) البربط: ضرب من آلات الموسيقى.
- (٤) يحجم: يمتنع.
- (٥) الحرّ: الغضب، أو المعتزل عن قومه المنفرد عنهم.

أخبرني دَعْبِل بن عليّ قال: قال لي أبي عليُّ بنُ رزين: ما قلت شيئاً من الشعر قطّ إلا هذه الأبيات:

خليلي! ماذا أرتجى من غدٍ امرئٍ طوى الكشح^(١) عني اليوم وهو مَكِينُ؟
وَأَن امرأً قد ضنَّ منه بمنطقٍ يسُدُّ به فقرَ امرئٍ لَضْنينُ
[الطويل]

وبيتين آخرين وهما:

أقول لَمَّا رأيت الموتَ يطلبني ياليتني درهمٌ في كيسٍ مِيّاح^(٢)
فيا له درهماً طالت صيانتَه لا هالكٌ ضيعةً يوماً ولا ضاحي
[البسيط]

ما معنى: دَعْبِل؟

أخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم الكاتب، قال: حدثني أبو هِفان، قال: قال لي دَعْبِل: قال لي أبو زيد الأنصاري: ممَّ اشتقَّ دَعْبِل؟ قلت: لا أدري، قال: الدَّعْبِل الناقَةُ التي معها ولدها.

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال: حدثني العنزي، قال: حدثني محمد بن أحمد بن أبي أيوب، قال:

دَعْبِلُ اسمه محمد، وكنيته أبو جعفر، ودَعْبِلُ لَقْبٌ لُقِبَ به.

وحدثني بعض شيوخنا، عن أبي عمرو الشيباني، قال:

الدَّعْبِلُ البعيرُ المُسن.

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: سمعت حذيفة بن محمد الطائي، يقول:

الدَّعْبِلُ: الشيء القديم.

قال ابن مهرويه: سمعت أبي، يقول:

ختم الشعرُ بدَعْبِل.

قال: وقال أبي: كان أبو محلم، يقول: خُتم الشعرُ بعمارة بن عقيل.

(١) طوى الكشح: أضمر العداء.

(٢) المِيّاح: هو من يغترف الماء بيده.

رده على الكُميت يحطّ من شأنه :

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا ابن مَهرويه، قال: سمعت أبي يقول: لم يزل دَعْبَلُ عندنا جليل القدر وعند الناس حتى ردّ على الكُميت بن زيد. ألا حُيِّتَ عنا يا مرينا. فكان ذلك مما وضعه.

قال: وقال فيه أبو سعد المخزوميّ:

وَأَعْجَبُ مَا سَمِعْنَا أَوْ رَأَيْنَا هَجَاءَ قَالَهُ حَيٌّ لِمَيِّتٍ
وهذا دَعْبَلٌ كَلَفَ مُعَنَّى بتسطير الأهاجي في الكُميت
وما يهجو الكُميت وقد طواه الردى إلا ابنُ زانيةٍ بِزَيْتٍ
[الوافر]

يظن اللقب شتماً :

أخبرني عليّ بن سُلَيْمَانَ الأَخْفَش، قال: حدثني محمد بن يزيد، قال: حدثني دَعْبَل، قال: كنت جالسا مع بعض أصحابنا ذات يوم، فلما قمت سألت رجلاً لم يعرفني أصحابنا عني، فقالوا: هذا دَعْبَل، فقال: قولوا في جليسكم خيراً، كأنه ظن اللقب شتماً.

يصاح بالمجنون: دَعْبَل، فيفيق!!

أخبرني عليّ بن سُلَيْمَانَ، قال: حدثني محمد بن يزيد، قال: حدثني دَعْبَل، قال: صُرِعَ مجنون مرة، فصحت في أذنه: دَعْبَل، ثلاث مرات، فأفاق.

وأخبرني بهذين الخبرين الحسن بن عليّ، عن ابن مَهرويه، عن محمد بن يزيد عن دَعْبَل، وزاد فيه.

قال دَعْبَل: وُصِرِعَ مرة مجنون بحضرتي، فصحت به: دَعْبَل ثلاث مرات فأفاق من جنونه.

سبب خروجه من الكوفة :

وأخبرني محمد بن عمران الصيرفيّ أبو أحمد، قال: حدثنا الحسن بن عليل العنزّي، قال حدثني عليّ بن أبي عمرو بن شيبان، قال: حدثني أبو خالد الخزاعيّ

الأسلمي. قال العنزي: وقد كتبت عن أبي خالد أشياء كثيرة، ولم أكتب عنه هذا الخبر، قال:

كان سبب خروج دِعبِل بن عليٍّ من الكوفة أنه كان يتشَطَّر^(١) ويصحب الشطَّار، فخرج هو ورجل من أشجع فيما بين العشاء والعتمة، فجلسا على طريق رجل من الصيارفة، وكان يروح كل ليلة بكسبه إلى منزله، فلما طلع مقبلاً إليهما وثبا إليه فجرّحاه وأخذ ما في كفه، فإذا هي ثلاث رمانات في خرقة، ولم يكن كيسه ليلتئذ معه، ومات الرجل مكانه، واستتر دِعبِل وصاحبه، وجدَّ أولياء الرجل في طلبهما، وجدَّ السلطان في ذلك، فطال على دِعبِل الاستتار، فاضطر إلى أن هرب من الكوفة، قال أبو خالد: فما دخلها حتى كتبت إليه وكتب إليه أهله أنه لم يبق من أولياء الرجل أحد.

التهجاء خير من المديح:

أخبرني محمد بن عمران، قال: حدثني العنزي، قال: حدثني أبو خالد الخزاعي الأسلمي، قال:

قلت لدِعبِل: ويحك، قد هجوت الخلفاء والوزراء والقواد، ووترت الناس جميعاً، فأنت دهرٌ كله شريدٌ طريدٌ هارب خائف، فلو كففت عن هذا وصرفت هذا الشعر عن نفسك، فقال: ويحك إني تأملت ما أقول فوجدت أكثر الناس لا يُنتفع بهم إلا على الرهبة، ولا يبالي بالشاعر وإن كان مُجيداً إذا لم يخف شره، ولمن يتقيك على عرضه أكثر ممن يرغب إليك في تشريفه، وعيوبُ الناس أكثر من محاسنهم، وليس كل من شرفته بشعر شرف، ولا كل من وصفته بالجود والمجد والشجاعة ولم يكن ذلك فيه انتفع بقولك، فإذا رأكَ قد أوجعت عرض غيره وفضحته اتقاكَ على نفسه، وخاف من مثل ما جرى على الآخر، ويحك يا أبا خالد إن التهجاء المقذع آخذٌ بضُبع الشاعر من المديح المُضرع، فضحكت من قوله وقلت: هذا والله مقال من لا يموت حتف أنفه.

البيت الذي عرف به:

أخبرني الحسن بن عليٍّ، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني الحَمَدَوِيّ الشاعر، قال: سمعت دِعبِل بن عليٍّ يقول: أنا ابنٌ قولي:

(١) يتشَطَّر: يقوم بعمل الشطَّار، وهم من يقطعون الطرقات ويسلبون الناس أموالهم.

لَا تَعْجَبِي يَا سَلَمَ مِنْ رَجُلٍ ضَحَكَ الْمَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى
[الكامل]

وسمعت أبا تمام يقول: أنا ابن قولي:

نَقُلْ فَوَإِذَاكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الْهَوَى مَا الْحَبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ
[الكامل]

قال الحمدوي: وأنا ابن قولي في الطيلسان:

طَالَ تَرْدَادُهُ إِلَى الرَّفْوِ حَتَّى لَوْ بَعَثْنَاهُ وَحْدَهُ لَتَهْدَى^(١)
[الخفيف]

قال الحمدوي: معنى قولنا: أنا ابن قولي، أي أنني به عرفت.

دعبل يسرق المعنى من مسلم:

أخبرني علي بن صالح، قال: حدثني أبو هفان، قال:

قال مسلم بن الوليد:

مُسْتَعْبِرٌ يَبْكِي عَلَى دِمْنَةٍ وَرَأْسُهُ يَضْحَكُ فِيهِ الْمَشِيبُ
[السريع]

فسرقه دعبل، فقال:

لَا تَعْجَبِي يَا سَلَمَ مِنْ رَجُلٍ ضَحَكَ الْمَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى
[الكامل]

فجاء به أجود من قول مسلم، فصار أحق به منه، قال أبو هفان: فأنشدت يوماً
بعض البصريين الحمقى قول دعبل:

ضحك المشيب برأسه فبكى.

فجاءني بعد أيام فقال: قد قلت أحسن من البيت الذي قاله دعبل، فقلت له:
وأي شيء قلت؟ فتمنع ساعة ثم قال: قلت:

قهقهه في رأسه القتير.

أخبرني بهذه الحكاية الحسن بن علي عن ابن مهرويه عن أبي هفان فذكر مثله
سواء، وزاد ابن مهرويه في الخبر: وحدثني الحمدوي، قال: سمع رجل قول
المأمون:

(١) تهدي: استطاع العثور على طريقه دون سابق تجربة.

قَبَّلْتُهُ مِنْ بَعِيدٍ فاعْتَلَّ مِنْ شَفْتَيْهِ

[المجث]

فقال :

رق حتى تورمت شفّته إذ توهمّت أنّ أقبّل فاه

[الخفيف]

يسمع شعراً قاله منذ سبعين سنة :

أخبرني الحسن بن عليّ، قال : حدثني ابنُ مهرويه، قال : حدثني أبو ناجية - وزعم أنه من ولد زهير بن أبي سلمى - قال :

كنت مع دِعبِل في شهر زور، فدعانا رجل إلى منزله، وعنده قينة محسنة، فغنت الجارية بشعر دِعبِل :

أين الشباب وأيّّة سلكا لا أين يُطلب ضلّ بل هلكا؟!

[الكامل]

قال : فارتاح دِعبِل لهذا الشعر، وقال : قد قلت هذا الشعر منذ سبعين سنة .

(نسبة هذا الغناء)

صوت

أين الشباب وأيّّة سلكا لا أين يُطلب ضلّ بل هلكا؟!
لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكي
يا ليت شعري كيف يومكما يا صاحبيّ إذا دمي سُفكا
لا تأخذوا بظلامتي أحداً قلبي وطرفي في دمي اشتركا

[الكامل]

الغناء لأحمد بن المكيّ ثقیل أول بالوسطى مطلق .

يسرق من قول الحسين بن مطير الأسدي :

أخبرني الحسن بن عليّ، قال : حدثنا ابن مهرويه، قال : حدثني أبو المثنى أحمد بن يعقوب ابن أخت أبي بكر الأصمّ، قال :

كنا في مجلس الأصمعيّ فأنشده رجل لدِعبِل قوله :

لا تعجبي يا سَلَمَ من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى

[الكامل]

فاستحسننا، فقال الأصمعيّ: إنما سرقه من قول الحسين بن مطير
الأسديّ:

أَيْنَ أَهْلُ الْقَبَابِ بِالْدهْنَاءِ أَيْنَ جِيرَانُنَا عَلَى الْأَحْسَاءِ؟!
فَارْقُونَا وَالْأَرْضُ مُلْبَسَةٌ نَو رَ الْأَقَا حِي تُجَادُ بِالْأَنْوَاءِ^(١)
كُلَّ يَوْمٍ بِأَقْحَوَانٍ جَدِيد تَضْحَكُ الْأَرْضُ مِنْ بَكَاءِ السَّمَاءِ

[الخفيف]

ديك دعبل:

أخبرني أحمد بن العباس العسكري، قال: حدثني الحسن بن عليل العنزي،
قال: حدثني أحمد بن أبي كامل، قال:

كنا يوماً بدار صالح رجل من عبد القيس ببغداد، ومعنا جماعة من أصحابنا،
فسقط على كنيسة في سطحه ديك طار من دار دعبل، فلما رأيناه قلنا: هذا صيدنا،
فأخذناه، فقال صالح: ما نصنع به؟ قلنا: نذبحه، فذبحناه وشوينا، وخرج دعبل
فسأل عن الديك، فعرف أنه سقط في دار صالح، فطلبه منا فجحدناه^(٢)، وشرينا
يومنا، فلما كان من الغد خرج دعبل فصلى الغداة، ثم جلس على باب المسجد،
وكان ذلك المسجد مجمعا للناس، يجتمع فيه جماعة من العلماء، ويتنابهم الناس^(٣)،
فجلس دعبل على المسجد ثم أنشدهم:

أَسْرَ الْمُؤَذَّنَ صَالِحٌ وَضِيؤُهُ أَسْرَ الْكَمِيِّ هَفَا خِلَالِ الْمَاقِطِ^(٤)
بَعَثُوا عَلَيْهِ بَنِيهِمْ وَبَنَاتِهِمْ مِنْ بَيْنِ نَاتِفَةٍ وَآخِرِ سَامِطِ
يَتَنَازَعُونَ كَأَنَّهُمْ قَدْ أَوْثَقُوا خَاقَانُ^(٥) أَوْ هَزَمُوا كَتَائِبَ نَاعِطِ
نَهَشُوهُ فَانْتَزَعَتْ لَهُ أَسْنَانَهُمْ وَتَهَشَّمتْ أَقْفَاؤُهُمْ بِالْحَائِطِ

[الكامل]

قال: فكتبها الناس عنه ومضوا، فقال لي أبي، وقد رجع إلى البيت: ويحكم،
ضائق عليكم المأكَل فلم تجدوا شيئا تأكلونه سوى ديك دعبل؟ ثم أنشدنا الشعر وقال

(١) الأنواء: الأمطار.
(٢) جحدناه: أنكرناه.
(٣) يتنابهم الناس: يترددون إلى بيوتهم.
(٤) المايط: المضيق في الحرب.
(٥) الخاقان: رتبة من رتب الفرس، يطلق على سيد الإقليم.

لي: لا تدع ديكاً ولا دجاجة تقدر عليها إلا اشتريته وبعثت به إلى دِعبِل، وإلا وقعنا في لسانه، ففعلت ذلك.

قال: وناعط قبيلة من همدان، ومجالد بن سعيد ناعطي، قال: وأصله جبل نزلوا به فنسبوا إليه.

يعدُّ الهجاء قبل أن يعرف صاحبه:

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا ابن مَهرويه، قال: حدثني أحمد بن أبي كامل، قال:

كان دِعبِل يُنشدني كثيراً هجاءً قاله، فأقول له: فيمن هذا؟ فيقول: ما استحقه أحد بعينه بعد، وليس له صاحب، فإذا وجد^(١) على رجل جعل ذلك الشعر فيه وذكر اسمه في الشعر.

وقد أخبرني الحسن بن علي عن ابن مَهرويه عن أحمد بن أبي كامل بهذا الخبر بعينه، وزاد فيه - فيما ذكر ابن أبي كامل - أنه كان عند صالح هذا في يوم أخذ ديك دِعبِل، قال: وهو صالح بن بشر بن صالح بن الجارود العبدي.

يمدح أبا نضير فلا يرضيه فيهجوه:

أخبرني محمد بن عمران، قال: حدثني العنزي قال: حدثني أحمد بن محمد بن أبي أيوب، قال:

مدح دِعبِل أبا نضير بن حميد الطوسي، فقصر في أمره ولم يرضه من نفسه، فقال عند ذلك دِعبِل فيه يهجوه:

أبا نَضير تحلحل عن مجالسنا فإن فيك لمن جارك مُنتَقِصا
أنت الجمار حروناً إن وقعت به وإن قصدت إلى مربوعه قَمَصا^(٢)
إني هزرتك لا آلوك^(٣) مجتهداً لو كنت سيفاً ولكني هزرت عصا
[البسيط]

أبو تمام يهجوه ويتوعده:

قال فشكاه أبو نضير إلى أبي تمام الطائي، واستعان به عليه، فقال أبو

(١) وجد: غضب، حنق.

(٢) قمص الفرس: رفع يديه معاً وطرحهما معاً وعجن برجليه.

(٣) آلوك: أحملك رسالة.

تمام يُجيب دِعبِل بن عليّ عن قوله ويهجوّه ويتوعده :

أدْعِبْلُ إِن تَطَاوَلَتِ اللَّيَالِي عَلَيْكَ فَإِنْ شَعَرِي سُمُّ سَاعَهُ
وما وفد المشيب عليك إلا بأخلاق الدناءة والوضاعة
ووجهك إن رَضِيتَ به نديماً فأنت نسيجٌ وحدك في الرِّقَاعَةِ^(١)
ولو بدّلته وجهاً بوجهي لما صليتُ يوماً في جماعه
ولكن قد رزقتَ به سلاحاً لو استعصيت ما أدّيت طاعه
مناسب طيِّبٍ قُسمت فدعها فليست مثل نسبك المشاعة
وروّح منكبيك فقد أعيدا حُطاماً من زحامك في خزاعه
[الوافر]

قال العنزّي: يقول: إنك تراحم خزاعة تدّعي أنك منهم ولا يقبلونك.

الخاركي البصريّ يهجوّه:

أخبرني محمد بن عمران، قال: حدثني العنزّي، قال: حدثني محمد بن أحمد بن أبي أيوب، قال:

تعرّض الخاركي البصريّ، وهو رجل من الأزد، لدِعبِل بن عليّ وهجاه وسبّه فقال فيه دِعبِل:

وشاعر عرّض لي نفسَه لـخارك أبأؤه تـنـمـي
يشتم عرّضي عند ذكري وما أمسى ولا أصبح من همّي
فقلت: لا بل حبّذا أمّه خيِّرة طاهرة علمي
أكذبُ واللّه على أمّه ككذبه أيضاً على أمي
[السريع]

أجسر الناس وأقدمهم:

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا ابن مهيويه، قال: حدثني إبراهيم بن المدبر، قال:

لقيت دِعبِل بن عليّ فقلت له: أنت أجسر الناس عندي وأقدمهم حيث تقول:

إني من القوم الذين سيوفهم قتلت أذاك وشرفتك بمقعد

(١) الرِّقَاعَة: الحمق وقلة الحياء.

رفعوا محلّك بعد طول خُمولِه واستنقذك من الحضيض الأوهْد^(١)
 فقال لي: يا أبا إسحاق، أنا أحمل خشبتي منذ أربعين سنة فلا أجد من يصلبني
 عليها.

دِعبِل يرثي ابن عمه:

أخبرني عليّ بن سُلَيْمان الأَخْفَش، قال: حدثنا محمد بن يزيد، قال:
 قال دِعبِل بن علي يرثي ابن عمّ له من خُزاعة نُعيّ إليه، قال محمد بن يزيد:
 ولقد أحسن فيها ما شاء:

كانت خُزاعة ملء الأرض ما اتَّسَعَتْ فقَصَّ مرُّ الليالي من حواشيها
 هذا أبو القاسم الثاوي^(٢) ببلقعة^(٣) تسفي الرياح^(٤) عليه من سوافيها
 هبَّت وقد علمت أن لا هبوبَ به وقد تكون حَسيراً^(٥) إذ يُباريها
 أضحى قرى للمنايا إذ نزلن به وكان في سالف الأيام يقريها
 [البسيط]

حدثني الحسن بن عليّ، عن ابن مَهْرويه، عن أبيه فذكر أن المنعِيّ إلى دِعبِل
 أبو القاسم المطلب بن عبد الله بن مالك، فإنه نُعيّ إلى دِعبِل وكان هو بالجبل، فرثاه
 بهذه الأبيات.

دِعبِل يُعَيِّر إسماعيل بن جعفر:

أخبرني الأَخْفَش قال: حدثنا محمد بن يزيد، قال:
 بلغ إسماعيل بن جعفر بن سُلَيْمان أن دِعبلاً هجاه، فتوعده بالمكروه وشتمه،
 وكان إسماعيل بن جعفر على الأهواز، فهرب من زيد بن موسى بن جعفر بن
 محمد، لما ظهر وبيّض^(٦) في أيام أبي السرايا، فقال دِعبِل بن عليّ يُعَيِّر إسماعيل
 بذلك:

(١) الحضيض الأوهْد: المنخفض جداً. (٢) الثاوي: المقيم.

(٣) البلقعة: الأرض القفر حيث لا أنيس ولا ماء.

(٤) تسفي الرياح: تثير الغبار بحيث تغَيّر معالم الطبيعة.

(٥) الحسير: من اشتدت حسرته وندامته على أمر قد فات.

(٦) بيّض: ارتدى لباساً أبيض، وهو شعار فرقة الثنوية، خلاف العباسيين الذين اتخذوا السواد شعاراً
 لهم.

لقد خَلَّفَ الأهوازَ من خَلْفَ ظهره وزيدٌ وراءَ الزَّابِ من أرضِ كَسْكَرِ
يُهوِّلُ إسماعيلُ بالبيض^(١) والقنا^(٢) وقد فرَّ من زيدِ بن موسى بن جعفرِ
وعاينته في يومِ خَلَى حريمه فيا فُبَحِّها منه ويا حُسْنَ منظرِ
[الطويل]

دِعبِل يتشطر :

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدثني ابن الأعرابي، عن أبي خالد الأسلمي، قال:

كان دِعبِل بن علي الخزاعي بالكوفة يتشطر وهو شاب، وكانت له شعرة جَعْدَة، وكان يدهنها ويرجلها حتى تكاد تقطر دهنًا، وكان يصلت^(٣) على الناس بالليل، فقتل رجلاً صيرفيًا، وظنَّ أن كيسه معه، فوجد في كفه رُمَانًا، فهرب من الكوفة، وكنت إذا رأيت دِعبلاً يمشي رأيت الشطارة في مشيته وتبخرته.

يتطير من عمير الكاتب :

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدثني الحسن بن أبي السري، قال:

كان عمير الكاتب أقبح الناس وجهًا، فلقي دِعبلاً ذات يوم بكرة، وقد خرج لحاجة له، فلما رآه دِعبِل تطير من لقائه، فقال فيه:

خرجتُ مبكرًا من سرٍّ من رَا أبادر حاجةً فإذا عُمَيْرُ
فلم أثنِ العِنانَ وقلتُ أمضى فوجهُك يا عميرُ خراً وخيرُ
[الوافر]

يمدح عبد الرحمن بن خاقان ويطلب منه برذوناً :

أخبرني الحسن، قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدثني الحسن بن أبي السري، قال:

حدثني دِعبِل قال: مدحت عبد الرحمن بن خاقان وطلبت منه برذوناً^(٤)، فحمّله إليّ غامزًا، فكتبت إليه:

(١) البيض: السيوف.

(٢) القنا، الواحدة قناة: الرماح.

(٣) يصلت على الناس: يحمل عليهم بالسيوف ليبتز أموالهم.

(٤) البرذون: البغل.

حملت على قارح غامز^(١) فلا للركوب ولا للثمن
حملت على زمن شاعر فسوف تكافأ بشكر زمن
[المقارب]

فبعث إليّ ببردون غيره فارِه بصرجه ولجامه وألفي درهم .
قال ابن مهرويه : وحدثني إسحاق بن إبراهيم العُكبري .
عن دعبل أنه مدح يحيى بن خاقان ، فبعث إليه بهذا البردون .

يهجو الفضل بن العباس بن جعفر :

أخبرني الحسن ، قال : حدثنا ابن مهرويه ، قال :

قال الحسين بن دعبل : كان أبي يختلف إلى الفضل بن العباس بن جعفر بن
محمد بن الأشعث ، وهو خرَّجه وفهمه وأدبه ، فظهر له منه جفاء ، وبلغه أنه يعيبه
ويذكره وينال منه ، فقال يهجو :

يا بؤس للفضل لو لم يأت ما عابَه يستفرغ السم من صماء قرضابَه^(٢)
ما إن يزال وفيه العيب يجمعه جهلاً لأعراض أهل المجد عيَّابَه
إن عابني لم يعب إلا مؤدَّبه ونفسه عاب لما عاب أذَّابَه
فكان كالكلب ضرَّاه مُكلَّبه لصيده فعدا فاصطاد كلابَه
[البسيط]

بلاء :

أخبرني الحسن ، قال : حدثنا ابن مهرويه ، قال : حدثني أبو جعفر العجلي قال :
كان أحمد بن أبي دؤاد يطعن على دعبل بحضرة المأمون والمعتصم ويسبه تقرباً
إليهما ، لهجاء دعبل إياهما ، وتزوج ابن أبي دؤاد امرأتين من بني عجل في سنة
واحدة ، فلما بلغ ذلك دعبلاً ، قال يهجو :

غصبت عجلاً على فرجين^(٣) في سنة أفسدتهم ثم ما أصلحت من نسبك
ولو خطبت إلى طوق وأسرته فزَّوجوك لما زادوك في حسبك

(١) القارح الغامز : القارح من الجياد المسنّ ، والغامز : الظالع .

(٢) القرضاب : السيف القطّاع .

(٣) الفرج : العورة ، ويُطلق على القُبُل والدبر .

نِكَ مِنْ هَوَيْتِ وَقِلْ مَا شِئْتَ مِنْ نَسَبِ
 إِنْ كَانَ قَوْمٌ أَرَادَ اللَّهَ خَزِيهِمْ
 فَذَاكَ يُوجِبُ أَنْ النَّبْعَ تَجْمَعَهُ
 وَلَوْ سَكَتَ وَلَمْ تَخْطُبْ إِلَى عَرَبِ
 عُدَّ الْبَيُوتِ الَّتِي تَرْضَى بِخَطْبَتِهَا
 أَنْتَ ابْنُ زُرْيَابٍ مَنْسُوباً إِلَى نَشَبِكَ
 فَزَوَّجُوكَ ارْتِغَاباً مِنْكَ فِي ذَهَبِكَ
 إِلَى خِلَافِكَ فِي الْعِيدَانِ أَوْ غَرَبِكَ^(١)
 لَمَّا نَبَسْتُ^(٢) الَّذِي تَطْوِيهِ مِنْ سَبَبِكَ^(٣)
 تَجِدُ فِزَارَةَ الْعُكْلِيِّ مِنْ عَرَبِكَ
 [البسيط]

قال: فلقيه فزارة العكلي، فقال له: يا أبا علي، ما حملك على ذكرني حتى فضحتني وأنا صديقك؟ فقال: يا أخي، والله ما اعتمدتك بمكروه، ولكن كذا جاءني الشعر لبلاء صبه الله عز وجل عليك، لم أعتمدك به.

تعبث بدعبل فيفضحها:

أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال: حدثني أبو خالد الأسلمي الكوفي، قال:

اجتمعت مع دعبل في منزل بعض أصحابنا، وكانت عندنا جارية مغنية صفراء مليحة حسنة الغناء، فوقع لها العبث بدعبل والعنت والأذى له، فنهيناها عنه فما انتهت، فأقبل علينا فقال: اسمعوا ما قلت في هذه الفاجرة، فقلنا: هات فقد نهيناها عنك فلم تنته، فقال:

تَخْضِبُ كَفًّا قَطَعْتَ مِنْ زَنْدِهَا فَتَخْضِبُ الْحِثَاءَ مِنْ مُسَوِّدِهَا
 كَأَنَّهَا وَالْكُحْلَ فِي مِرْوَدِهَا تَكْحِلُ عَيْنِيهَا بِبَعْضِ جِلْدِهَا
 [الرجز]

أشبهه شيء استئها بخدّها

قال: فجلست الجارية تبكي، وصارت فضيحة، واشتهرت الأبيات فما انتفعت بنفسها بعد ذلك.

ضربه ثلاثمائة سوط:

أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدثني هارون، قال: حدثني أبي وأبو خالد، قالوا:

(١) الغرب: سهم لا يُدرى راميهِ.

(٢) نبس: نطق.

(٣) السبب: الشتم.

كان دِعبِل قد جنى جِنَاية بالكوفة، وهو غلام، فأخذه العلاء بن منظور الأسدي، وكان على شرطة الكوفة من قِبَل موسى بن عيسى، فحبسه، فكَلَّمه فيه عمه سليمان بن رزين، فقال أضربه أنا خيرٌ من أن يأخذه غريب فيقطع يده، فلعله أن يتأدب بضربي إياه، ثم ضربه ثلاثمائة سوط، فخرج من الكوفة، فلم يدخلها بعد ذلك إلا عزيزاً.

يدور الدنيا كلها ويرجع :

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني أحمد بن أبي كامل، قال:

كان دِعبِل يخرج فيغيب سنين، يدور الدنيا كلها ويرجع، وقد أفاد وأثرى، وكانت الشِّراة^(١) والصعاليك يلقونه فلا يؤذونه، ويواكلونه ويشاربونه، ويبرؤونه، وكان إذا لقيهم وضع طعامه وشرابه ودعاهم إليه، ودعا بغلاميه ثقيف وشغفٍ وكانا مُغنيين، فأقعدهما يُغنيان، وسقاهاهم وشرب معهم وأنشداهم، فكانوا قد عرفوه وألفوه لكثرة أسفاره، وكانوا يُواصلونه ويصلونه، قال: وأنشدني دِعبِل بن عليّ لنفسه في بُعد أسفاره:

حَلَلْتُ محلاً يقصُر البرقُ دونه ويعجز عنه الطَّيفُ أن يتجشَّما^(٢)
[الطويل]

البحترى يفضله على مسلم:

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: قال لي البحتري: دِعبِل بن عليّ أشعر عندي من مسلم بن الوليد، فقلت له: وكيف ذلك؟ قال: لأن كلام دِعبِل أدخل في كلام العرب من كلام مسلم، ومذهبه أشبه بمذاهبهم، وكان يتعصّب له.

شعره في حُوي بن عمرو السكسكي:

أخبرني الحسن قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدثنا الفضل بن الحسن بن موسى البصري، قال:

بات دِعبِل ليلةً عند صديق له من أهل الشام، وبات عندهم رجل من أهل بيت

(١) الشِّراة: الخوارج، وهم من تسمّى بهذا الاسم.

(٢) تجشَّم: لقي العنت لبلوغ ما أراد.

لهيان يقال له حُويّ بن عمرو السكسكيّ جميلُ الوجه، فدبّ إليه صاحبُ البيت وكان شيخاً كبيراً فانياً قد أتى عليه حين، فقال فيه دعبل:

لولا حُويّ لبيت لِهِيانٍ ما قام أير العازب الفاني
له دَواة في سراويله يليقُها النازح والداني
[السريع]

قال: وشاع هذان البيتان، فهرب حُويّ من ذلك البلد، وكان الشيخ إذا رأى دعبلاً سبّه، وقال: فضحتني أخزأك الله.

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثني ابن مهرويه، قال: حدثني محمد بن الأشعث، قال:

سمعت دعبلاً يقول: ما كانت لأحد قطّ عندي مئة إلاّ تمنيت موته.

دعبل والثلج:

أخبرني الحسن، قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدثنا محمد بن عمر الجرجانيّ، قال:

دخل دعبل بن عليّ الرّيّ في أيام الربيع، فجاءهم ثلج لم يروا مثله في الشتاء فجاء شاعر من شعرائهم، فقال شعراً وكتبه في رقعة وهو:

جاءنا دعبلٌ بثلج من الشّعْرِ فجاءتْ سماؤنا بالثلج
نزل الرّيّ بعدما سكن البرّ دوقد أينعت رياضُ المروج
فكسانا ببرّده لا كسياه الله ثوباً من كُرسف^(١) محلّوج^(٢)
[الخفيف]

قال: فألقى الرقعة في دهليز دعبل، فلما قرأها ارتحل عن الرّيّ.

هجاؤه صالح بن عطية الأضجم^(٣):

أخبرني محمد بن عمران، قال: حدثنا العنزّي، قال: حدثنا أبو خالد الأسلميّ، قال:

عرضت لدعبل حاجةً إلى صالح بن عطية الأضجم، فقصر عنها ولم يبلغ ما أحبه دعبل فيها، فقال يهجوّه:

(٢) محلّوج: محصود.

(١) الكرسف: القطن.

(٣) الأضجم: هو من في فمه عوج.

أَحْسَنُ مَا فِي صَالِحٍ وَجْهُهُ فِقِسْ عَلَى الْغَائِبِ بِالشَّاهِدِ
تَأْمَلْتُ عَيْنِي لَهُ خَلْقَةً تَدْعُو إِلَى تَزْنِيَةِ الْوَالِدِ
[السريع]

فتحمل عليه صالح بي وبجماعة من إخوانه حتى كف عنه، وعرض عليه قضاء الحاجة فأبأها.

هجاؤه بني مكلم الذئب:

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني أبي، قال:

فخر قوم من خُزَاعَةَ عَلَى دِعْبِلِ بْنِ عَلِيٍّ يَقَالُ لَهُمْ بَنُو مُكَلَّمِ الذَّئْبِ، وَكَانَ جَدُّهُمْ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَحَدَّثَهُ أَنَّ الذَّئْبَ أَخَذَ مِنْ غَنَمِهِ شَاةً، فَتَبِعَهُ، فَلَمَّا غَشِيَهُ بِالسَّيْفِ قَالَ لَهُ: مَا لِي وَلَكَ تَمْنَعُنِي رِزْقَ اللَّهِ؟ قَالَ: فَقُلْتُ: يَا عَجَباً لَذَّئْبٍ يَتَكَلَّمُ! فَقَالَ: أَعْجَبَ مِنْهُ أَنَّ مُحَمَّدًا نَبِيًّا قَدْ بُعِثَ بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَتَّبِعُونَهُ.

فبنوه يفخرون بتكليم الذئب جدّهم، فقال دِعْبِلُ بْنُ عَلِيٍّ يَهْجُوهُمْ:

تَهْتُمُّ عَلَيْنَا بِأَنَّ الذَّئْبَ كَلَّمَكُمْ فَقَدْ لَعِمْرِي أَبُوكُمْ كَلَّمَ الذَّيْبَا
فَكَيْفَ لَوْ كَلَّمَ الْلَيْثَ الْهَاصُورَ إِذَا أَفْتِيْتُمُ النَّاسَ مَأْكُولاً وَمَشْرُوبَا
هَذَا السُّنَيْدِيُّ^(١) لَا أَصْلَ وَلَا طَرْفَ^(٢) يُكَلِّمُ الْفِيلَ تَصْعِيداً وَتَصْوِيبَا
[البسيط]

قوله في محمد بن عبد الملك الزيات:

حدثني الحسن بن عليّ، قال: حدثني ابن مهرويه، قال: حدثني أبي، قال:

كَانَ دِعْبِلُ بْنُ مُحَمَّدٍ مَدَحَ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَّاتِ، فَأَنَشَدَهُ مَا قَالَهُ فِيهِ، وَفِي يَدِهِ طُومَارٌ^(٣)، وَقَدْ جَعَلَهُ عَلَى فَمِهِ كَالْمَتَكِيِّ عَلَيْهِ وَهُوَ جَالِسٌ، فَلَمَّا فَرَّغَ أَمْرَ لَهُ بِشَيْءٍ لَمْ يَرْضَهُ، فَقَالَ:

يَا مَنْ يَقْلِبُ طُومَاراً وَيَلْثُمُهُ مَاذَا بِقَلْبِكَ مِنْ حُبِّ الطُّومَامِيرِ؟
فِيهِ مَشَابَهُ مِنْ شَيْءٍ تُسَرُّ بِهِ طُولاً بِطُولٍ وَتَدْوِيراً بِتَدْوِيرِ

(١) السندي من الرجال: المنتسب إلى بلاد السند.

(٢) الطَّرْفُ: الرجل الكريم.

(٣) الطومار: الصحيفة.

لو كنتَ تجمع أموالاً كجمعكها إذن جمعت بيوتاً من دنانير
[البسيط]

أشعث والصّناع ينالان نصيبهما من هجائه :

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا ابن مهبويه، قال: حدثني أبي، قال: نزل دعبل بجمص على قوم من أهلها، فبروه ووصلوه سوى رجلين منهم، يقال لأحدهما أشعث وللآخر الصّناع، فارتحل من وقته عن حمص، وقال فيهما يهجوهما :

إذا نزل الغريب بأرض حمص
سموا للمكرمات بآل عيسى
هناك الخزّ يلبسه المغالي
فسدّد لاسْتِ أشعث أيربغل
فليس بصانع مجداً ولكن
رأيت عليه عزّ الامتناع
أحلّهم على شرف التّلاع
وعيسى منهم سقّط المتاع
وأخرفني جرّام أبي الصّناع
أضاع المجد فهو أبو الضّيع
[الوافر]

الفضل بن مروان يقبل نصحه!!

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهبويه، عن الحسين بن دعبل، قال:

قال أبي في الفضل بن مروان:

نصحت فأخلصت النصيحة للفضل
ألا إن في الفضل بن سهل لَعبرة
وللفضل في الفضل بن يحيى مواعظ
فأبق جميلاً من حديث تَفْز به
فإنك قد أصبحت للملك قيماً
ولم أر أبياتاً من الشعر قبلها
وليس لها عيب إذا هي أنشدت
وقلت فسيّرت المقالة في الفضل
إن اعتبر الفضل بن مروان بالفضل
إذا فكّر الفضل بن مروان في الفضل
ولا تدع الإحسان والأخذ بالفضل
وصرت مكان الفضل والفضل والفضل
جميع قوافيها على الفضل والفضل
سوى أن نصحي الفضل كان من الفضل
[الطويل]

فبعث إليه الفضل بن مروان بدنانير، وقال له: قد قبلت نصحك فاكفني خيرك
وشرك.

حكمه على شاعر :

حدثني عمي، قال: حدثني ميمون بن هارون، قال: حدثني أبو الطيب الحراني، قال:

أَنشد رجلٌ دِعْبَلَ بنَ عليٍّ شعراً له، فجعل يعيبه ويقفه على خطئه فيه بيتاً بيتاً، ويقول له: أي شيء صنعت بنفسك؟ ولم تقول الشعر إذا لم تقدر إلا على مثل هذا منه؟ إلى أن مرَّ له بيت جيد، فقال دِعْبَلَ: أحسنت، أحسنت ما شئت، فقال له: يا أبا عليٍّ، أتقول لي هذا بعد ما مضى؟ فقال له: يا حبيبي، لو أن رجلاً ضرب سبعين ضربة، ما كان بمنكر أن يكون فيها دستنبوية^(١) واحدة.

المأمون يضحك من شعر دِعْبَلَ في أبي عباد:

أخبرني الحسن بن عليٍّ، قال: حدثنا ابن مَهْرُويه، قال: حدثني محمد بن حاتم المؤدب، قال:

قيل للمأمون: إن دِعْبَلَ بن عليٍّ قد هجأك، فقال: وأي عجب في ذلك؟ هو يهجو أبا عباد ولا يهجونني أنا؟ ومن أقدم على جنون أبي عباد أقدم على حلمي، ثم قال للجلساء: من كان منكم يحفظ شعره في أبي عباد فليشدني، فأنشده بعضهم:

أولى الأمور بضيعة وفساد	أمر يُدبِّره أبو عباد
حرق ^(٢) على جلسائه فكانهم	حضرُوا بملحمة ويوم جلاذ
يسطو على كُتَّابه بدوائه	فمُضْمَخٌ بدم ونضح مداد
وكانه من دير هرقل مُفْلِتٌ	حَرْدٌ يجرُّ سلاسل الأقياد
فاشدُّ أمير المؤمنين وثاقه	فأصحُّ منه بقيَّةُ الحداد

[الكامل]

قال: وكان بقية هذا مجنوناً في المارستان، فضحك المأمون، وكان إذا نظر إلى أبي عباد يضحك ويقول لمن يقرب منه: واللَّهِ ما كذب دِعْبَلَ في قوله.
حدثني به جحظة عن ميمون بن هارون فذكر مثله أو قريباً منه.

الجن تُنشد شعره:

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار ومحمد بن أحمد الحكمي، قالوا: حدثنا

(١) دستنبوية: ضرب من البطيخ الأصفر صغير مستطيل الشكل.

(٢) الحرق: الأحمق.

يعقوب بن إسرائيل، قال: حدثني أنس بن عبد الله النبهاني، قال: حدثني علي بن المنذر، قال: حدثني عبد الله بن سعيد الأشعري، قال:

حدثني دعبل بن علي، قال: لما هربت من الخليفة بث ليلة بنيسابور وحدي، وعزمت على أن أعمل قصيدة في عبد الله بن طاهر في تلك الليلة، فإني لفي ذلك إذ سمعت، والباب مردود علي: السلام عليكم ورحمة الله أألج يرحمك الله؟ فاقشعر بدني من ذلك، ونالني أمر عظيم، فقال لي: لا تُرْع عافاك الله، فإني رجل من إخوانك من الجن ثم من ساكني اليمن، طراً إلينا طارئاً من أهل العراق فأنشدتنا قصيدتك:

مدارسُ آياتٍ خلّت من تلاوة ومنزلٌ وحيٍ مُقفرُ العرصات^(١)
[الطويل]

فأحببت أن أسمعها منك، قال: فأنشدته إياها، فبكى حتى خر، ثم قال: رحمك الله، ألا أحدثك حديثاً يزيد في نيتك، ويُعينك على التمسك بمذهبك؟ قلت: بلى، قال: مكثت حيناً أسمع بذكر جعفر بن محمد عليه السلام، فصرت إلى المدينة، فسمعتة يقول: حدثني أبي عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال: «علي وشيعته هم الفائزون».

ثم ودعني لينصرف، فقلت له: يرحمك الله إن رأيت أن تخبرني باسمك فافعل. قال: أنا ظبيان بن عامر.

حيلة:

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي، قال: حدثني إسحاق بن محمد النخعي، وأخبرني به الحكمي عن يعقوب بن إسرائيل.

عن إسحاق النخعي، قال: كنت جالساً مع دعبل بالبصرة، وعلى رأسه غلامه ثقيف، فمر به أعرابي يرفل في ثياب خز، فقال لغلامه: ادع لي هذا الأعرابي، فأومأ الغلام إليه فجاء، فقال له دعبل: ممن الرجل؟ قال: من بني كلاب، قال: من أي ولد كلاب أنت؟ قال: من ولد أبي بكر، فقال دعبل: أتعرف القائل:

ونبتت كلباً من كلاب يسبني ومحض^(٢) كلاب يقطع الصلوات
فإن أنا لم أعلم كلاباً بأنها كلاب وأنني بأسل النقمات

(١) العرصات، الواحدة عرصة: ساحة الدار، ومُقفر العرصات: أي خالية لا أنيس فيها.

(٢) المحض: الخالص.

فكان إذاً من قيس عيلان والدي وكانت إذاً أمي من الحبطات^(١)

[الطويل]

قال: وهذا الشعر لدعبل يقوله في عمرو بن عاصم الكلابي، فقال له الأعرابي: ممن أنت؟ فكره أن يقول له من خُزاعة فيهجوهم، فقال: أنا أنتمي إلى القوم الذين يقول فيهم الشاعر:

أناس عليّ الخير منهم وجعفرٌ وحمزة والسجاد ذو الثفّنات^(٢)
إذا فخروا يوماً أتوا بمحمد وجبريل والفرقان والسورات

[الطويل]

فوثب الأعرابي وهو يقول: ما لي إلى محمد وجبريل والفرقان والسورات مرتقى.

هجاؤه بني بسام:

أخبرني الكوكبي، قال حدثني ابن عبدوس، قال: سأل دعبل نصر بن منصور بن بسام حاجة، فلم يقضها لشغل عرض له دونها، فقال يهجو بني بسام:

حواجب كالجبال سود إلى عثانين كالمخالي
وأوجه جهمة^(٣) غلاظ عطل^(٤) من الحسن والجمال

[مخلع البسيط]

هجاؤه أحمد بن أبي خالد:

أخبرني الكوكبي قال: حدثني ميمون بن هارون، قال: لما ولي أحمد بن أبي خالد الوزارة في أيام المأمون، قال دعبل بن علي يهجو:

وكان أبو خالد مرة إذا بات متخماً^(٥) قاعدا
يضيّق بأولاده بطنه فيخراهم واحداً واحداً

(١) الحبطات: هم أبناء الحارث بن عمرو بن تميم، لقب بذلك لأنه استكثر من أكل الصمغ فحبطت بطنه، أي ورم.

(٢) الثفّنات، الواحدة ثفنة من البعير: ما يقع على الأرض من أعضائه إذا استنخا وغلظ كالركبتين.

(٣) أوجه جهمة: عابسة.

(٤) عطل، بالضم: ينقصها، تفتقد.

(٥) المتخم: الشبعان أكثر مما يجب.

فقد ملأ الأرض من سلحه^(١) خنافس^(٢) لا تُشبهه الوالد

[المقارب]

هجاؤه المعتصم:

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثنا أبو ناجية، قال:

كان المعتصم يبغض دعبلاً لطول لسانه، وبلغ دعبلاً أنه يُريد اغتياله وقتله، فهرب منه إلى الجبل، وقال يهجو:

بكى لشتات^(٣) الدين مكتئبٌ صب^(٤) وقاض بفرط الدمع من عينه غرب^(٥)
 وقام إمام لم يكن ذا هداية وما كانت الأنباء تأتي بمثله
 ولكن كما قال الذين تتابعوا ملوك بني العباس في الكتب سبعة
 كذلك أهل الكهف في الكهف سبعة وإنني لأعلي كلهم عنك رفعة
 لقد ضاع ملك الناس إذ ساس ملكهم وفضل ابن مروان سيثلم ثلماً
 فليس له دين وليس له لب يُملك يوماً أو تدين له العرب
 من السلف الماضين إذ عظم الخطب ولم تأتينا عن ثامن لهم كتب
 خياراً إذا عُدوا وثامنهم كلب لأنك ذو ذنب وليس له ذنب
 وصيف وأشناس^(٦) وقد عظم الكرب^(٧) يظل لها الإسلام ليس له شعب^(٨)

[الطويل]

الزيات يرثي المعتصم ودعبل يعارضه:

أخبرني عمي قال: حدثني ميمون بن هارون، قال:

لما مات المعتصم قال محمد بن عبد الملك الزيات يرثيه:

قد قلت إذ غيبوه وانصرفوا في خير قبرٍ لخير مَدفونٍ

(١) السلح: النجو المائع.

(٢) الخنافس، الواحدة خنفساء: دويبة سوداء أصغر من الجعل كريهة الرائحة.

(٣) الشَّتَات: التَّفَرَّق، من فعل شت أي تفرق.

(٤) الصب: العاشق، المتيّم.

(٥) الغرب: الدمع.

(٦) وصيف وأشناس: هما من الأتراك، غلمان المعتصم الذين كانوا خطراً على الدولة العباسية بعد وفاة المعتصم.

(٧) الكرب: المصيبة.

(٨) الشعب: الالتحام والاجتماع.

لن يُجبر الله أمة فقدت مثلك إلا بمثل هارون
فقال دعبل يُعارضه:

قد قلت إذا غيَّبوه وانصرفوا في شرِّ قبر لشرِّ مدفون
إذهب إلى النار والجحيم فما خلْتُك إلا من الشياطين
مازلت حتى عقدت بيعة من أضرباً بالمسلمين والدين
[المنسرح]

قال عمي: حدثنا ابن مَهْرُويه، قال: حدثني محمد بن عمر الجرجاني، قال:
أُنشِدَ دِعْبَلُ بن عليٍّ، يوماً قولَ بعض الشعراء:
قد قلت إذ غيَّبوه وانصرفوا.

وذكر البيتين والجواب، ولم يسمِّ قائل المِثْية ولا نسبه إلى محمد بن
عبد الملك ولا غيره، والله أعلم.
إبراهيم بن المهديّ يُغري به المعتصم:
أخبرني عليّ بن سُلَيْمَانَ الأَخْفَش، قال: حدثنا محمد بن يزيد، قال:
سألت دِعْبَل بن عليٍّ عن هذه الأبيات:
ملوك بني العباس في الكُتُب سبعة.

فأنكر أن تكون له، فقلت له: فمن قالها؟ قال: من حشا الله قبره ناراً:
إبراهيم بنُ المهديّ، أراد أن يُغري بي المعتصم فيقتلني لهجائي إياه.

دِعْبَل موسوم بهجاء الخلفاء والتشيع:

أخبرني عمِّي والحسن بن علي جميعاً، قالا: حدثنا محمد بن القاسم بن
مَهْرُويه، قال: حدثني أبي، قال:

كنت عند أحمد بن المدبر ليلة من الليالي، فأنشدته لدِعْبَل بن عليٍّ في
أحمد بن أبي دُود، قوله:

إن هذا الذي دُودُ أبوه وإيادُ قد أكثر الأنبياء
ساحَقْتُ أُمّه ولاط أبوه ليت شعري عنه فمن أين جاء؟
جاء من بين صخرتين صلوديّ من ^(١) عَقَامِينَ ^(٢) يُنْبِتَان الهباء ^(٣)

(١) الصلود: الصلب القاسي. (٢) العقام: من لا يلد ولا ينجب. (٣) الهباء: الغبار.

لَا سِفَاحٌ وَلَا نِكَاحٌ وَلَا مَا يُوجِبُ الْأَمَّهَاتِ وَالْأَبَاءَ
[الخفيف]

قال: فاستعادها أربع مرات، فظننت أنه يُريد أن يحفظها، ثم قال لي: جئني بدعبل حتى أوصله إلى المتوكل، فقلت له: دعبل موسوم بهجاء الخلفاء والتشيع، وإنما غايته أن يخمل ذكره، فأمسك عني، ثم لقيت دعبلاً فحدثته بالحديث، فقال: لو حضرت أنا أحمد بن المدير لما قدرت أن أقول أكثر مما قلت.

يرمي المتوكل بالأبنة:

أخبرني الحسن، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني محمد بن جرير، قال:

أنشدني عبيد الله بن يعقوب هذا البيت وحده لدعبل يهجو به المتوكل، وما سمعت له فيه غيره:

وَلَسْتُ بِقَائِلٍ قَدْ عَا^(١) وَلَكِنْ لَأَمْرًا تَعَبَّدُكَ^(٢) الْعَبِيدُ
[الوافر]

قال: يرميه في هذا البيت بالأبنة^(٣).

لا حزن ولا فرح:

أخبرني الحسن، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: قال محمد بن جرير:

كنت مع دعبل بالصَّيْمَرَةِ، وقد جاء نعي المعتصم وقيام الواصل، فقال لي دعبل: أَمَعُ شَيْءٌ تَكْتُبُ فِيهِ؟ فقلت: نعم، وأخرجت قِرطاساً، فأملى عليّ بديهاً:

الْحَمْدُ لِلَّهِ لَا صَبْرٌ وَلَا جَلْدٌ وَلَا عِزٌّ إِذَا أَهْلُ الْبَلَاءِ رَقَدُوا
خَلِيفَةُ مَاتَ لَمْ يَحْزَنْ لَهُ أَحَدٌ وَآخِرُ قَامَ لَمْ يَفْرَحْ بِهِ أَحَدٌ

[البسيط]

يمدح الحسن بن وهب ثم يرجع في مدحه:

حدثني عمي، قال: حدثنا أحمد بن عبيد الله بن ناصح، قال:

قلت لدعبل وقد عرض عليّ قصيدة له يمدح به الحسن بن وهب، أولها:

أَعَاذَلْتِي لَيْسَ الْهُوَى مِنْ هَوَائِيَا.

(١) القذع من القول: الفاسد، ما لا قيمة له لقبحه.

(٢) تعبدك العبيد: جعلوك سيّداً لهم. (٣) الأبنة: العيب أو الحقد.

فقلت له : أتقول فيه ويحك مثل هذا بعد قولك :

أَيْنَ محلُّ الحيِّ يا حادي خَبَّرَ سقَّاك الرَّائِحُ الغادي؟! [السريع]

وبعد قولك :

قالت سلامة : أَيْنَ المألُ؟ قلت لها : المألُ ويحك لاقى الحمدَ فاصطحبا [البسيط]

وبعد قولك :

فعلى أيماننا يجري الندى وعلى أسيافنا تجري المَهَجُ [الرملي]

واللَّهِ إِنِّي أراك لو أنشدته إياها لأمر لك بصفع قفاك . قال فضحك وقال :
صدقته واللَّهِ ، ولقد نبَّهتني وحذرتني ، ثم مزقها .

يغضب على أبي نصر فيهجو أباه :

أخبرني عمِّي ، قال : حدثني العنزيُّ ، قال : حدثني الحسين بن أبي السريِّ قال :
غضب دِعبل على أبي نصر بن جعفر بن محمد بن الأشعث ، وكان دِعبل مؤدِّبه
قديمًا لشيء بلغه عنه ، فقال يهجو أباه :

ما جعفر بن محمد بن الأشعث عندي بخير أبوةٍ من عَثَعِثْ
عَبَثًا تُمارِسُ بي مَمارِسَ حَيَّة سوَّارة^(١) إن هجتها لم تلبَثْ
لو يعلم المغرور ماذا حاز مِنْ خِزْيٍ لوالده إذا لم يَعْبَثْ [الكامل]

قال : فلقية عثعث فقال له : عليك لعنة الله ، أي شيء كان بيني وبينك حتى
ضربت بي المثل في خسة الآباء؟ فضحك وقال : لا شيء والله إلا اتفاق اسمك واسم
الأشعث في القافية ، أو لا ترضى أن أجعل أباك - وهو أسود - خيرًا من آباء
الأشعث بن قيس؟

العيش في منادمة الإخوان :

أخبرني الحسن بن علي ، قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه ، قال :
حدثني إبراهيم بن سهل القاري وكان يُلقب أرزة ، قال :

(١) السوَّارة : السريعة إلى الغضب والشديدة الانفعال .

حدثني دعبل بن علي الخزاعي، قال: كتبت إلى أبي نهشل بن حميد الطوسي،
قولي:

إنما العيش في منادمة الإخوان لا في الجلوس عند الكعاب^(١)
وبصرف كأنها ألسن البر ق إذا استعرضت رقيق السحاب
إن تكونوا تركتكم لذة العيش حذار العقاب يوم العقاب
فدعوني وما ألد وأهوى وادفعوا بي في صدر يوم الحساب
[الخفيف]

علي بن موسى الرضا يُغدق عليه:

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدثني موسى بن عيسى
المروزي - وكان منزله بالكوفة في رحبة طيء - قال:

سمعت دعبل بن علي، وأنا صبي، يتحدث في مسجد المروزية، قال: دخلت
على علي بن موسى الرضا عليهما السلام، فقال لي: أنشدني شيئاً مما أحدثت بعدي،
قال فأنشدته:

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحي مُففر العرصات^(٢)
[الطويل]

حتى انتهيت منها إلى قولي:

إذا وتروا مدوا إلى واتريهم أكفأ عن الأوتار منقِضات
[الطويل]

قال: فبكى حتى أغمي عليه، وأوماً خادماً كان على رأسه إليّ أن اسكت،
فسكت ساعة، ثم قال لي: أعد، فأعدت حتى انتهيت إلى هذا البيت أيضاً، فأصابه
مثل الذي أصابه في المرة الأولى، وأوماً الخادم إليّ أن اسكت، فسكت، ثم مكث
ساعة أخرى ثم قال لي: أعد، فأعدت حتى انتهيت إلى آخرها، فقال لي: أحسنت،
ثلاث مرات، ثم أمر لي بعشرة آلاف درهم مما ضرب باسمه، ولم تكن وقعت إلى
أحد بعد، وأمر لي من في منزله بحلى كثير أخرجته إليّ الخادم، فقدمت العراق فبعث
كل درهم منها بعشرة دراهم، اشتراها مني الشيعة، فحصل لي مائة ألف درهم، فكان
أول مال اعتقدته^(٣).

(١) الكعاب: الفتاة التي نهذ ثدياها وتكعبا.

(٢) العرصات: الواحدة عرصة، وهي ساحة الدار.

(٣) اعتقدته: حصلت عليه وجمعتة.

أهل قَمَّ يشترُون منه جبة الرضا بثلاثين ألف درهم:

قال ابن مهرويه: وحدثني حذيفة بن محمد:

أن دعبلاً قال له: أنه استوهب من الرضا عليه السلام ثوباً قد لبسه ليجعله في أكفانه، فخلع جُبّة كانت عليه، فأعطاه إياها، وبلغ أهل قَمَّ خبرها، فسألوه أن يبيعهم إياها بثلاثين ألف درهم، فلم يفعل، فخرجوا عليه في طريقه فأخذوها منه غصباً، وقالوا له: إن شئت أن تأخذ المال فافعل وإلا فأنت أعلم، فقال لهم: إني والله لا أعطيكم إياها طوعاً، ولا تنفعكم غصباً، وأشكوكم إلى الرضا عليه السلام، فصالحوه على أن أعطوه الثلاثين ألف الدرهم وفردَ كمَّ من بطانتها، فرضي بذلك.

خليفة مصحفه البربط^(١):

أخبرني محمد بن مزيد، قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه، قال:

بُويع إبراهيم بن المهديّ ببغداد، وقد قلّ المالُ عنده، وكان قد لجأ إليه أعرابٌ من أعراب السّواد وغيرهم من أوغاد الناس، فاحتبس عليهم العطاء، فجعل إبراهيم يُسوّفهم^(٢) بالمال ولا يرون له حقيقة، إلى أن خرج إليهم رسوله يوماً وقد اجتمعوا وضجوا، فصرّح لهم بأنه لا مالَ عنده، فقال قوم من غوغاء أهل بغداد: أخرجوا إلينا خليفتنا ليغني لأهل هذا الجانب ثلاثة أصوات، ولأهل هذا الجانب ثلاثة أصوات، فتكون عطاء لهم، فأنشدني دعبل بعد ذلك بأيام قوله:

يا معشرَ الأجنادِ لا تقنطوا	وارضَوْا بما كان ولا تسخطوا
فسوف تُعطون حُنينيّة ^(٣)	يلتذُّها الأمرد والأشْمَطُ
والمعبديّات ^(٤) لقوادِّكم	لا تَدْخُل الكيسَ ولا تُربطُ
وهكذا يرزقُ فُؤاده	خليفة مصحفه البربط ^(٥)

[السريع]

وزادني فيها جعفر بن قدامة:

قد ختم الصَّكُّ بأرزاقكم وضحَّ العزمُ فلا تسخطوا^(٦)

(٢) يُسوّفهم: يخلف وعده ويُماطل بالعطاء.

(٤) المعبديات: نسبة إلى معبد المغني.

(١) البربط: من آلات الموسيقى.

(٣) الحنينية: نسبة إلى حنين المغني.

(٥) البربط: من آلات الموسيقى.

(٦) لا تسخطوا: لا تغضبوا.

بَيْعَةُ إِبْرَاهِيمَ مَشْؤُومَةٌ يُقْتَلُ فِيهَا الْخَلْقُ أَوْ يَقْحَطُوا^(١)
[السريع]

صديق متخلف:

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدثني أبو علي يحيى بن محمد بن ثوبة الكاتب، قال:

حدثني دعبل قال: كان لي صديق متخلف يقول شعراً فاسداً مردولاً، وأنا أنباه عنه إذا أنشدني، فأنشدني يوماً:

إن ذا الحب شديدٌ ليس ينجليه الفراقُ
ونجا من كان لا يعي شق من ذلّ المخازي

[مجزوء الرمل]

فقلت له: هذا لا يجوز عقلاً، لأن البيت الأول على الراء، والبيت الثاني على الزاي، فقال: لا تنقطه، فقلت له: فالأول مرفوع والثاني مخفوض، فقال: أنا أقول له لا تنقطه وهو يشكله.

دعبل يستدل بحديث الرسول:

أخبرني الحسن، قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدثنا محمد بن زكريا بن ميمون الفرغاني، قال:

سمعت دعبل بن عليّ يقول في كلام جرى: لَيْسَكَ، فأنكرته عليه، فقال: دخل زيد الخيل على النبي ﷺ فقال له: «يا زيدُ ما وُصِفَ لي رجلٌ إلا رأيتُه دون وصفه لَيْسَكَ» يريد غيرك.

دعبل يحسد بكرةً على قوله:

أخبرني الحسن، قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال:

قال لي دعبل وقد أنشدته قصيدةً بكرٍ بن خارجةً في عيسى بن البراء الصيرفي النصراني الحربي:

زِنَارُهُ فِي خَصْرِهِ مَعْقُودٌ كَأَنَّهُ مِنْ كَبْدِي مَقْدُودٌ^(٢)
[الرجز]

(٢) مقدود: مقطوع.

(١) يقحطوا: ينزل بهم القحط والجذب.

فقال: واللّه ما أعلمني حسدت أحداً على شعر كما حسدت بكرةً على قوله: «كأنّه من كبدي مقدود».

يقول الشعر كل يوم:

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي، قال: سمعت الجاحظ يقول: سمعت دِعْبِل بن عليّ يقول: مكثت نحو ستين سنة ليس من يوم ذرّ شارقه إلا وأنا أقول فيه شعراً.

صديق خفيف الروح:

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني أبي، قال:

سمعت دِعْبِل بن عليّ يقول: دخلت على أبي الحارث جُمين وقد فُلج لأُعوّده، وكان صديقي، فقلت له: ما هذا يا أبا الحارث؟ فقال: أخذت من شعري ودخلت الحمام، فغلط بي الفالج، وظن أني قد احتجمت، فقلت له: لو تركت خفة الروح والمجون والنوادير في موضع لتركها في هذا الموضع وعلى هذه الحال.

المأمون يسأل عن شعر دِعْبِل ويحفظ له:

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي، قال: حدثنا أحمد بن صدقة قال: حدثني أبي، قال: حدثني عمرو بن مسعدة، قال:

حضرت أبا دُلف عند المأمون وقد قال له المأمون: أي شيء تروي لأخي خُزاعة يا قاسم؟ فقال: وأي أخوة خُزاعة يا أمير المؤمنين؟ قال: ومن تعرف منهم شاعراً؟ فقال: أما من أنفسهم فأبو الشيص ودِعْبِل وابن أبي الشيص وداؤد بن رزين، وأما من مواليهم فظاهر وابنه عبد الله، فقال: ومن عسى في هؤلاء أن يسأل عن شعره سوى دِعْبِل؟ هات أي شيء عندك فيه، فقال: وأي شيء أقول في رجل لم يسلم عليه أهل بيته حتى هجاهم فقرن إحسانهم بالإساءة، وبذلهم بالمنع، وجودهم بالبخل، حتى جعل كل حسنة لهم بإزاء سيئة. قال: حيث يقول ماذا؟ قال: حيث يقول في المطلب بن عبد الله بن مالك، وهو أصدق الناس له وأقربهم منه، وقد وفد إليه إلى مصر، فأعطاه الجزيل وولاه، ولم يمنعه ذلك من أن قال فيه:

إضرب ندى طلحةِ الطلحاتِ متّيداً بلؤم مَطْلَب فينا وكن حَكْماً
تَخْرُجْ خُزَاعَةٌ من لؤم ومن كرم فلا تعدّ لها لؤماً ولا كَرَمًا

[البسيط]

قال: فقال المأمون: قاتله الله، ما أغوصه وأطفه وأدهاه، وجعل يضحك، ثم دخل عبد الله بن طاهر فقال له: أي شيء تحفظ يا عبد الله لدعبل؟ فقال: أحفظ أبياتاً له في أهل بيت أمير المؤمنين، قال: هاتها ويحك، فأنشده عبد الله قول دعبل:

سُفِيّاً وَرَعِيّاً لِأَيَّامِ الصَّبَابَاتِ أَيَّامَ أَرْفُلٍ فِي أَثْوَابِ لَذَاتِي
أَيَّامَ غُصْنِي رَطِيبٍ مِنْ لِيَانَتِهِ أَصْبُو إِلَى غَيْرِ جَارَاتٍ وَكُنَّاتٍ
دَعَّ عَنْكَ ذَكَرَ زَمَانٍ فَاتَ مَطْلَبُهُ وَاقْصِدْ بِكُلِّ مَدِيحٍ أَنْتَ قَائِلُهُ
نَحْوَ الْهُدَاةِ بَنِي بَيْتِ الْكِرَامَاتِ

[البسيط]

فقال المأمون: إنه قد وجد والله مقالاً، ونال ببعيد ذكرهم ما لا يناله في وصف غيرهم. ثم قال المأمون: لقد أحسن في وصف سفر سافره فطال ذلك السفر عليه فقال فيه:

أَلَمْ يَأْنِ لِلسَّافِرِ الَّذِينَ تَحَمَّلُوا إِلَى وَطَنِ قَبْلِ الْمِمَاتِ رَجُوعُ؟!
فَقُلْتُ: وَلَمْ أَمْلِكْ سَوَابِقَ عَبْرَةٍ! نَطَقْنَ بِمَا ضُمَّتْ عَلَيْهِ ضُلُوعُ
تَبَيَّنَ فِكْمَ دَارٍ تَفَرَّقَ شَمْلُهَا وَشَمِلَ شَتِيتٍ عَادَ وَهُوَ جَمِيعُ
كَذَاكَ اللَّيَالِي صَرَفُهُنَّ^(١) كَمَا تَرَى لِكُلِّ أَنْاسٍ جَدِيدُهُ وَرَبِيعُ

[الطويل]

ثم قال: ما سافرت قط إلا كانت هذه الأبيات نُصِبَ عيني في سفري وهَجَّيرَايَ^(٢) ومسلتي حتى أعود.

المكاري يتغنى بشعر دعبل ويسبه:

أخبرني علي بن سليمان الأخفش، قال: حدثني المبرد ومحمد بن الحسن بن الحرون، قالوا:

قال دعبل: خرجت إلى الجبل هارباً من المعتصم، فكنت أسير في بعض طريقي والمكاري يسوق بي بغلاً تحتي، وقد أتعبني تعباً شديداً، فتغنّى المكاري في قلبي:

لَا تَعْجَبِي يَا سَلَمَ مَنْ رَجَلَ ضَحَكَ الْمَشِيبَ بِرَأْسِهِ فَبَكَى

[الكامل]

فقلت له: وأنا أريد أن أتقرب إليه وأكف بعض ما يستعمله من الحث للبغل لئلا يتعبني: تعرف لمن هذا الشعر يا فتى؟ فقال: لمن ناك أمه وغرم درهمين. فما أدري

(٢) هَجَّيرَايَ: دأبي وشأني.

(١) صرف الليالي: وجمعها صروف أي مصائبها ونوائبها.

من أي أموره أعجب: من هذا الجواب أم من قلة الغرم على عظم الجناية؟

لو أجاب الجاحظ هذا الجواب لكان كثيراً منه:

حدثني عمي، قال: حدثني أحمد بن الطيب السرخسي، قال:

حضرت مجلس محمد بن علي بن طاهر، وحضرته مغنية يقال لها سنين،

مشهورة فغنت:

لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى

[الكامل]

ثم غنت بعده:

لقد عَجِبْتَ سلمى وذاك عجيبُ

فقلت لها: ما أكثر تعجب سلمى هذه!! فعلمتُ أنني أعبتُ بها لأسمع جوابها،

فقلت متمثلة غير متوقفة ولا متفكرة:

فهْلُكُ الفتى ألا يَراح^(١) إلى ندى^(٢) وألا يرى شيئاً عجيباً فيعجبا

[الطويل]

قال: فعجبت والله من جوابها وحِدَّتْه وسرعته، وقلت لمن حضر: والله لو

أجاب الجاحظ هذا الجواب لكان كثيراً منه مستظرفاً.

(نسبة هذا الصوت)

صوت

لقد عجبت سلمى وذاك عجيبُ رأَتْ بي شيباً عَجَلَتْهُ خطوبُ

وما شَيَّبْتَنِي كِبَرُهُ غير أنني بدهرٍ به رأسُ الفطيمِ يَشيبُ

[الطويل]

الغناء ليحيى المكي ثقيل أول بالوسطي من كتاب أبيه أحمد.

حدثني جعفر بن قدامة، قال: حدثني محمد المرتجل بن أحمد بن يحيى

المكي، قال:

كان أبي صديقاً لدِعبِل، كثير العشرة له حافظاً لغيبه، وكل شعر يُتغنى فيه لدِعبِل

(١) يَراح إلى الندى: يُسرّ بحدوثه والحصول عليه.

(٢) الندى: الكرم، العطاء.

فهو من صنعة أبي، وغثناني من صنعة أبيه في شعر دعبل، والطريقة فيه خفيف ثقيل في مجرى البنصر.

صوت

سرى طيفٌ ليلي حين أن هبوبُ وقضيت شوقي حين كادَ يذوبُ
فلم أرَ مطروقاً يحلّ برّحله ولا طارقاً يقري المنى ويُثيبُ

[الطويل]

وأنشدني عمّي هذين البيتين عن أحمد بن يحيى بن أبي طاهر وابن مهوريه جميعاً لدعبل.

حدثني حبيب بن نصر المهلبّي، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال:

سألت دعبلاً من الذي يقول:

ملوك بني العباس في الكتب سبعة؟

فقال: من أضرم الله قبره ناراً: إبراهيم بن المهدي.

قال ابن أبي سعد: وحدثني عبد العزيز سهل أنه سأله عنها فاعترف بها.

حدثني عمّي قال: أنشدني ابن أخي دعبل لعمه في طاهر بن الحسين، وكان قد

نقم عليه أمراً أنكره منه:

وذي يمينين وعَيْنٍ واحدة نقصانُ عَيْنٍ ويمينُ زائده

نزر العطيات قليل الفائدة أعضه الله ببظر الوالدة

[الرجز]

هجاء بالجملة:

حدثني جحظة، قال: حدثني ميمون بن هارون، قال:

كان دعبل قد مدح دينار بن عبد الله وأخاه يحيى، فلم يرض ما فعلاه، فقال يهجوهم:

ما زال عصياننا لله يُرذلنا حتى دفعنا إلى يحيى ودينار

وغدّين علجين لم تُقطع ثمارهما قد طال ما سجداً للشمس والنار

[البسيط]

قال: وفيهما وفي الحسن بن سهل يقول أيضاً دعبل يهجوهم والحسن بن رجاء

وأبيه أيضاً:

أَلَا فاشْتَرَوْا مِنِّي مُلُوكَ الْمُخَزَّمِ أَبْعَ حَسَنًا وَابْنِي رَجَاءَ بَدْرِهِمْ
وَأَعْطِ رَجَاءً فَوْقَ ذَاكَ زِيَادَةً وَأَسْمَحْ بِدِينَارٍ بَغِيرِ تَنْدُمِ
فَإِنْ رُدَّ مِنْ عَيْبٍ عَلَيَّ جَمِيعُهُمْ فَلَيْسَ يَرُدُّ الْعَيْبَ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمِ
[الطويل]

ينحرف عن الطاهرية مع أياديهم عنده :

أخبرني الحسن بن عليّ، قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال :
حدثني أبو الطيب الحرانيّ، قال :
كان دِعْبَلُ منحرفاً عن الطاهرية مع ميلهم إليه وأياديهم عنده، فأنشدني لنفسه
فيهم :

وَأَبْقَى طَاهِرٌ فِينَا ثَلَاثًا عَجَائِبَ تُسْتَخَفُّ لَهَا الْحُلُومُ
ثَلَاثَةٌ أَعْبَدُ لِأَبٍ وَأُمٍّ تَمَيِّزُ عَنْ ثَلَاثَتِهِمْ أُرُومُ^(١)
فَبَعْضٌ فِي قَرِيشٍ مُنْتَمَاهُ وَتَدْفَعُهُ الْمَوَالِي وَالصَّمِيمُ
وَبَعْضٌ فِي خُزَاعَةَ مُنْتَمَاهُ وَلَا غَيْرَ وَمَجْهُولٌ قَدِيمُ
وَبَعْضُهُمْ يَهْشُ لَأَلٍ كَسَرَى وَيَزْعَمُ أَنَّهُ عِلَجٌ^(٢) لئِيمُ
فَقَدْ كَثُرَتْ مَنَاسِبُهُمْ عَلَيْنَا فَكُلُّهُمْ عَلَى حَالٍ زَنِيمُ
[الوافر]

وجه الأضجم جيش من الطاعون :

أخبرني الحسن بن عليّ، قال : حدثنا ابن مهرويه، قال : حدثني أبي، قال :
كان صالح بن عطية الأضجم من أبناء الدَّعوة^(٣)، وكان من أقبح الناس وجهاً،
وكان ينزل واسطاً، فقال فيه دِعْبَلُ :

أَحْسَنُ مَا فِي صَالِحٍ وَجْهُهُ فَقَسَّ عَلَى الْغَائِبِ بِالشَّاهِدِ
تَأَمَّلْتُ عَيْنِي لَهُ خِلْقَةً تَدْعُو إِلَى تَزْنِيَةِ الْوَالِدِ
[السريع]

(١) الأروم : الحسب، والأصل النبيل .

(٢) العِلَج، بكسر العين : الكافر من الروم .

(٣) الدَّعوة، بفتح الدال : وهو الحلف من أقوام ليست عربية تُحالف العرب في حروبهم وآرائهم السياسية .

قال: وقال فيه أيضاً وخاطب المعتصم بها:

قل للإمام إمام آل محمد
أنكرت أن تفتّر عنك صنيعه^(١)
ليس الصنائع عنده بصنائع
إضرب به جيش العدو فوجهه
قول امرئ حذب عليك محامي
في صالح بن عطية الحجام
لكنهن طوائل الإسلام
جيش من الطاعون والبرسام^(٢)
[الكامل]

دعبل يعرض شعره على مسلم:

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثني إبراهيم بن محمد الوراق
قال: حدثني الحسين بن أبي السري، قال:
قال لي دعبل: ما زلت أقول الشعر وأعرضه على مسلم فيقول لي: اكتب هذا
حتى قلت:

أين الشباب وأية سلكا لا أين يطلب ضلّ بل هلكا؟!
[الكامل]

فلما أنشدته هذه القصيدة، قال: اذهب الآن فاطهر شعرك كيف شئت ولمن
شئت.

قال إبراهيم: وحدثني الفتح غلام أبي تمام الطائي - وكان أبو سعيد الثغري
اشتراه له بثلاثمائة دينار لينشد شعره، وكان غلاماً أديباً فصيحاً وكان إنشاد أبي تمام
قبيحاً، فكان ينشد شعره عنه - فقال: سألت مولاي أبا تمام عن نسب دعبل، فقال:
هو دعبل بن علي الذي يقول:

ضحك المشيب برأسه فبكى

دعبل ومسلم يتهاجران:

قال الفتح: وحدثني مولاي أبو تمام، قال:
ما زال دعبل مائلاً إلى مسلم بن الوليد مقرراً بأستاذيته حتى ورد عليه جرجان،
فجفاه مسلم وكان فيه بخل، فهجره دعبل وكتب إليه:

(١) الصنعة: الإحسان.

(٢) البرسام، بكسر الباء: التهاب في الحجاب الذي بين الكبد والقلب.

أَبَا مَخْلَدٍ كُنَّا عَقِيدِي^(١) مَوْدَّةً^(٢)
 أَحَوطُكَ بِالْغَيْبِ الَّذِي أَنْتَ حَائِطِي
 فَصَيَّرْتَنِي بَعْدَ انْتِكَاثِكَ مُتَّهِمًا
 عَشَشْتَ الْهَوَى حَتَّى تَدَاعَتْ أُصُولُهُ
 وَأَنْزَلْتَ مِنْ بَيْنِ الْجَوَانِحِ وَالْحَشَى^(٣)
 فَلَا تَعْدِلْنِي لَيْسَ لِي فِيكَ مَطْمَعٌ
 فَهَبْكَ يَمِينِي اسْتَأْكَلْتُ فَقَطَعْتُهَا
 هَوَانًا وَقَلْبَانَا جَمِيعًا مَعًا مَعًا
 وَأَفْجَعُ إِشْفَاقًا لِأَنَّ تَتَوَجَّعَا
 لِنَفْسِي عَلَيْهَا أَرْهَبُ الْخَلْقِ أَجْمَعَا
 بَنَّا وَابْتَذَلْتَ الْوَصْلَ حَتَّى تَقْطَعَا
 ذَخِيرَةً وَدُّ طَالَمَا قَدْ تَمَنَّيَا
 تَخَرَّقْتَ حَتَّى لَمْ أَجِدْ لَكَ مَرْقَعَا
 وَجَشَّمْتُ قَلْبِي صَبْرَةً فَتَشَجَّعَا
 [الطويل]

ويروى :

وَحَمَلْتُ قَلْبِي فَقَدَهَا

قال : ثم تهاجرا فما التقيتا بعد ذلك .

دِعْبِلُ خُرَاعَةَ كُلِّهَا :

أخبرني محمد بن خلف ، قال : حدثني إبراهيم بن محمد ، قال : حدثنا الحسين بن علي ، قال :

قلت : لابن الكلبي : إن دِعْبِلًا قد قطعنا ، فلو أخبرت الناس أنه ليس من خُرَاعَةٍ ، فقال لي : يا عَاقِلُ : مثل دِعْبِلٍ تنفيه خُرَاعَةٌ ؟ وَاللَّهِ لو كان من غيرها لرغبت فيه حتى تدَّعيه ، دِعْبِلُ وَاللَّهِ يا أَخِي خُرَاعَةٌ كُلِّهَا .

من مكة إلى مصر :

أخبرني محمد بن المرزبان ، قال : حدثني إبراهيم بن محمد الوراق ، عن الحسين بن أبي السري ، عن عبد الله بن أبي الشيص ، قال :

حدثني دِعْبِلُ ، قال : حججت أنا وأخي رزين ، وأخذنا كتباً إلى المطلب بن عبد الله بن مالك ، وهو بمصر يتولاهما ، فصرنا من مكة إلى مصر ، فصحبنا رجل يُعرف بأحمد بن فلان السراج^(٤) ، نسي عبد الله بن أبي الشيص اسم أبيه ، فما زال يُحدثنا ويؤنسنا طولَ طريقنا ، ويتولَّى خدمتنا كما يتولاهما الرفقاء والأتباع ، ورأيناه

(١) عقيدتي : حليفي .

(٢) مودة : صحبة ، صداقة .

(٣) الحشا : ما انضمت عليه الضلوع .

(٤) هو : أحمد بن الحجاج .

حسن الأدب، وكان شاعراً، ولم نعلم، وكتَمْنَا نفسَه، وقد عَلِمَ ما قصَدْنَا له، فعرضنا عليه أن نقول قصيدة في المطلب ننحله إياها، فقال: إن شئتم، وأرانا بذلك سروراً وتقبُّلاً له، فعملنا له قصيدة وقلنا له: نُشدها المطلب فإنك تنتفع بها، فقال: نعم، ووردنا مصرَ به، فدخلنا إلى المطلب، وأوصلنا إليه كتباً كانت معنا، وأنشدناه، فسرَّ بموضعنا، ووصفنا له أحمد السراج هذا، وذكرنا له أمره، فأذن له، فدخل عليه ونحن نظن أنه سيُشده القصيدة التي نحلناه إياها، فلما مثل بين يديه عدل عنها وأنشده:

لم آتِ مَطْلِباً إِلَّا بِمَطْلَبٍ وَهَمَّةٌ بَلَغَتْ بِي غَايَةَ الرُّتَبِ
أَفْرَدْتَهُ بِرَجَاءٍ أَنْ تَشَارِكُهُ فِيِّ الْوَسَائِلُ أَوْ أَلْقَاهُ فِي الْكُتُبِ
[السيط]

قال: وأشار إلى كتبي التي أوصلتها إليه، وهي بين يديه، فكان ذلك أشدَّ من كل شيء مرَّ بي منه عليّ، ثم أنشده:

رَحَلْتُ عَيْسِي^(١) إِلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ عَلَى مَا كَانَ مِنْ وَصَبٍ فِيهَا وَمِنْ نَصَبٍ^(٢)
أَلْقَى بِهَا وَبِوَجْهِي كُلِّ هَاجِرَةٍ^(٣) تَكَادُ تَقْدَحُ بَيْنَ الْجِلْدِ وَالْعَصَبِ
حَتَّى إِذَا مَا قَضَيْتُ نَسْكَي ثَنَيْتُ لَهَا عِطْفَ الزَّمَامِ فَأَمَّتْ سَيِّدَ الْعَرَبِ
فِيَمَّمْتُكَ وَقَدْ ذَابَتْ مَفَاصِلُهَا مِنْ طَوْلِ مَا تَعَبٍ لَاقَتْ وَمِنْ نَقَبٍ^(٤)
إِنِّي اسْتَجَرْتُ بِإِسْتَارَيْنِ مُسْتَلِمًا رُكْنَيْنِ مُطْلِبًا وَالْبَيْتَ ذَا الْحُجَبِ
فَذَاكَ لِلْأَجَلِ الْمَأْمُولِ أَلْمَسَهُ وَأَنْتَ لِلْعَاجِلِ الْمَرْجُوِّ وَالطَّلَبِ
هَذَا ثَنَائِي وَهَذَا مَصْرُ سَانِحَةٍ وَأَنْتَ أَنْتَ وَقَدْ نَادَيْتُ مِنْ كَثَبِ
[السيط]

قال: فصاح مطلب: لبيك لبيك ثم قام إليه فأخذ بيده وأجلسه معه، وقال: يا غلمان، البدر، فأحضرت، ثم قال: الخلع، فنشرت، ثم قال: الدواب، فقيدت، أمر له من ذلك بما ملأ عينه وأعيننا وصدورنا، وحسدناه عليه، وكان حسدنا له بما اتفق له من القبول وجودة الشعر، وغيظنا بكتمه إيانا نفسَه واحتياله علينا أكثر وأعظم، فخرج بما أمر له به، وخرجنا صِفراً، فمكثنا أياماً.

(١) العيس من الإبل: البيضاء الكريمة.

(٢) الوصب والنصب: العناء، الإرهاق.

(٣) الهاجرة: حرّ الظهيرة في الصيف.

(٤) النقب: ما يصيب الإبل في أخفافها من حفا، لكثرة المشي.

المطلب يولي دِعبلَ أسوانَ ثم يعزله :

ثم ولَّى دِعبلَ بنَ عليٍّ أسوانَ، وكان دِعبلَ قد هجا المطلبَ غيظاً منه فقال :

تُعَلِّقُ مِصْرُ بَكَ المَخْزِيَّاتِ وَعَادَيْتَ قَوْمًا فَمَا ضَرَّهُمْ
وَشَرَّفْتَ قَوْمًا فَلَمْ يَنْبُلُوا شَعَارُكَ عِنْدَ الْحُرُوبِ النَّجَاءُ
وَصَاحِبُكَ الْأَخَوْرُ الْأَفْشَلُ^(١) فَأَنْتَ إِذَا مَا التَّقْوَا آخِرُ
وَأَنْتَ إِذَا أَنْهَزْمُوا أَوَّلُ

[المقارب]

وقال فيه :

أَضْرَبَ نَدَى طَلْحَةِ الطَّلِحَاتِ مَتَّئِدًا بَلَوْمَ مَطْلَبَ فِينَا وَكُنْ حَكَمًا
تَخْرُجُ خِزَاعَةٌ مِنْ لَوْمٍ وَمِنْ كَرَمٍ فَلَا تُعْدِلْهَا لَوْمًا وَلَا كَرَمًا

[البيط]

قال : وكانت القصيدة التي مدح بها دِعبلَ المطلبَ قصيدته المشهورة التي يقول

فيها :

أَبْعَدَ مِصْرٍ وَبَعْدَ مَطْلَبٍ تَرْجُو الْغِنَى إِنْ ذَا مِنْ الْعَجَبِ؟!
إِنْ كَاثَرْنَا جِئْنَا بِأُسْرَتِهِ أَوْ وَاحِدُونَا جِئْنَا بِمَطْلَبٍ

[المنسرح]

قال : وبلغ المطلبَ هجاؤه إياه بعد أن ولاه، فعزله عن أسوان، فأنفذ إليه كتاب العزل مع مولى له، وقال له : انتظره حتى يصعد المنبر يوم الجمعة، فإذا علاه فأوصل الكتاب إليه وامنعه من الخطبة، وأنزله عن المنبر واصعد مكانه، فلما أن علا المنبر وتنحنح ليخطب ناوله الكتاب، فقال له دِعبلُ : دعني حتى أخطب، فإذا نزلتُ قرأته، قال : لا، قد أمرني أن أمنعك الخطبة حتى تقرأه، فقرأه وأنزله عن المنبر معزولاً.

قال : فحدثني عبد الله بن أبي الشيص، قال :

قال لي دِعبلُ : قال لي المطلب : ما تفكرت في قولك قط :

إِنْ كَاثَرْنَا جِئْنَا بِأُسْرَتِهِ أَوْ وَاحِدُونَا جِئْنَا بِمَطْلَبٍ

[المنسرح]

إِلَّا كُنْتَ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَلَا تَفَكَّرْتَ وَاللَّهِ فِي قَوْلِكَ لِي :

(١) الأفشل : من لا يُحالفه التوفيق .

وعاديتَ قوماً فما ضرَّهم وقدَّمتَ قوماً فلم يَنْبَلُوا
[المقارب]

إلا كُنتَ أبغضَ الناسِ إليَّ .

قال ابن المرزبان: حدثني من سأل الرياشي عن قوله: أَسْتَارِينَ، قال: يجوز على معنى أَسْتَارَ كَذَا، وَأَسْتَارَ كَذَا وَأَنْشَدَنَا الرياشي:

سعى عِقَالاً فلم يترك لنا سبداً^(١) فكيف لو قد سعى عمرو عِقَالِينَ
لأصبح القوم أوقاصاً^(٢) فلم يجدوا يوم الترحُّل والهيجا^(٣) جمالين
[البسيط]

قوله في عبد المطلب والي مصر:

أخبرني حبيب بن نصر المهلبی، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني عبد العزيز بن سهل، قال:

لما قصد دِعبل عبد المطلب بن عبد الله بن مالك إلى مصر، ولم يرض ما كان منه إليه قال فيه:

أَطْلَبْتُ أَنْتَ مُسْتَعِذِبٌ حُمَاتٍ^(٤) الْأَفَاعِي وَمُسْتَقْبَلٌ
فإن أَشْفَ مِنْكَ تَكُنْ سُبَّةً وإن أَغْفُ عَنْكَ فَمَا تَعْقِلُ
ستَأْتِيكَ إما ورَدْتَ العِراقَ صَحَائِفُ يَأْثُرَهَا دِعبِلُ
مُنْمَقَةٌ بَيْنَ أَثْنَائِهَا مَخَازٍ تَحُطُّ فَلَا تَرْحَلُ
وضَعْتَ رِجَالاً فَمَا ضَرَّهم وشَرَفْتَ قوماً فلم يَنْبَلُوا
فَأَيُّهمُ الزَّيْنِ وَسَطُ المَلا^(٥) عَطِيَّةُ أُمِّ صَالِحِ الْأَحْوَلِ
أُمُّ البَاذِجَانِيٍّ أُمُّ عَامِرٍ أَمِينُ الحَمَامِ التِّي تُزَجَلُ^(٦)
تُنَوِّطُ^(٧) مِصرُ بَكَ المَخْزِيَاتِ وتَبْصُقُ فِي وَجْهِكَ المَوْصِلُ
وَيَوْمَ الشَّرَاةِ^(٨) تَحْسِيَّتُهَا^(٩) يَطِيبُ لَدَى مِثْلِهَا الحَنْظَلُ

(٢) الأوقاص: المشتين، المبعثرين.

(١) السبد: القليل من الشعر.

(٣) الهيجا: الحرب.

(٤) الحُمَات، بضم الحاء، وحُمَات الأفاعي: حمياها.

(٦) تُزَجَل: تصدر هديلاً مطرباً.

(٥) الملا: الناس.

(٨) الشراة: الخوارج.

(٧) تنوُّط: تُلصق، تُنسب.

(٩) تحسيتها: تجرعتها شيئاً فشيئاً.

تولّيت ركضاً وفتياننا
إذا الحربُ كُنتَ أميراً لها
فمنك الرؤوسُ غداة اللقاء
شعارُك في الحرب يوم الوغا
هزائمك الغرُ مشهورةٌ
فأنت لأوّلهم آخرُ
صدورُ القنا فيهمُ تعسلُ^(١)
فحظُّهم منك أن يُقتلوا
وممن يحاربك المنصلُ^(٢)
إذا انهزموا عجلوا عجلوا
يُقرطسُ^(٣) فيهنّ من يُنضلُ^(٤)
وأنت لآخرهم أوّلُ
[المقارب]

يهجو المطلب ويُعيره بغلامين :

أخبرني عمّي، قال: أنشدنا المبرد لدِعل يهجو المطلب بن عبد الله ويُعيره
بغلامين عليّ وعمرو، وكان يتّهم بهما.
فأيرُ عليّ له آلة
فطوراً تصادفه جعبةٌ
وفقحة^(٥) عمرو له دبة^(٦)
وطوراً تصادفه حربه
[المقارب]

وأنشدني ابن عمار عن أحمد بن سليمان بن أبي شيخ. لدِعل يمدح
المطلب بن عبد الله بن مالك، وفيه غناء.

صوت

زَمَنِي بِمَطْلَبٍ سُقِيَتْ زَمَانَا
كُلُّ النَدَى إِلَّا نَدَاكَ تَكْلَفُ
أَصْلَحْتَنِي بِالْبَرِّ بَلْ أَفْسَدْتَنِي
مَا كُنْتُ إِلَّا رَوْضَةً وَجِنَانَا
لَمْ أَرْضَ بَعْدَكَ كَائِنًا مَنْ كَانَا
فَتَرَكْتَنِي أَتَسَخَّطُ^(٧) الْإِحْسَانَا
[الكامل]

سبب سخطه على المطلب :

وقد أخبرني بخبره الأول الطويل مع المطلب الحسن بن عليّ، عن أحمد بن
محمد حدّان، عن أحمد بن يحيى العلويّ.

- (١) تعسل: تضطرب وتهتزّ.
(٢) المنصل: شفرة السيف، السيف.
(٣) يُقرطس: يهلك.
(٤) يُنضل: يُهزم.
(٥) الفقحة: حلقة الدبر لانفتاحها عند الحاجة.
(٦) الدبة، من الأواني: ما يُوضع فيه الزيت.
(٧) أتسخط: ألعن وأشتم.

أن سبب سخطه على المطلب أن رجلاً من العلويين كان قد تحرك بطنجة، فكان يبت دعائه إلى مصر، وخافه المطلب، فوكل بالأبواب من يمنع الغرباء دخولها، فلما جاء دعبل مُنع فأغلظ للذي منعه، فقتله^(١) بالسوط وحبسه، فمضى رزين إلى المطلب فأخبره، فأمر بإطلاق دعبل ودعا به فخلع عليه، فقال له: لا أرضى أو تقتل الموكل بالباب، فقال له: هذا لا يمكن، لأنه قائد من قواد السلطان، فغضب.

ثم أنشده الرجل الأبيات المذكورة فأجازه، وحكي أن اسمه محمد بن الحجاج لا أحمد السراج، وسائر الخبر مثله.

سبب مناقضته أبا سعد المخزومي:

وكان سبب مناقضته أبا سعد المخزومي وما خرج إليه الأمر بينهما قول دعبل قصيدته التي هجا فيها قبائل نزار، فحمي لذلك أبو سعد، المخزومي فأجابه، ولجّ الهجاء بينهما، وروي أنه نزل بقوم من بني مخزوم فلم يُضيفوه، فهجاهم، فأجابه أبو سعد، فلجّ الهجاء بينهما.

أول الأسباب في مهاجته لأبي سعد:

أخبرني عمي والحسن بن علي الخفاف، قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني محمد بن الأشعث، قال:

حدثني دعبل أنه ورزينا العروضي نزلنا بقوم من بني مخزوم فلم يقرّوهما ولا أحسنوا ضيافتهم، فقال دعبل: فقلت فيهم:

عصابة من بني مخزوم بثّ بهم
بحيث لا تطمع المسحاة^(٢) في الطين
[البسيط]

ثم قلت لرزين: أجز فقال:

في مَضْغ أعراضهم من خُبْزهم عَوْضُ
بنو النفاق وأبناء الملاعين
[البسيط]

قال ابن الأشعث: فكان هذا أول الأسباب في مهاجته لأبي سعد.

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي، قال: حدثني العنزي، قال: حدثني علي بن عمرو الشيباني:

(١) قنعه بالسوط: ضربه.

(٢) المسحاة، بكسر الميم: آلة يُقشط بها الخشب.

أن الذي هاج الهجاء بين أبي سعد ودِعلب قول دِعلب قصيدته القحطانية التي هجا فيها نزاراً، فأجابه عنها أبو سعد: ولجَّ الهجاء بينهما.

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا محمد بن القاسم، قال: حدثني أحمد بن أبي كامل، قال:

كان السبب في وقوع الهجاء بين دِعلب وأبي سعد قول دِعلب في قصيدة له يفتخر فيها بخزاعة، ويهجو نزاراً، وهي التي يقول فيها:

أَتَانَا طَالِباً وَعِراً فَأَعْقَبْنَاهُ بِالْوَعْرِ
وَتَرْنَاهُ فَلَمْ يَرُضْ فَأَعْقَبْنَاهُ بِالْوَتْرِ

[الهج]

فغضب أبو سعد، وقال قصيدته التي يقول فيها لدِعلب، وهي مشهورة:

وَبَالْكَرْخِ هَوَى أَبْقَى عَلَى الدَّهْرِ مِنَ الدَّهْرِ
هَوَى وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَفَانِي كُلفَةُ الْعُذْرِ

[الهج]

قال: ثم التحم الهجاء بينهما بعد ذلك.

أبو سعد يجود الشعر فلا يُروى، ودِعلب يردل فيُروى:

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني أحمد بن مروان، قال:

دخلت على أبي سعد المخزومي يوماً وهو يقول: وأي شيء ينفعني؟ إني أجود الشعر فلا يُروى، ويُردل فيُروى، ويفضحني برديئه ولا أفضحه بجيدي، فقلت: من تعني يا أبا سعد؟ فقال: من تراني أعني إلا من عليه لعنة الله، دِعلباً قلت فيه:

لَيْسَ لُبْسُ الطِّيَالِسِ مِنْ لِبَاسِ الْفَوَارِسِ
لَا وَلَا حَومَةُ الْوُغَى كَصُدُورِ الْمَجَالِسِ
ضَرَبْتُ أَوْتَارَ نَفْنَفٍ^(١) غَيْرُ ضَرْبِ الْقَوَانِسِ^(٢)
وَوَظْهُورُ الْجِيَادِ غَـ يَرُظْهُورُ الطَّنَافِسِ^(٣)

(١) النفنف: الرّكبة من شفتها إلى قعرها والرّكبة هي البئر.

(٢) القوانس، الواحد قونس: أعلى الرأس حيث يحتمي المحارب بخوذة من حديد.

(٣) الطنافس، الواحدة طُنفسة: البساط، الحصير. فارسي معرّب.

ليس من ضارَس^(١) الحرو
بأبي غَرْسُ فتية
فتية من بني المغ
يُطعمون السَّدِيفَ^(٣) في
في جِفَانٍ^(٥) كأنها
ثم يمشون في السَّنَوْرِ^(٦) مشى العَنَابِسِ^(٧)
ويخوضون باللو
نحن خيرُ الأنامِ عنـ
بَ كمن لم يُضارسِ
من كرامِ المَغَارِسِ
يرة شَمَّ المعاطِسِ^(٢)
كلَّ شهباءِ دَامِسِ^(٤)
من جِفَانِ العرائسِ
مد قِياسِ المُقايِسِ
[مجزوء الخفيف]

فوالله ما التفت إليها في مصرنا هذا إلا علماء الشعر، وقال هو في:
يا أباسعد قوصره^(٨)
لو تراه مُجَبِّياً
أو ترى الأير في استه
زاني الأخت والمرة
خلته عَقْدَ قنطرة
قلت: ساق بمقطرة

[مجزوء الخفيف]

قال: فوالله لقد رواه صبيانُ الكُتَّابِ ومارةُ الطريقِ والسَّفَلِ، فما أجتازُ بموضع
إلا سمعته من سيفلة يهْدُون به هَذَا^(٩) فمنهم من يعرفني فيعبث بي، ومنهم لا يعرفني
فأسمعه منه لسهولته على لسانه.

أبو سعد المخزومي يدس بيتاً في شعر دعبل:

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي ومحمد بن يحيى الصولي وعمي، قالوا:
حدثنا الحسن بن عليل العنزي، قال: حدثنا علي بن أبي عمرو الشيباني قال:

- (١) ضارس الحروب: جرب أهوالها ومارس ضروبها.
- (٢) المعاطس: الأنوف.
- (٣) السديف: شحم السنام.
- (٤) الدامس: المظلم الشديد السواد.
- (٥) الجفان، بكسر الجيم، الواحدة جفنة: الأواني العظيمة الضخمة.
- (٦) السَنَوْر: السلاح العظيم.
- (٧) العنابس، الواحد عنبس: من أسماء الأسود.
- (٨) القوصرة: وعاء من قصب يُجعل فيه التمر ونحوه.
- (٩) هَذَا البعير: هدر.

جاءني إسماعيل بن إبراهيم بن ضمرة الخزاعي، فقال لي: إني سألت دعبلاً أن أقرأ عليه قصيدته التي يناقض بها الكميت:

أفيقي من ملامك يا ظعينا كفاك اللوم مرُّ الأربعينا
[الوافر]

فقال لي إسماعيل: قال لي دعبل: يا أبا الحسن، فيها أخبار وغريب، فليكن معك رجلٌ يقرأها عليّ وأنت معه، فيكون أهون عليّ منك، فقلت له: لقد اخترت صديقاً لي يُقال له عليّ، فقال: أَمِنَ العرب هو؟ قلت: نعم، قال: من أيّ العرب؟ قلت: من بني شيبان، قال: شيبان كِنْدَة؟ فقلت: بل شيبان ربيعة، فقال لي: ويحك، أتأْتيني برجل أسمع ما يكره في قومه؟ فقلت له: إنه رجل يحتمل ويُحب أن يسمع ما له وعليه، فقال: في مثل هذا أريحية^(١)، فأتني به، فصرنا إليه، فلما لقيه قال له: قد أخبرني عنك أبو الحسن بما سُررت به أن كنت رجلاً من العرب تحب أن تسمع ما لك وعليك لكيلا تُعَبَّن، فقرأنا عليه الشعر حتى انتهينا في القصيدة إلى قوله:

من أيّ ثنيةٍ طلعت قريشٌ وكانوا معشراً مُتَنَبِّطينا
[الوافر]

فقال دعبل: معاذ الله أن يكون هذا البيت لي، ثم قال: لعنه الله وانتقم منه، يعني أبا سعد المخزومي، دَسَّه والله في هذا الشعر، وضرب بيده إلى سكين كانت معه فجرد البيت بحدها، ثم قال: أنا أحدثكم عنه بحديث ظريف.

يصطلحان ثم يعودان إلى التهاجي:

جاءني يوماً ببغداد أشد ما كان الهجاء بيني وبينه، وبين يدي صحيفة ودواة، وأنا أهجوه فيها، إذ دخل عليّ غلام لي، فقال: أبو سعد المخزوميّ بالباب، فقلت له: كذبت، فقال - وهو عارف بأبي سعد -: بلى والله يا مولاي، فأمرته برفع الدواة والجلد الذي كان بين يدي، وأذنت له في الدخول، وجعلت أحمد الله في نفسي فأقول: الحمد لله الذي أصلح بيني وبينه من هتك الأعراض وذكر القبيح، وكان الابتداء منه، فقامت إليه وسلمت عليه وهو ضاحك مسرور، فأبدت له مثل ذلك من السرور به، ثم قلت: أصبحت والله حاسداً لك، فقال: على ماذا يا أبا علي؟ فقلت: لسبقك إياي إلى الفضل، فقال لي: أنا اليوم في دعوة عندك، فقلت: قل ما أحببت، فقال: إن كان عندك ما نأكله وإلا ففي منزلي شيء مُعَدّ، فسألت الغلمان فقالوا: عندنا

(١) الأريحية: خصلة تجعل الإنسان يرتاح إلى الأفعال الحميدة وبذل العطايا.

قَدَر أَمْسِيَّةً، فقال: غاية واتفاق جيد، فهل عندك شيء نشربه وإلا وجهت إلي منزلي ففيه شراب مُعَدّ، فقلت له: عندنا ما نشرب، فطرح ثيابه وردّ دابته وقال: أَحَبُّ أَلَا يكون معنا غيرنا، فتغدينا وشربنا، فلما أخذ فينا الشراب قال: مر غلاميك يُغْنِيَانِي، فأمرت الغلامين فغنياه، فطرب وفرح واستحسن الغناء، حتى سرّني وأطربني معه، ثم قال: حاجتي إليك يا أبا علي أن تأمرهما أن يُغْنِيَانِي في هِجَائِكَ لي، وكان الغلامان لكثرة ما يسمعانه مني في هِجَائِهِ قد حفظا منه أشياء ولحناها، فقلت له: سبحان الله يا أبا سعد، قد طِفِئَتِ الثَّائِرَةُ^(١)، وذهبتِ العداوة بيننا، وانقطع الشرّ بيننا فما حاجتُك إلي هذا؟ فقال لي: سألتك بالله إلا فعلت، فليس يشقّ ذلك عليّ ولو كرهته لما سألتُك: فقلت في نفسي: أترى أبا سعد يتماجن عليّ؟ يا غِلْمَانُ غنوه بما يُريد، فقال: غنوا:

يا أبا سعد قوصره زانِي الأخت والمـره

[مجزوء الخفيف]

فغنوه فيه وهو يحرك رأسه وكتفيه ويطرب ويصفق، فما زلنا يومنا مسرورين، فلما ثمل ودّعني وقام فانصرف، وأمرت غِلْمَانِي فخرجوا معه إلى الباب، فإذا غلام منهم قد انصرف إليّ بقطعة قرطاس وقال: دَفَعَهَا إِلَيَّ أَبُو سَعْدِ الْمَخْزُومِيّ وأمرني أن أدفعها إليك، قال: فقرأتها فإذا فيها:

لِدَعْبَلٍ مِئْتَةٌ يَمْنُ بِهَا فَلَسْتُ حَتَّى الْمَمَاتِ أَنْسَاهَا
أَدْخَلْنَا بَيْتَهُ فَأَكْرَمَنَا وَدَسَّ إِمْرَاتِهِ فَنَكْنَاهَا

[المنسرح]

فقلت: ويلي على ابن الفاعلة، هاتوا جِلْدًا ودواة، قال فردّوهما إليّ، فعدت في هِجَائِهِ، ولقيته بعد ذلك بيومين أو بثلاثة فما سلّم عليّ ولا سلّمت عليه.

وأخبرني به الحسن بن عليّ، قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدثنا علي بن عبد الله بن سعد.

أنه سمع دعبلاً يحدث بخبره هذا مع أبي سعد، فذكر نحو ما ذكره العنزّي.

بنو مخزوم يُنكرون انتساب أبي سعد إليهم:

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا محمد بن القاسم، قال: حدثني أحمد بن أبي كامل، قال:

(١) الثائرة: الغضب وشدة الانفعال.

رأيت دِعْبِلًا قد لقي أبا سعد في الرُّصافة، وعليهما السواد وسيفاهما على أكتافهما، فشدَّ دِعْبِلٌ على أبي سعد فقنَّعه^(١)، فركض أبو سعد بين يديه هارباً وركض دِعْبِلٌ في أثره وهو يهرب منه حتى غاب عنا، قال: وكنت أرى أبا سعد يجلس مع بني مخزوم في دار المأمون، فتظلموا منه إلى المأمون، وذكروا أنهم لا يعرفون له فيهم نسباً، فأمرهم المأمون بنفيه، فانفقوا منه وكتبوا بذلك كتاباً، فقال دِعْبِلٌ فيه يذكر ذلك من قصيدة طويلة:

غَيْرَ أَنْ الصِّيدَ^(٢) مِنْهُمْ قَنَّنَعُوهُ بِخِزَايَةٍ
كُتِبُوا الصَّكُّ عَلَيْهِ فَهُوَ بَيْنَ النَّاسِ آيَةٌ
فَإِذَا أَقْبَلَ يَوْمًا قِيلَ: قَدْ جَاءَ التُّفَايَةُ

[مجزوء الرمل]

وقال فيه أيضاً:

هُمْ كُتِبُوا الصَّكُّ الَّذِي قَدْ عَلِمْتَهُ عَلَيْكَ وَسُئِلُوا فَوْقَ هَامَتِكَ الْفَقْرَا
[الطويل]

قال: وكان إذا قيل له بعد ذلك شيء في نسبه، قال: أنا عبد بن عبد.

قال: ونظر دِعْبِلٌ فرأى على أبي سعد قباءً^(٣) مرويًّا مصبوغاً بسواد، فقال: هذا دَعِيٌّ على دَعِيٍّ.

ابن دِعْبِلٍ أشعر من أبي سعد:

أخبرني الحسن بن عليٍّ، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهوريه، قال: حدثني أحمد بن مروان مولى الهادي، قال:

لقيني أبو سعد المخزومي على ظهر الطريق، فقال لي: يا أحمد أنا أدرس شكايتك إلى أبيك، قال: فقلت: ولم أبقاك الله؟ قال: فما فعل دفتر النزاريات؟ قلت: هوذا أجيئك به، فلما صليت الظهر جئت بالدفتر أريده، فمررت بدِعْبِلٍ، فدققت بابه، فسمعته يقول لجارية: يا دراهم انظري من بالباب، فقالت له: أحمد بن مروان، فقال: افتحي له، فلما دخلت قلت له: أيش هو دراهم من الأسماء؟ قال: سميتم جواريكم بدنانير فسمينا جوارينا بدراهم، ثم قال: ما هذا معك؟ قلت: دفتر

(١) قَنَّنَعَهُ: ضربه بالسوط.

(٢) الصِّيدُ، الواحد أصيد: السادة الكرام.

(٣) القباء: بفتح القاف: ثوب يُلبس فوق الثياب.

فيه شعر أبي سعد في النزاريات، فأخذه فنظر فيه، وابنه علي بن دعبل بن علي معه، فلما بلغ من نظره إلى شعره الذي يقول فيه.

مالت إلى قلبك أحزائه فهو مجمُّ الهمم خزانُهُ
[السريع]

قال له ابنه علي: فما كان عليه يا أبت لو قال في شعره:

عادت إلى قلبك أحزائه

فقال له، دعبل: صدقت والله يا بُني، أنت والله أشعرُ منه، قال: ثم إنه أَملى علي دعبل إملاء:

ما كنتُ أحسب أن الدهر يُمهِّلني حتى أرى أحداً يهجوهُ لا أحدُ
إنِّي لأعجب ممن في حقيبتِه من المنيِّ بحورٍ كيف لا يَلِدُ
فإن سمعت به نعت القنا عبثاً فقد أراد قنأً ليست له عُقْدُ

[البسيط]

قال: ثم صرت إلى أبي سعد، فلما رأيته من بعيد قال لي: من أين أقبلت يا أحمد؟ قلت: من عند دعبل، قال: وما دعبل عنده؟ فأنشدته شعر دعبل فيه، وأخبرته بما قال ابنه في شعره، فقال: صدق والله، في أي سن هو؟ قلت: قد بلغ، فدعا بدواة وقرطاس وقال: اكتب، فكتبت:

لا والذي خلق الصهباء^(١) من ذهب يقول لي دعبل في بطنه حَدَلٌ^(٢)
والماء من فضة ما ساد من بخلا ولو أصابت ثيابي دعبلاً حَبِلاً
لو كان أسفلهُ من خلفه رجلاً

[البسيط]

قال: ثم هجاني أبو سعد، فقال:

عدوُّ راح في ثوبي صديق له وجهان ظاهراً ابن عم يسرك مُغلناً ويسوء سراً
شريك في الصُّبوح^(٣) وفي الغُبوق^(٤) وباطنه ابن زانية عتيق
كذلك يكون أبناء الطريق

[الوافر]

(١) الصهباء: من أسماء الخمرة.

(٢) الحدل: بفتح الحاء: وجع العنق والرقبة المنكبة على صدر المرء.

(٣) الصُّبوح: شرب الخمرة عند الصباح. (٤) الغُبوق: شرب الخمرة عند المساء.

أبو سعد العبدُ ابن العبد :

أخبرني عمِّي والحسن بن عليّ، قالاً: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثنا أبو ناجية شيخٌ من ولد زهير بن أبي سلمى، قال:

حضرت بني مخزوم وهم ببغداد، وقد اجتمعوا على أبي سعد، لما لجَّ الهجاءُ بينه وبين دِعل، وقد خافوا لسان دِعل، وأن يقطعهم ويهجوهم هجاء يعمهم جميعاً، فكتبوا عليه كتاباً، وأشهدوا أنه ليس منهم، فحدثني غير واحد أنه أتى حينئذٍ بخاتمه النقّاش فنقش عليه: أبو سعد، العبدُ ابنُ العبد بريءٌ من بني مخزوم تهاوناً بما فعلوه.

ابن أبي الشيص ودِعل يهجو ابن أبا سعد :

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش، قال: حدثني محمد بن يزيد، قال:

كان أبو سعد المخزومي قد كاد أن يستعلي على دِعل في أول أمره، وكان يدخل إلى المأمون فيُشده هجاء دِعل له وللخلفاء، ويحرضه عليه ويُشده جوابه فلم يجد عند المأمون ما أراده فيه، وكان يقول: الحق في يدك والباطل في يد غيرك، والقول لك ممكن، فقل ما تكذبه به، فأما القتل فإني لست أستعمله إلا فيمن عظم ذنبه أفأستعمله في شاعر؟ فاعترض بينهما ابن أبي الشيص، فقال يهجو أبا سعد:

أنا بشرت أبا سعد	د فأعطاني البشارة
بأبٍ صيد له بالأمر	س في دار الإمامارة
فهو يوماً من تميم	وهو يوماً من فزاره
كل يوم لأبي سعد	د على الأنساب غارة
خزمت مخزوم فاه	فادعاه بالإنشابة

[مجزوء الرمل]

قال: وقال فيه ابن أبي الشيص أيضاً:

أبا سعد! بحق الخم	س والمفروض من صومك
أقلت الحق في النسب	ة أم تحلم في نومك؟!
أبن لي أيها المغرو	ر ممن أنت في يومك؟!
فولّى قائلاً: لو شئت	ت قد أقصرت من لومك
ودعني أك من شئت	إذا لم أك من قومك

[الهج]

وقال فيه دعبل :

إنَّ أبَا سَعْدٍ فَتَى شَاعِرٌ يُعْرِفُ بِالْكُنْيَةِ لَا الْوَالِدِ
يَنْشُدُ فِي حَيِّ مَعْدٍ أَبَا ضَلَّ عَنِ الْمَنْشُودِ وَالنَّاشِدِ
فَرَحْمَةُ اللَّهِ عَلَى مُسْلِمٍ أَرَشَدَ مَفْقُوداً إِلَى فَاقِدِ
[السريع]

يحرّض الصبيان عليه :

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدثنا ابن مَهْرُويه، قال : حدثني أحمد بن عثمان الطبريّ، قال :

سمعت دعبل بن عليّ يقول : لما هاجيت أبا سعد، أخذت معي جوزاً، ودعوت الصبيان فأعطيتهم منه، وقلت لهم صيحوا به قائلين :
يَا أَبَا سَعْدِ قُوصِرَهُ زَانِي الْأَخْتِ وَالْمَرَّةِ
[مجزوء الخفيف]

فصاحوا به فغلبته .

المأمون يأبى قتل دعبل :

أخبرني الحسن بن عليّ، قال : حدثني ابن مَهْرُويه، قال : حدثني أحمد بن مروان، قال :

حدثني أبو سعد المخزوميّ، واسمه عيسى بن خالد بن الوليد، قال : أنشدت المأمون قصيدتي الدالية التي رددت فيها على دعبل قوله :
وَيَسُومُنِي الْمَأْمُونُ خُطَّةً عَاجِزَ أَوْ مَا رَأَى بِالْأَمْسِ رَأْسَ مُحَمَّدٍ ؟ !
[الكامل]

وأول قصيدتي :

أَخَذَ الْمَشِيبَ مِنَ الشَّبَابِ الْأَغْيَدِ وَالنَّائِبَاتُ^(١) مِنَ الْأَنَامِ بِمَرَصِدِ^(٢)
[الكامل]

ثم قلت له : يا أمير المؤمنين، ائذن لي في أن أجيئك برأسه؟ فقال : لا، هذا رجل فخر علينا فافخر عليه كما فخر علينا، فأما قتله بلا حجة فلا .

(١) النائبات، الواحدة نائبة: المصائب والويلات .

(٢) المرصد: المراقب ليوقع بالمرء .

يرى سلعته فيتذكر هجاء أبي سعد :

أخبرني عمي والحسن بن عليّ، قالاً: حدثنا أحمد بن أبي طاهر، قال: حدثني أبو السريّ عمرو الشيبانيّ، قال:

نظر دِعبِل يوماً في المرأة فجعل يضحك، وكانت في عنفقه^(١) سلعة^(٢)، فقلت له: من أي شيء تضحك؟ قال: نظرت إلى وجهي في المرأة ورأيت هذه السلعة التي في عنفقتي، فذكرت قول الفاجر أبي سعد:

وَسَلْعَةٌ سُوءٌ بِهِ سَلْعَةٌ ظَلَمْتُ أَبَاهُ فَلَمْ يَنْتَصِرْ

[المقارب]

هجاؤه لأبي سعد يلعب به الصبيان والإماء :

أخبرني محمد بن عمران الصيرفيّ قال: حدثنا الحسن بن عليل العنزيّ قال: حدثني عبد الله بن الحسن بن أحمد مولى عمر بن عبد العزيز، قال: حدثني محمد بن عليّ الطالبيّ، قال:

لقيت دِعبِل بن عليّ، فحدثني أن أبا عمرو الشيبانيّ سأله: ما هو دِعبِل؟ فقلت له: لا أدري، فقال: إنها الناقة المسنة، قال محمد بن عليّ الطالبيّ: ثم تحدثنا ساعة فقلت لدِعبِل: ألا ترى إلى أبي سعد يا أبا عليّ وانهماك في هجائك؟ فقال دِعبِل: لكنني لم أقل فيه إلا أبياتاً سخيفة يلعب بها الصبيان والإماء، وأنشدني قوله فيه:

يَا أَبَا سَعْدٍ قَوْصَرَهُ زَانِي الْأُخْتِ وَالْمَرَّةِ
لَوْ تَرَاهُ مُجَبِّياً^(٣) خَلَّتْهُ عَقْدَ قَنْطَرَةٍ
أَوْ تَرَى الْأَيْرَ فِي اسْتِهِ قُلْتُ: سَاقٌ بِمَقْطَرَةٍ

[مجزوء الخفيف]

قصيدة أبي سعد في هجاء دِعبِل :

قال محمد: فقلت لدِعبِل: دع عنك ذا، فقد والله أوجعك الرجل، فإن أجبت به بجواب مثله انتصفت، وإلا فإن هذا اللغو الذي فخرت به يسقط وتفضح آخر الدهر، قال: ثم أنشدته قول أبي سعد فيه:

(١) العنفقة: الشعيرات بين الشفة السفلى والذقن.

(٢) السلعة: الغدة والخراج.

(٣) المجبي: هو من يضع يديه على ركبتيه كأنه يُصلي.

ولا المنازل من خيف ولا سند
يا ليت ما عاد منها اليوم لم يعد
كرّ الجديدان^(٢) في أيامه الجدد
ولو أطاع مَشيبَ الرأس لم يجد
لم يبق منها سوى الآري^(٤) والوتد
إلا الخواضب من حيطانها الرُّبد
لو باد لؤم بني قحطان لم يبد
طارت بهنّ شياطيني إلى بلدي
فاحذر شآبيبها^(٦) إن كنت من أحد
في ظلمة القبر بين الهام^(٧) والصرد^(٨)
فابعُد وجهك أن تنجو على البعد
وتنتمي في أناس حاكّة البرد^(٩)
سقيته سَمّ حياتي فلم يعد
ومن يزيد إذا ما نحن لم نزد؟!
لكان حظك منه حظّ متئد
من المكارم قلنا: طولُ مُعتمد
بلا ولي ولا مولى ولا عضد^(١١)
بياض بطنك من لؤم ومن نكد
واقعد فإنك نومان من القعد
قضيّة من قضايا الواحد الصمد
[البسيط]

لم يبق لي لذة من طربة بدد^(١)
أبعد خمسين عادت جاهليته
وما تريد عيون العين من رجل
أبدى سرائره وجدأ^(٣) بغانية
واستمطرت عبرات العين منزلة
رما بكاؤك داراً لا أنيس بها
لدعبل وطر^(٥) في كل فاحشة
ولي قواف إذا أنزلتها بلداً
لم ينج من خيرها أو شرّها أحد
إن الطرمّاح نالته صواعقها
وأنت أولى بها إذ كنت وارثه
تهجو نزاراً وترعى في أرومتها
إني إذا رجل دبّبت عقاربّه
زدني أزدك هواناً أنت موضعه
لو كنت متئداً فيما تلفقه^(١٠)
أو كنت معتمداً منه على ثقة
لقد تقلدت أمراً لست نائله
وقد رميت بياض الشمس تحسبه
لا توعدني بقوم أنت ناصرهم
لله معتصم بالله طاعته

(١) الدد: اللهو واللعب.

(٣) الوجد: الحب والعشق.

(٥) الوطر: الحاجة.

(٧) الهام، الواحدة هامة: الرؤوس.

(٩) حاكّة البرد: هم صانعو الألبسة اليمانية.

(١١) العضد: المؤيد والمساعد.

(٢) الجديدان: الليل والنهار.

(٤) الآري: هو جبل تُشدّ به الدابة في محبسها.

(٦) الشآبيب، الواحد شؤبوب: الدفعة من المطر.

(٨) الصرد، بضم الصاد: طائر يصطاد صغار الطيور.

(١٠) تلفقه: تصوغه من أكاذيب.

قال: فلما أنشدتها دِعْبَلًا، قال: أنا أشتمه وهو يشتمني، فما إدخال المعتصم بيننا؟ وشق ذلك عليه وخافه، ثم قال نقيض هذه القصيدة:

منازل الحي من غمدان فالنَّضدِ

وهي طويلة مشهورة في شعره. هكذا قال العنزي في الخبر، ولم يأت بها.

دعي علي دعي:

حدثنا محمد قال: حدثنا العنزي، قال: حدثني عبد الله بن الحسن، عن محمد بن علي الطالبي، قال:

عبر دِعْبِل الجسر ببغداد، وأبو سعد واقف على دابته عند الجسر، وعليه ثوب صوف مصبوغ مشبه بالخز، فضرب دِعْبِل بيده على فخذه وقال: دَعِي علي دَعِي.

عبد الله بن طاهر يخاف من دِعْبِل:

أخبرني محمد بن جعفر الصيدلاني صهر المبرد، قال:

حدثني محمد بن موسى بن جماعة اليزيدي قال: حدثني أحمد بن عبد الله بن موسى الضبي راوية العتّابي - وكان نديماً لعبد الله بن طاهر - أن عبد الله بن طاهر بينما هو ذات ليلة يذاكرنا بالأدب وأهله وشعراء الجاهلية والإسلام إذ بلغ إلى ذكر المحدثين، حتى انتهى إلى ذكر دِعْبِل فقال لي: ويحك يا ضبي، إني أريد أن أحدثك بشيء على أن تستره طول حياتي، فقلت له: أصلحك الله، أنا عندك في موضع ظنة^(١)؟ قال: لا، ولكن أطيب لنفسي أن توثق لي بالإيمان لأركن إليها ويسكن قلبي عندها، فأحدثك حينئذ، قال: قلت: إن كنت عند الأمير في هذه الحال فلا حاجة به إلى إفشاء سره إلي، واستعفيته مراراً، فلم يُعفني، فاستحييت من مراجعته وقلت: فلير الأمير رأيي، فقال لي: يا ضبي قل: واللّه، قلت: واللّه فأمرها علي غموساً مؤكدة بالبيعة والطلاق وكل ما يحلف به مسلم، ثم قال: أشعرت أن دِعْبَلًا مدخول النسب؟ وأمست، فقلت: أعز الله الأمير، أفي هذا أخذت علي العهود والمواثيق ومغلظ الإيمان؟ قال: إي والله، فقلت: ولم؟ قال: لأنني رجل لي في نفسي حاجة، ودِعْبِل رجل قد حمل نفسه على المهالك، وحمل جذعه على عنقه، فليس يجد من يصلبه عليه، وأخاف إن بلغه قولي أن يقول في ما يبقى علي عاره على الدهر، وقصاري أن ظفرت به وأسلمته اليمن - وما أراها تفعل، لأنه اليوم لسانها وشاعرها والذاب عن

(١) موضع ظنة: موضع ريبة وشك.

أعراضها والمحامي عنها والمرامي دونها - فأضر به مائة سوط، وأثقله حديداً، وأصيره في مطبق باب الشام. وليس في ذلك عوض مما سار في من الهجاء، وفي عقبي من بعدي، فقلت: أترأه يفعل ويقدم عليك؟ فقال لي: يا عاجز، أهونُ عليه مما لم يكن، أترأه أقدم على الرشيد والأمين والمأمون وعلى أبي ولا يُقدم عليّ؟ فقلت: فإذا كان الأمر هكذا فقد وفق الأمير فيما أخذه عليّ.

الرشيد أول من حرّضه على قول الشعر:

قال: وكان دعبل صديقاً لي، فقلت: هذا شيء قد عرفته فمن أين قال الأمير أنه مدخول النسب، وهو في البيت الرفيع من خُزاعة لا يتقدمهم غير بني أهبان مكلّم الذئب؟ فقال: اسمع، إنه كان أيام ترعرع خاملاً لا يؤبه له، وكان ينام هو ومسلم بن الوليد في إزار واحد لا يملكان غيره، ومسلم أستاذة، وهو غلام أمرد يخدمه، ودعبل حينئذ لا يقول شعراً يفكر فيه حتى قال هذا الشعر:

لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى
[الكامل]

وغنّي فيه بعض المغنين، وشاع فغنّي به بين يدي الرشيد إما ابن جامع أو ابن المكي، فطرب الرشيد وسأل عن قائل الشعر، ف قيل له: غلام نشأ من خُزاعة، يقال له: دعبل بن عليّ، فأمر بإحضار عشرة آلاف درهم وخلعة من ثيابه، فأحضر ذلك، فدفعه مع مركب من مراكبه إلى خادم من خاصته وقال له: اذهب بهذا إلى خُزاعة، فاسأل عن دعبل بن عليّ، فإذا دُللت عليه فأعطه هذا، وقل له: ليحضر إن شاء، وإن لم يحب ذلك فدعه. وأمر للمغني بجائزة، فصار الغلام إلى دعبل، وأعطاه الجائزة، وأشار عليه بالمصير إليه فصار معه إليه فلما دخل عليه وسلم أمره بالجلوس، فجلس، واستنشد الشعر فأنشدته إياه، فاستحسنه، وأمره بملازمته، وأجرى عليه رزقاً سنياً^(١)، فكان أول من حرّضه على قول الشعر.

دعبل يهجو الرشيد:

فوالله ما بلغه أن الرشيد مات حتى كافأه على ما فعله، من العطاء السنّي، والغنى بعد الفقر، والرفعة بعد الخمول بأقبح مكافأة، وقال فيه من قصيدة مدح بها أهل البيت عليهم السلام، وهجا الرشيد:

وليس حيّ من الأحياء نعلمه من ذي يمان ومن بكر ومن مضر

(١) رزقاً سنياً: عظيم القدر والقيمة.

إلا وهم شركاء في دمائهم
قتل وأسروا وتحريق ومنهبة
أرى أُميَّة معذورين إن قتلوا
إربَع^(٤) بطوس على القبر الزكي إذا
قبران في طوس خير الناس كلهم
ما ينفع الرّجس من قرب الزكي ولا
هيهات^(٦) كل أمرىء رهن بما كسبت

كما تشارك أيسار^(١) على جُزُر^(٢)
فعل الغزاة بأرض الروم والخزر^(٣)
ولا أرى لبني العباس من عُذُر
ما كنت ترُبّع من دين على وطر^(٥)
وقبر شرهم هذا من العبر
على الزكي بقرب الرّجس من ضرر
له يدها فخذ ما شئت أو فذر^(٧)

[البسيط]

يعني قبر الرشيد وقبر الرضا عليه السلام، فهذه واحدة.

يهجو المأمون بعد صفحه عنه وإحسانه إليه :

وأما الثانية فإن المأمون لم يزل يطلبه، وهو طائر على وجهه، حتى دس إليه قوله :

علم وتحكيم وشيب مفارق
وإمارة في دولة ميمونة
أنى يكون وليس ذاك بكائن
إن كان إبراهيم مضطعاً بها

طَمَسَن ريعان الشباب الرائق^(٨)
كانت على اللذات أشغب عائق
يرث الخلافة فاسق عن فاسق
فلتصلحن من بعده لمخارق

[الكامل]

فلما قرأها المأمون ضحك وقال : قد صفحت عن كل ما هجانا به، إذ قرن إبراهيم بمخارق في الخلافة وولاه عهدَه، وكتب إلى أبي أن يكتبه بالأمان، ويحمل إليه مالاً، وإن شاء أن يُقيم عنده أو يصير إلى حيث شاء فليفعَل، فكتب إلى أبي

(١) الأيسار : المقامرون .

(٢) الجُزُر، بالضم : النياق التي تذبح بالمرأنة .

(٣) الخزر : من الشعوب التي مدّت سيطرتها على منطقة بحر قزوين، وهم أتراك، كانوا يستجلبون إلى دار الخلافة في بغداد ويُبَاعون في أسواقها .

(٤) إربع : حطّ رحالك .

(٥) الوطر : الحاجة .

(٦) هيهات : اسم فعل ماضٍ بمعنى بُعد .

(٧) ذر : أترك .

(٨) الشباب الرائق : الشباب الغضّ المنعم .

بذلك، وكان واثقاً به، فصار إليه، فحمله وخلع عليه وأجازه، وأعطاه المال، وأشار عليه بقصد المأمون، ففعل، فلما دخل وسلّم عليه تبسّم في وجهه، ثم قال أنشدني:

مدارسُ آياتٍ خلت من تلاوةٍ ومنزلٌ وحيٍّ مقفّرُ العرصاتِ^(١)
[الطويل]

فجزع، فقال له: لك الأمان فلا تخف، وقد رويتها ولكنني أحبّ سماعها من فيك، فأنشده إياها إلى آخرها، والمأمون يبكي حتى أخضل لحيتَه بدمعه، فوالله ما شعرنا به إلا وقد شاعت له أبيات يهجو بها المأمون بعد إحسانه إليه وأنسه به، حتى كان أول داخل وآخر خارج من عنده.

أخلف ظنه:

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثني أبو بكر العامريّ، قال: استدعى بعض بني هاشم دعبلاً، وهو يتولّى للمعتصم ناحية من نواحي الشام، فقصدّه إليها، فلم يقع منه بحسن ظن وجفاه، فكتب إليه دعبل:

دلّيتني بغرورٍ وعدك في
حتى إذا شمت العدو وقد
أنشأت تحلف أن ودك لي
وحسبتني فقعا^(٤) بقرقرة^(٥)
ونصبتني علماً على غرض
وظننت أرض الله ضيقة
من غير ما جرم سوى ثقة
ومودة تحنو عليك بها
فمتى سألتك حاجةً أبداً
وقف الإخاء على شفا جرف
متلاطم من حومة الغرق
شهر انتقاصك شهرة البلق^(٢)
صافٍ وحبلك غير منحدق^(٣)
فوطئتني وطأ على حنق
ترمينني الأعداء بالحدق
عني وأرض الله لم تضق
مني بوعدك حين قلت: ثق
نفسي بلامن ولا ملق
فاشدد بها قفلاً على غلق
هار^(٦) فبعه بيعة الخلق^(٧)

(١) مقفّر العرصات، الواحدة عرصة: ساحة الدار، ومقفّر العرصات: أي ساحات الديار الخالية من ساكنيها.

(٢) البلق: البيت من الشعر، البقعة لا تنبت البتة.

(٣) المنحدق: المنقطع.

(٤) الفقع: البيضاء الرخوة من الكمأة.

(٥) القرقرة: الأرض المنبسطة الممتدة.

(٦) جرف هار: ضعيف ساقط.

(٧) الخلق: البالي، الرث.

وَأَعْدَلِي قِفْلاً وَجَامِعَةً^(١) فاشدُ يديَّ بها إلى عُنْقي
أَعْفِيكَ مِمَّا لَا تُحِبُّ وَمَا سُدَّتْ عَلَيَّ مَذَاهِبُ الْأَفْئِقِ
مَا أَطْوَلَ الدُّنْيَا وَأَعْرَضَهَا وَأَدَلَّنِي بِمَسَالِكِ الطُّرُقِ
[الكامل]

أَجْهَلُ مِنْهُ مِنْ وَلَّاهُ :

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مَهْرُويه، قال: حدثني أبي قال: قدم دِعْبِلُ الدَّيْنُورَ، فجرى بينه وبين رجل من ولد الزبير بن العوام كلاماً وعربدةً على النبيذ، فاستعدى عليه عمرو بن حميد القاضي، وقال: هذا شتم صفيّة بنت عبد المطلب، واجتمع عليه الغوغاءُ، فهرب دِعْبِلُ، وبعث القاضي إلى دار دِعْبِلِ فوكّل بها، وختم بابَه، فوجّه إليه برقعة فيها: ما رأيت قطُّ أجْهَلَ منك إلا من ولّاك فإنه أجْهَلُ، تقضي في العربة على النبيذ، وتحكم على خصم غائب، ويقبل عقلك أني رافضي أشتم صفيّة بنت عبد المطلب سخنت عينك؟ أفمن دين الرافضة شتم صفيّة؟

قال أبي: فسألني الزبيرُ القاضي عن هذا الحديث، فحدثته، فقال: صدق والله دِعْبِلُ في قوله، لو كنت مكانه لوصلته وبررته.

العيش في منادمة الإخوان :

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا ابن مَهْرُويه، قال: حدثني إبراهيم بن سهل القاريء، قال: حدثني دِعْبِلُ قال: كتبت إلى أبي نهشل بن حُميد، وقد كان نسك وترك شرب النبيذ، ولزم دار الحرم:

إنما العيش في منادمة الإخـ وان لا في الجلوس عند الكعاب^(٢)
وبصرف كأنها ألسن البرق إذا استعرضت رقيق السحاب
إن تكونوا تركتم لذة العيـ ش حذار العقاب يوم العقاب
فدعوني وما ألدّ وأهوى واقذفوا بي في نحر يوم الحساب
[الخفيف]

(١) الجامعة: القيد، الغلّ.

(٢) الكعاب من الفتيات: هي التي نهّد ثديها وتكعبا.

قال: فكان بعد ذلك يدعوني وسائر ندمائه فنشرب بين يديه ويسمع الغناء، ويقتصر على الأنس والحديث.

دعبل ومالك بن طوق:

أخبرني الحسن قال: حدثنا ابن مهرويه، قال:

حدثنا إبراهيم بن المدبر، قال: كنت أنا وإبراهيم بن العباس رفيقين نتكسب بالشعر، قال: وأنشدني قصيدة دعبل في المطلب بن عبد الله:

أَمَطَّلَبُ أَنْتَ مُسْتَعَذَّبُ سَمَامِ الْأَفَاعِي وَمُسْتَقْبَلُ
[المقارب]

قال: وقال لي دعبل: نصفها لي، ونصفها لإبراهيم بن العباس، كنت أقول مضراً فُجِيزه، ويقول هو مضراً فُجِيزه.

قال ابن مهرويه: فحدثني إبراهيم بن المدبر: أن دعبلاً قصد مالك بن طوق ومدحه، فلم يرض ثوابه، فخرج عنه، وقال فيه:

إِنْ ابْنُ طُوقٍ وَبَنِي تَغْلِبٍ لَوْ قُتِلُوا أَوْ جُرِحُوا قُضِرَ^(١)
لَمْ يَأْخُذُوا مِنْ دِيَّةِ دِرْهَمٍ يَوْمًا وَلَا مِنْ أَرْشِهِمْ^(٢) بَعْرَهُ
مَطْلُولَةٌ مِثْلُ دَمِ الْعُذْرَةِ دِمَاؤُهُمْ لَيْسَ لَهَا طَالِبُ
وَجُوهُهُمْ بَيْضٌ وَأَحْسَابُهُمْ سَوْدٌ وَفِي آذَانِهِمْ صُفْرَهُ
[السريع]

عبد الله بن طاهر يُعْطِيهِ أَلْفَ دِرْهَمٍ:

حدثنا محمد بن عمران الصيرفي، قال: حدثني العنزي، قال: حدثنا عبد الله بن الحسن قال: حدثني عمر بن عبد الله أبو حفص النحوي، مؤدب آل طاهر، قال:

دخل دعبل بن علي على عبد الله بن طاهر ببغداد فأنشده:

جِئْتُ بِلا حُرْمَةٍ وَلَا سَبَبٍ إِلَيْكَ إِلَّا بِحُرْمَةِ الْأَدَبِ
فَاقْضِ دِمَامِي^(٣) فَإِنِّي رَجُلٌ غَيْرُ مُلَحٍّ عَلَيْكَ فِي الطَّلَبِ
[المنسرح]

(١) القصرة من البشر: هم ذوات الأنساب المنحطة.

(٢) الأرش: الدية. (٣) الذمام: الرعاية والحماية.

قال: فانتعل^(١) عبد الله ودخل إلى الحرم ووجه إليه بَصْرَةٌ فيها ألف درهم، وكتب إليه:

أَعَجَلْتَنَا فَأَتَاكَ عَاجِلُ بَرْنَا وَلَوْ أَنْتَظَرْتَ كَثِيرَهُ لَمْ يَفْقِلِ
فُخْذِ الْقَلِيلِ وَكُنْ كَأَنَّكَ لَمْ تَسْل وَنَكُونُ نَحْنُ كَأَنَّنا لَمْ نَفْعَلِ
[الكامل]

هجاء مالك بن طوق:

أخبرني أحمد بن عاصم حلواني، قال: حدثنا أبو بكر المدائني، قال: حدثنا أبو طالب الجعفري ومحمد بن أمية الشاعر جميعاً، قالوا:

هجا دِعبِل بن علي، مالك بن طوق، فقال:

سَأَلْتُ عَنْكُمْ يَا بَنِي مَالِكٍ فِي نَازِحِ^(٢) الْأَرْضِ وَفِي الدَانِيَةِ^(٣)
طَرًّا^(٤) فَلَمْ تُعْرِفْ لَكُمْ نَسَبَةً حَتَّى إِذَا قُلْتُ: بَنُو الزَانِيَةِ
قَالُوا: قَدَحَ دَارًا عَلَى يَمِينَةٍ وَتِلْكَ هَا دَارُهُمْ ثَانِيَةِ
[السريع]

وقال أيضاً فيه:

لَا حَدَّ أَخْشَاهُ عَلَى مِنْ قَالَ: أُمُّكَ زَانِيَةٍ
يَا زَانِيَ ابْنِ الزَانِيِ ابِ نِ الزَانِيِ ابْنِ الزَانِيَةِ
أَنْتَ الْمُرْدَّدُ فِي الزَّنَا عِ عَلَى السَّنِينِ الْخَالِيَةِ
وَمُرْدَّدُ فِيهِ عَلَى كَرَّ السَّنِينِ الْبَاقِيَةِ
[مجزوء الكامل]

مالك بن طوق يُعَذِّبُهُ وَيُبْعِثُ إِلَيْهِ مِنْ اغْتَالِهِ:

وبلغت الأبيات مالكا، فطلبه فهرب، فأَتَى البصرة وعليها إسحاق بن العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب وقد كان بلغه هجاء دِعبِل وعبد الله بن أبي عُيَيْنَةَ نِزاراً، فأما ابن أبي عُيَيْنَةَ فإنه هرب منه فلم يظهر بالبصرة طول أيامه، وأما دِعبِل فإنه حين دخل البصرة بعث فقبض عليه، ودعا بالنَّطْعِ^(٥) والسيف

(١) انتعل: لبس نعله في رجليه.

(٢) نازح الأرض: البعيدة.

(٣) الدانية: القرية.

(٤) طرّاً: جميعاً.

(٥) النطع: الجلد يُوضع تحت رأس من تقطع رأسه.

ليضرب عنقه، فجحد^(١) القصيدة وحلف عليها بالطلاق ثلاثاً وبكل يمين تبرئ من الدين أنه لم يقلها، وأن عدواً له قالها، إما أبو سعد المخزومي أو غيره، ونسبها إليه ليغري بدمه، وجعل يتضرع إليه، ويقبل الأرض ويبكي بين يديه، فرق له، وقال: أما إذ أعفيتك من القتل فلا بد من أن أشهرك، ثم دعا له بالعصا فضرب بها حتى سلح^(٢)، وأمر به فألقي على قفاه وفُتح فمه، فردّ سلحه فيه، والمقارع تأخذ رجله، وهو يحلف ألا يكف عنه حتى يستوفيه ويبلغه أو يقتله، فما رُفعت عنه حتى بلع سلحه كله، ثم خلاه، فهرب إلى الأهواز، وبعث مالك بن طوق رجلاً حصيماً^(٣) مقداماً أعطاه سماً وأمره أن يغتاله كيف شاء، وأعطاه على ذلك عشرة آلاف درهم، فلم يزل يطلبه حتى وجده في قرية من نواحي السوس، فاغتاله في وقت من الأوقات بعد صلاة العتمة، فضرب ظهر قدمه بعكاز لها زجّ مسموم، فمات من غدٍ، ودُفن بتلك القرية، وقيل: بل حُمِل إلى السوس فدفن فيها، وأمر إسحاق بن العباس شاعراً يُقال له الحسن بن زيد، ويكنى أبا الذلفاء، فنقض قصيدتي دعبل وابن أبي عيينة بقصيدة أولها:

أما تنفك متبولاً حزيناً تحبُّ البيضَ تعصي العاذليين^(٤)؟!

[الوافر]

يهجو بها قبائل اليمن، ويذكر مثالبهم، وأمره بتفسير ما نظمه، وذكر الأيام والأحوال، ففعل ذلك، وسماها الدامغة، وهي إلى اليوم موجودة.

صوت

أتهجر من تحبُّ بغير جرم أسأت إذا وأنت له ظلومٌ؟!
تورّقني الهمومُ وأنت خلوّ^(٥) لعمرك ما تورّقك الهمومُ

[الوافر]

الشعر لجُعيفران الموسوس، أنشدنيه عمّي عن عبد الله بن عثمان الكاتب عن أبيه عن جدّه وأنشدنيه جحظة عن خالد الكاتب له، وأنشدنيه ابن الوشاء عن بعض شيوخه عن سلمة النحويّ له، ووجدته في بعض الكتب منسوباً إلى أمّ الضحّاك المحاربة، والقول الأول أصحّ، والغناء لابن أبي قباحة ثاني ثقيل بالوسطى في مجرى

(٢) سلح: تغوّط.

(١) جحد: أنكر.

(٤) العاذلين: اللاتمين.

(٣) حصيماً: رزيناً، عاقلاً.

(٥) الخلو من الهموم: من لا يهتم لأمر الدنيا وبلاياها.

البنصر وفي أبيات آخر من شعر جُعيفران غناء، فإن لم يصحَّ هذا له فالغناء في أشعاره الآخر صحيح.

منها:

ما يفعُلُ المرءُ فهو أهْلُهُ كلُّ امرئٍ يُشَبِّهه فِعْلُهُ
ولا ترى أعجزَ من عاجز سَكَّتنا عن ذمِّه بَذْلُهُ
[السريع]

الشعر لجُعيفران، والغناء لمتيم.

ومما وجدته من الشعر من المنسوب إليه في جامعهِ وفيهِ غناء:

قلبي بصاحبة الشُّنوف^(١) معلقٌ وتقرُّ صاحبة الشُّنوفِ وألْحَقُ
[الكامل]

(١) الشُّنوف، الواحد شنف: الأفراط تُعلَّق في الأذان.

أخبار جُعيفران ونسبه

اسمه ونسبه :

هو جُعيفرانُ بن عليّ بن أصفرَ بن السريّ بن عبد الرحمن الأبنائيّ من ساكني سُرَّ مَنْ رَأَى، ومسكنه ومولده ومنشؤه ببغداد، وكان أبوه من أبناء الجند الخُراسانية، وكان يتشيع ويكثر لقاء أبي الحسن عليّ بن موسى بن جعفر عليه وعلى آبائهم السلام.

أخبرني بذلك أبو الحسن علي بن العباس بن أبي طلحة الكاتب، عن أبيه وأهله.

وكان جُعيفران أديباً شاعراً مطبوعاً، وغلبت عليه المرّة السوداء^(١)، فاختلط وبطل في أكثر أوقاته ومعظم أحواله، ثم كان إذا أفاق ثاب إليه عقله وطبعه، فقال الشعر الجيد، وكان أهله يزعمون أنه من العجم من ولد أذين.

أبوه يحرمه من الميراث :

فأخبرني الحسن بن عليّ الخفاف، قال: حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني عليّ بن محمد بن سليمان النوفليّ، قال: حدثني صالح بن عطية، قال: كان لجُعيفران الموسوس قبل أن يختلط عقله أب يُقال له عليّ بن أصفر، وكان دِهْقَان^(٢) الكرخ ببغداد، وكان يتشيع، فظهر على ابنه جُعيفران أنه خالفه إلى جارية له سُرِّيَّة، فطرده عن داره، وحجّ فشكا ذلك إلى موسى بن جعفر، فقال له موسى: إن كنت صادقاً عليه فليس يموت حتى يفقد عقله، وإن كنت قد تحققت ذلك من فعله فلا تساكنه في منزلك، ولا تطعمه شيئاً من مالك في حياتك، وأخرجه عن ميراثك بعد وفاتك، فقدم فطرده وأخرجه من منزله، وسأل الفقهاء عن حيلة يشهد بها في ماله حتى يُخرجه بها عن ميراثه، فدلّوه على السبيل إلى ذلك، فأشهد به وأوصى إلى رجل.

(١) المرّة السوداء: حالة من حالات الجنون.

(٢) الدهقان: رأس الإقليم. فارسي معرّب.

فلما مات حاز الرجل ميراثه، ومنع منه جُعيفران، فاستعدى عليه أبا يوسفَ القاضي، فأحضر الوصيَّ، وسأل جُعيفران البينة على نسبه وتركه أبيه، فأقام على ذلك بيّنة عدّة، وأحضر الوصيُّ بيّنة عدولاً على الوصية، يشهدون على أبيه بما كان احتال به عليه، فلم يرَ أبو يوسفَ ذلك شيئاً، وعزم على أن يُورثه، فدفعه الوصيُّ عن ذلك مراتٍ بعلل، ثم عزم أبو يوسفَ على أن يسجّل لجُعيفران بالمال، فقال له الوصيُّ: أيُّها القاضي: أنا أدفع هذا بحجة واحدة بقيت عندي، فأبى أبو يوسفَ أن يقبل منه، وجعل جُعيفرانُ يخرج عليه ويقول له: قد ثبتَ عندك أمري، فأبى شيءٌ تُدافعني؟ وجعل الوصيُّ يسأله أن يسمع منه منفرداً، فأبى ويقول: لا أسمع منك إلا بحضرة خصمك، فقال له: أجّلني إلى غد، فأجّله، فجاء إلى منزله وكتب رقعة فيها تحقيق الخبر وما أفتى به موسى بن جعفر، ودفعها إلى صديق لأبي يوسفَ، فدفعها إليه، فلما قرأها دعا الوصيَّ واستحلفه أنه قد صدق في ذلك، فحلف باليمين الغموس^(١)، فقال له: اغدُ عليّ غداً معَ خصمك. فحضر وحضر جُعيفرانُ معه، فحكم عليه أبو يوسفَ للوصيِّ، فلما أمضى الحكم عليه وسوس جُعيفرانُ واختلط منذ يومئذٍ.

جُعيفرانُ المجنون:

وأخبرني بجمل أخباره المذكورة في هذا الكتاب عليُّ بن العباس بن أبي طلحة الكاتب، عن شيوخ له أخذها عنهم، وإجازات وجدتها في الكتب، ولم أر أخباره عند أحد أكثر ممّا وجدتها عنده، إلا ما أذكره عن غيره فأنسبه إليه.

قال علي بن العباس: ذكر عبد الله بن عثمان الكاتب:

أن أباه عثمان بن محمد حدّثه، قال: كنت يوماً برُصافة مدينة السلام جالساً إذ جاءني جُعيفرانُ، وهو مُغضب، فوقف عليّ، وقال:

إستوجبَ العالمُ مني القَتْلَا

فقلت: يا أبا الفضل؟ فنظر إليّ نظرة منكّرة خَفْتُ منها، وقال:

لما شَعرْتُ فرأوني فَحَلَا

ثم سكت هنيئاً، وقال:

قالوا عليّ كذباً وبُطْلا أني مجنونٌ فقدتُ العَقْلا

(١) اليمين الغموس: الكذبة التي يتعمدها صاحبها.

قالوا المحال كذباً وجَهْلاً أَقْبَحُ بهذا الفعلِ منهم فعلاً
[الرجز]

ثم ذهب لينصرف، فخفت أن يؤذيه الصبيان، فقلت: اصبرْ فديتُك حتى أقوم
معك، فإنك مُغْضَبٌ، وأكره أن تخرج على هذه الحال، فرجع إليّ وقال: سبحان
الله، أتراني أنسبهم إلى الكذب والجهل، وأستقبُح فعلهم، وتتخوف مني مكافأتهم؟
ثم إنه ولى، وهو يقول:

لستُ براضٍ من جهولٍ جهْلاً ولا مجازيه بفعلٍ فعْلاً
لكن أرى الصفح^(١) لنفسي فضلاً من يُرد الخيرَ يجده سهْلاً
[الرجز]

ثم مضى.

وقال علي بن العباس، وقال عبد الله بن عثمان بن محمد:
قال أبي: كنت أشرف ليلةً من سطح لي على جُعيفران، وهو في دار وحده،
وقد اعتلّ وتحركت عليه السوداء، فهو يدور في الدار طول ليلته، ويقول:

طافَ به طيف من الوسواسِ نَفَّرَ عنه لذّة النُّعاسِ
فما يُرى بأنس بالأناسِ ولا يلدُ عشرة الجُلاسِ
فهو غريب بين هذى الناسِ

[الرجز]

حتى أصبح، وهو يرددها، ثم سقط كأنه بقلة ذابلة.
قال عليّ: وحدثني عليّ بن رستم النحويّ، قال: حدثني سلمة بن محارب
النحويّ، قال:

مررت ببغداد، فرأيت قوماً مجتمعين على رجل، فقلت: ما هذا؟ فقالوا:
جُعيفرانُ المجنون، فقلت له: قل بيتاً بنصف درهم، قال: هاته، فأعطيته، فقال:
لَجَّ ذا الهمُّ واعتلَجَ^(٢) كلُّ همٍّ إلى فرَجٍ

[مجزوء الخفيف]

ثم قال: زد إن شئت حتى أزيدك.

(١) الصفح: العفو والحلم.

(٢) اعتلج: اضطرع الهم في صدره.

المجنون العريان يدافع عن نفسه :

قال عليّ : وحدثني عبد الله بن عثمان عن أبيه ، قال :

غاب عنا جُعيفرانُ أياماً ، ثم جاءنا والصبيان يشدّون خلفه ، وهو عُريان ، وهم يصيحون به : يا جُعيفرانُ يا خرا في الدار ، فلما بلغ إليّ وقف ، وتفرقوا عنه ، فقال : يا أبا عبد الله :

رأيت الناس يدعوني	بمجنونٍ على حالي
وما بيّ اليومَ من جنٍّ	ولا وسواسٍ بلّبالٍ ^(١)
ولكنّ قولهم هذا	لإفلاسي وإقلالي
ولو كنت أخا وفرٍ	رخيئاً ناعم البال
وأوني حسن العقل	أحلّ المنزل العالي
وما ذاك على خُبرٍ	ولكن هيبة المال

[الهج]

قال : فأدخلته منزلي فأكل ، وسقيته أقداحاً ، ثم قلت له : تقدر على أن تغير تلك الأبيات على غير تلك القافية ؟ فقال : نعم ، ثم قال بديهةً غير مفكر ولا متوقف :

رأيت الناس يرمونـ	ي أحياناً بوسواسٍ
ومن يضبطُ يا صاح	مقال الناس في الناس
فدع ما قاله الناس	ونازع صفوة الكاس
فتى حراً صحيح	الودّ ذا برٍّ وإيناس
فإن الخلق مُغرّون	بأمثالي وأجناسي
ولو كنت أخا مالٍ	أتوني بين جلاسي
يُحيوني ويحبوني ^(٢)	على العينين والراس
ويدعوني عزيزاً غـ	ير أنّ الذلّ إفلاسي

[الهج]

ثم قام يبول ، فقال بعض من حضر : أي شيء معنيّ عشرتنا هذا المجنون العريان ؟ والله ما نأمنه ، وهو صاح ، فكيف إذا سكر ؟ وفطن جُعيفرانُ للمعنى ، فخرج إلينا ، وهو يقول :

(١) البلبال : إضطراب الفكر والهموم .

(٢) يحبوني : يعطوني ، يمنحوني .

وَنَدَامَى أَكْلُونِي إِذْ تَغَيَّبْتَ قَلِيلًا
زَعَمُوا أَنِّي مَجْنُونُ نَ أَرَى الْعُرَى جَمِيلًا
كَيْفَ لَا أَعْرِى وَمَا أَبُ صَرَفِي النَّاسَ مَثِيلًا
إِنْ يَكُنْ قَدْ سَاءَ كَمْ قَر بِي فَخُلُّوا لِي سَبِيلًا
وَأَتَمُّوا يَوْمَكُمْ سَرُّكَ مِ اللَّهْ طَوِيلًا

[مجزوء الرمل]

قال: فرققنا له، واعتذرنا إليه، وقلنا له: واللَّه ما نلتد إلا بقربك، وأتينا به بثوب فلبسه، وأتممنا يومنا ذلك معه.

ليت عينيه سواء:

أخبرني جحظه قال: حدثني ميمون بن هارون، قال:

تقدم جعفران إلى أبي يوسف الأعور القاضي بسر من رأى في حكومة، في شيء كان في يده من وقف له، فدفعه عنه وقضى عليه، فقال له: أراني الله أيها القاضي عينك سواء، فأمسك عنه، وأمر برده إلى داره، فلما رجع أطعمه، ووهب له دراهم، ثم دعا به فقال له: ماذا أردت بدعائك، أردت أن يرد الله علي من بصري ما ذهب؟ فقال له: واللَّه لئن كنت وهبت لي هذه الدراهم لأسخر منك إنك لأنت المجنون لا أنا، أخبرني، كم من أعور رأيته عمي؟ قال: كثيراً. قال: فهل رأيت أعور صح قط؟ قال: لا، قال: فكيف توهمت علي الغلط؟ فضحك وصرفه.

جعفران يمدح أبا دلف:

أخبرني محمد بن جعفر النحوي صهر المبرد، قال: حدثني أحمد بن القاسم

البرتي، قال:

حدثني علي بن يوسف، قال: كنت عند أبي دلف القاسم بن عيسى العجلي، فاستأذن عليه حاجبه لجعفران الموسوس، فقال له: أي شيء أصنع بموسوس؟ قد قضينا حقوق العقلاء وبقي علينا حقوق المجانين؟ فقلت له: جعلت فداء الأمير، موسوس أفضل من كثير من العقلاء، وإن له لساناً يتقى، وقولاً مأثوراً يبقى، فالله الله أن تحجبه، فليس عليك منه أذى ولا ثقل، فأذن له، فلما مثل بين يديه، قال:

يَا أَكْرَمَ الْعَالَمِ مَوْجُودَا وَيَا أَعَزَّ النَّاسِ مَفْقُودَا
لَمَّا سَأَلْتُ النَّاسَ عَنْ وَاحِدَا أَصْبَحَ فِي الْأُمَّةِ مَحْمُودَا

قالوا جميعاً: إنه قاسمٌ أشبهَ آباءَ له صيدا^(١)
لو عبدوا شيئاً سوى ربِّهم أصبحتَ في الأُمّةِ معبودا
لا زلتَ في نُعمى وفي غبطة مُكرّماً في الناسِ معدودا
[السريع]

قال: فأمر له بكسوة وبألف درهم، فلما جيء بالدرهم أخذ منها عشرة، وقال:
تأمر القهرمان^(٢) أن يعطيني الباقي مفرقاً كلما جئت، لئلا يضيع مني، فقال للقهرمان:
أعطه المال، وكلما جاءك فأعطه ما شاء حتى يفرق الموت بيننا، فبكى عند ذلك
جّعيفران، وتنفس الصعداء وقال:

يـمـمـوت هـذا الـذي أراه وكلُّ شيءٍ له نـفـادٌ
لو غـيرُ ذي العـرشِ دـامَ شيءٌ لـدامَ ذا الـمـفـضـلِ الجـوادُ
[مخلع البسيط]

ثم خرج، فقال أبو دُلف: أنت كنت أعلم به مني.

انقطاعه عن أبي دُلف ثم عودته إليه:

قال: ثم غبر عني مدة، ثم لقيني فقال لي: يا أبا الحسن، ما فعل أميرنا
وسيدنا؟ وكيف حاله؟ فقلت: بخير، وهو على غاية الشوق إليك، فقال: أنا والله يا
أخي أشوق، ولكنني أعرف أهل هذا العسكر وشرههم وإحافهم^(٣) والله ما أراهم
يتركونه من المسألة، ولا يتركهم ولا يتركه كرمه أن يخليهم من العطية، حتى يخرج
فقيراً، فقلت له: دع هذا عنك وزره، فإن كثرة السؤال لا تضر بماله فقال، وكيف؟
أهو أيسر من الخليفة؟ قلت: لا، قال: والله لو يبذل لهم الخليفة كما يبذل أبو دُلف،
وأطعمهم في ماله كما يُطعمهم لأفقره في يومين، ولكن أسمع ما قلته في وقتي هذا،
فقلت: هاتِه يا أبا الفضل، فأنشأ يقول:

أبا حَسَنٍ بَلَّغَنُ قاسمًا بأنِّي لَم أَجفُه عن قِلي^(٤)
ولا عن مَلالٍ لِإِتيانِه ولا عن صُدودٍ ولا عن غِنى
ولكن تَعَفَّفْتُ^(٥) عن مالِه وأصْفَيْتُه^(٦) مَدَحَتِي والثَّنا

(١) الصَّيد، بكسر الصاد، الواحد أصيد: السادة النبلاء الأفاضل.

(٢) القهرمان: هو الوكيل أو أمين الدخل والخرج.

(٣) إحافهم: إلحاحهم في الطلب.

(٤) القلي، بكسر القاف: الجفاء والإبعاد.

(٥) تعففت عن ماله: ترفعت.

(٦) أصفيتها: خصصته بها.

أَبُو دُلْفٍ سَيِّدٌ مَاجِدٌ سَنِيُّ الْعَطِيَّةِ ^(١)، رَحِبُ الْفِنَا ^(٢)
كَرِيمٌ إِذَا انْتَابَهُ الْمَعْتَفُو نَ ^(٣) عَمَّهُمْ بِجَزِيلِ الْحَبَا ^(٤)

[المتقارب]

قال: فأبلغتها أبا دُلف، وحدثته بالحديث الذي جرى، فقال لي: قد لقيته منذ أيام، فلما رأيته وقفت له وسلمت عليه، وتحققت ^(٥) به، فقال لي: سر أيها الأمير على بركة الله، ثم قال لي:

يَا مُعَدِّي الْجُودِ عَلَى الْأَمْوَالِ وَيَا كَرِيمَ النَّفْسِ فِي الْفَعَالِ
قَدْ صُنَّتَنِي عَنْ ذِلَّةِ السُّؤَالِ بِجُودِكَ الْمَوْفَى عَلَى الْأَمَالِ
صَانِكَ ذُو الْعِزَّةِ وَالْجَلَالِ مِنْ غَيْرِ ^(٦) الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِ
[الرجز]

قال: ولم يزل يختلف إلى أبي دُلف ويبرّه حتى افترقا.

خبيث اللسان هجاء:

سمعت عبد العزيز بن أحمد عم أبي رحمهما الله يحدثه فحفظت الخبر ولا أدري أذكر له إسناداً فلم أحفظه أو ذكره بغير إسناد، قال:

كان جُعيفران خبيث اللسان هجاء لا يسلم عليه أحد، فاطّلع يوماً في الحبّ فرأى وجهه قد تغير وعفا شعره ^(٧) فقال:

مَا جَعَفَرُ لَأَبِيهِ وَلَا لَهُ بِشَبِيهِ
أَضْحَى لِقَوْمٍ كَثِيرٍ فَكُلُّهُمْ يَدَّعِيهِ
هَذَا يَقُولُ بُنْيِي وَذَا يُخَاصِمُ فِيهِ
وَالْأُمُّ تَضْحَكُ مِنْهُمْ لِعِلْمِهَا بِأَبِيهِ

[المجث]

(١) سني العطية: كريم في غاية الكرم.

(٢) رحب الفنا، بتخفيف الهمزة من الفناء، وفناء الدار: فسحتها، ممّا دلّ على غنى صاحبها.

(٣) المعتفون: طالبو فضله وكرمه لحاجتهم إلى رّفده.

(٤) جزيل الحبا: العطاء الوافر الكريم.

(٥) تحقّيت به: أحسنت استقباله والترحيب به.

(٦) غيّر الأيام: مصائبها وتبدّل أحوالها.

(٧) عفا شعره: كثر وطال.

تذهب لتشتري البطيخ فتخلو بسائس :

حدثني محمد بن الحسن الكندي خطيب القادسية ، قال : حدثني رجل من كتاب الكوفة ، قال :

اجتاز بي جُعيفرانُ مرة ، فقال : أنا جائع فأَيُّ شيء عندك تُطعمني؟ فقلت : سَلَق بخردل ، فقال : اشتر لي معه بطيخاً ، فقلت : أفعُل ، فادخُل ، وبعثت بالجارية تجيئه بالبطيخ وقدمت إليه الخبز والسلق والخردل ، فأكل منه حتى ضجر ، وأبطأت الجارية ، فأقبل عليّ وقد غضب فقال :

سَلَقْتُنَا وَخَرَدَلْتُ ثُمَّ وَلَّتْ فَادْبَرْتُ
وَأُراها بواحدٍ وافر الأثر قد خَلْتُ

[مجزوء الخفيف]

قال : فخرجت - يشهد الله - أطلبها ، فوجدتها خالية في الدهليز بسائس لي على ما وصف .

صوت

ولهما مَرْبَعٌ ببرقة خاخ^(١) وَمَصِيفٌ بالقَصْرِ قَصْرِ قباءِ
كفَّنوني إن مِتُّ في درعٍ أروى واستقوا لي من بئر عروّة مائي
سُخنة في الشتاء باردة الصي فِ سراج^(٢) في الليلة الظلماءِ
[الخفيف]

الشعر للسريّ بن عبد الرحمن ، والغناء لمعبد ثقليل أول بالوسطى عن الهشامي ، قال : وفيهما - يعني الثالث والأول - لابن سُرَيْج رمل مطلق في مجرى الوسطى .

(١) برقة خاخ : موضع .

(٢) السراج : القنديل .

أخبار السري ونسبه

اسمه ونسبه :

السريُّ بن عبد الرحمن بن عتبة بن عويم بن ساعدة الأنصاري، ولجده عويم بن ساعدة صحبةً بالنبي ﷺ .

منزلته :

والسريُّ شاعر من شعراء أهل المدينة، وليس بمكثر ولا فحل، إلا أنه كان أحد الغزليين والفتيان، والمنادمين على الشراب، كان هو وعَتير بن سهيل بن عبد الرحمن بن عوف، وجبير بن أيمن وخالد بن أبي أيوب الأنصاري يتنادمون، قال: وفيهم يقول:

إذا أنت نادمت العَتير وذا الندى جُبيراً ونازعت الزجاجة خالدا
أَمِنْتُ بِإِذْنِ اللَّهِ أَنْ تُقَرَعَ^(١) العصا وأن يُنْبَهُوا من نومة السكر راقدا
[الطويل]

غناه الغريض ثقيلاً .

وقد كان السريُّ هذا هجا الأحوص وهجا نُصيباً فلم يُجيباه .

يهجو نُصيباً فلا يردّ عليه :

أخبرني الحرميُّ بن أبي العلاء، قال: حدثني الزبير بن بكار، قال: حدثني عمِّي وأخبرني الحسين بن يحيى المرداسي، قال: حدثنا حماد بن إسحاق، عن أبيه، عن ابن الكلبي، قال:

جلس النصيب في مسجد النبي ﷺ، فأنشد، وكان إذا أنشد لوى حاجبيه وأشار بيده، فرآه السريُّ بن عبد الرحمن الأنصاري، فجاءه حتى وقف بإزائه ثم أنشأ يقول:

فَقَدْتُ الشَّعْرَ حِينَ أَتَى نُصِيباً أَلَمْ تَسْتَحْيِ مِنْ مَقْتِ الْكِرَامِ

(١) تُقَرَعُ العصا: يُضْرَبُ بها.

إذا رفع ابنُ نُوبةَ حاجبيه حسبتَ الكلب يضرب في الكِعام^(١)
[الوافر]

قال: فقال نصيب: مَنْ هذا؟ فقالوا: هذا ابن عُويم الأنصاري، قال: قد وهبته
للَّهِ عز وجل، ولرسوله ﷺ، ولعويم بن ساعدة: قال: وكانت لعويم صُحبة ونُصرة.

يتنكر في ثياب الرعاة ليرى زينب:

أخبرني الحرمي، قال: حدثنا الزبير، قال: حدثني عمِّي، عن عبد الرحمن بن
عبد الله العُمري، قال:

كان السريّ قصيراً دميماً أزرق، وكان يهوى جارية يقال لها زينب، ويُشيب بها،
فخرج إلى البادية، فرآها في نسوة، فصار إلى راع هناك، فأعطاه ثيابه، وأخذ منه جُبته
وعصاه، وأقبل يسوق الغنم، حتى صار إلى النسوة، فلم يحفلن^(٢) به، وظنن أنه
أعرابي، فأقبل يُقلِّب بعصاه الأرض ينظر إليهن، فقلن له: أذهب منك يا راعي الغنم
شيء فأنت تطلبه؟ فقال: نعم، قلبي، فضربت زينب بكمها على وجهها وقالت:
السريّ واللّه، أخزاه الله، فأنشأ يقول:

صوت

ما زال فينا سقيمٌ يُستطَبُّ له من ريح زينبَ فينا ليلةَ الأحدِ
حُزّتِ الجمال ونُشراً طيباً أرجأ فما تُسمَّين إلا مسكةَ البلدِ
أما فؤادي فشيء قد ذهبَ به فما يضرُّك إلا تحرُّبي^(٣) جَسدي
[البسيط]

المهديّ يحفظ شعر السريّ:

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا أحمد بن أبي خيثمة، قال: حدثنا مصعب
الزبيري، قال:

قال أبي: قال لي المهديّ: أنشدني شعراً غزلاً، فأنشدته قول السريّ بن
عبد الرحمن:

(١) الكِعام، بكسر الكاف: ما كعم به فم البعير، وكعم الوعاء: شدّ رأسه.

(٢) لم يحفلن به: يهتمن لأمره.

(٣) تحربي جسدي: تنتزعي ما أملكه من مال بحيث أصبح عارياً ممّا أملك.

ما زال فينا سَقِيمٌ يُسْتَطَبُّ له من ريح زينبَ فينا ليلةَ الأحدِ
[البسيط]

فأعجبته، وما زال يستعيدها مراراً حتى حفظها.

يشربون النبيذ وتقبل شهادتهم:

أخبرني الحسن، قال: حدثني أحمد، قال: حدثني محمد بن سلام الجمحي، قال:

كان السريّ بن عبد الرحمن ينادم عتير بن سهيل بن عبد الرحمن بن عوف وجبير بن أيمن بن أم أيمن مولى رسول الله ﷺ، وخالد بن أبي أيوب الأنصاري، وكانوا يشربون النبيذ، وكلهم كان على ذلك مقبول الشهادة جليل القدر مشهوراً، فقال السريّ:

إذا أنت نادمَت العتير وذا الندى جُبِيراً ونازعت الزجاجة خالداً
أمنت بإذن الله أن تُقرَعَ العصا^(١) وأن يُنبهوا من نومة السكر راقداً
[الطويل]

فقالوا: قبحك الله، ماذا أردت إلى التنبيه علينا والإذاعة لسرنا وشهرة أمرنا؟ إنك لحقيق ألا ننادمك، قال: والله ما أردت بكم سوءاً ولكنه شعر طفح فنفتته عن صدري.

قال: وخالد بن أبي أيوب الأنصاري الذي يقول:

صوت

ألا سَقْنِي كأسِي ودَعْ قولَ من لحى^(٢) وروَّ عظاماً قصرهن إلى بلى
فإن بطاء الكأس موتٌ وحبسها وإن دراك الكأس عندي هوا الحيا
[الطويل]

الغناء في هذين البيتين هو لعبد الله بن العباس الربيعي خفيف رمل بالبنصر عن عمرو بن بانه.

خالد بن أبي أيوب الأنصاري يشرب:

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال: حدثني سليمان بن أبي أشيخ، قال: حدثني

(١) تفرع العصا: يُضرب بها.

(٢) لحى: لام، عدل.

مصعب بن عبد الله الزبيري، قال: حدثني مصعب بن عثمان، قال:

حدثني عبيد الله بن عروة بن الزبير، قال: خرجت وأنا غلام أدور في سكك^(١) المدينة، فانتهيت إلى فناء مرشوش، وشاب جميل الوجه جالس، فلما رأيته دُعاني، ثم قال لي: من أنت يا غلام؟ فقلت عبيد الله بن عروة بن الزبير، فقال: اجلس، فجلست، فدعا بالغداء فتغدينا جميعاً، ثم قال: يا جارية، فأقبلت جارية تتهاذى كأنها مهاة^(٢)، وفي يدها قنينة، فيها شراب صاف وقلة ماء وكأس، فقال لها: اسقني، فصبت في الكأس، وسكبت عليه ماء وناولته، فشرب، ثم قال: اسقه، فصبت في الكأس وسكبت عليه ماء وناولتني، فلما وجدت رائحته بكيته، فقال: ما يُبيكيك يا ابن أخي؟ فقلت: إن أهلي إن وجدوا رائحة هذا مني ضربوني، فأقبل على الجارية بوجهه، وقال لها يخاطبها:

أَلَا سَقَّنِي كَأْسِي وَدَعُ عَنْكَ مِنْ أَبِي وَرَوْ عِظَاماً قَصْرَهْنَ إِلَى بَلَى
[الطويل]

فأخذته من يدي وأعطته، فشربه وقمت، فلما جاوزته سألت عنه فقبل لي: هذا خالد بن أبي أيوب الأنصاري الذي يقول فيه الشاعر:

إِذَا أَنْتِ نَادَمْتَ الْعَتِيرَ وَذَا النَّدَى جُبَيْراً وَعَاطِيتَ^(٣) الزَّجَاجَةَ خَالِداً
أَمِنْتُ بِإِذْنِ اللَّهِ أَنْ تُقْرِعَ الْعَصَا وَأَنْ يُوقِظُوا مِنْ نَوْمَةِ السَّكْرِ رَاقِداً
وَصَرْتَ بِحَمْدِ اللَّهِ فِي خَيْرِ عُصْبَةٍ حَسَانَ النَّدَامِ لَا تَخَافُ الْعَرَابِداً
[الطويل]

هرة تلاعب قرداً:

أخبرني وكيع، قال: حدثنا محمد بن علي بن حمزة، قال: حدثني أبو غسان، عن محمد بن يحيى بن عبد الحميد، قال:

كان السري بن عبد الرحمن يختلف إلى قينة، فجاءها ابن الماشجون، فقال: لا أدخل حتى يخرج السري، فأخرجته، فقال السري:

قَبَّحَ اللَّهُ أَهْلَ بَيْتٍ بَسَلَعَ أَخْرَجُونِي وَأَدْخَلُوا الْمَاجِشُونَ

(١) سكك المدينة، الواحدة سكة: طرقها.

(٢) المهاة: البقرة الوحشية.

(٣) عاطيت الزجاجة خالداً: ناولته إياها.

أَدْخَلُوا هِرَّةً تُلَاعِبُ قِرْدًا مَا تَرَاهُمْ يَرَوْنَ مَا يَصْنَعُونَا؟!
[الخفيف]

أمة الحميد وأمة الواحد :

أخبرني الحسن، قال: حدثنا أحمد بن زهير، قال: حدثنا مصعب، قال:
أنشدني أبي للسري بن عبد الرحمن في أمة الحميد بنت عبد الله بن عباس
وفي ابتها أمة الواحد.

أمة الحميد وبناتها ظبيان في ظل الأراك
يتتبعان بريرة^(١) وظلاله فهما كذاك
حذّي الجمال عليهما حذو الشراك على الشراك
[مجزوء الكامل]

يتمنى أن يكون مؤذناً ليرى من في السطوح :

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي، قال: حدثني محمد بن الحسن بن مسعود
الزرقى، قال: حدثني يحيى بن عثمان بن أبي قباحة الزهرى، قال:
أنشدني أبو غسان صالح بن العباس بن محمد، وهو إذ ذاك على المدينة،
للسري بن عبد الرحمن:

ليتني في المؤذنين نهارة إنهم يبصرون من في السطوح
فيُشيرون أو يُشار إليهم حبذا كل ذات جيد مليح
[الخفيف]

قال: فأمر صالح بسد المنار، فلم يقدر مؤذن على أن يطلع رأسه حتى عُزل
صالح.

عمر بن عمرو بن عثمان يعطيه أرضاً :

أخبرني حبيب بن نصر، قال: حدثنا عبد الله بن شبيب، قال: حدثني زبير بن
بكار، عن عمه:

أن السري بن عبد الرحمن وقف على عمر بن عمرو بن عثمان، وهو جالس
على بابه، والناس حوله فأنشأ يقول:

(١) البرير: أول ما يظهر من ثمر الأراك.

يا ابنَ عُثْمَانَ يا ابنَ خيرِ قُرَيْشٍ أَبْغِنِي ^(١) مَا يَكْفِنِي بِقُبَاءِ
رُبَّمَا بَلَّغَنِي نَدَاكَ وَجَلَّى عَنْ حَبِيبِي عَاجَاةَ الْغُرْمَاءِ ^(٢)
[الخفيف]

فَأَعْمَرَهُ أَرْضاً بِقُبَاءٍ، وَجَعَلَهَا طُعْمَةً ^(٣) لَهُ أَيَّامَ حَيَاتِهِ، فَلَمْ تَزَلْ فِي يَدِهِ حَتَّى مَاتَ.

معبد يُغْنِي فِيرَقَ لَهُ الْأَسْوَدُ:

أَخْبَرَنِي وَسَوَاسَةُ بْنُ الْمُوَصِّلِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي حَمَادُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ
عَزِيزِ بْنِ طَلْحَةَ، قَالَ:

قَالَ مَعْبِدُ: خَرَجْتُ مِنْ مَكَّةَ أُرِيدُ الْمَدِينَةَ، فَلَمَّا كُنْتُ قَرِيباً مِنَ الْمَنْزِلِ أُرِيتُ بَيْتاً،
فَعُدَلْتُ إِلَيْهِ، فَإِذَا فِيهِ أَسْوَدٌ عِنْدَهُ جِفَانٌ مِنْ مَاءٍ، وَقَدْ جَهَدَنِي الْعَطَشُ، فَسَلِمْتُ عَلَيْهِ
وَاسْتَسْقَيْتُ، فَقَالَ: تَأَخَّرَ عَافَاكَ اللَّهُ، فَقُلْتُ: يَا هَذَا اسْقِنِي جُرْعَةً مِنَ الْمَاءِ، فَقَدْ كَدْتُ
أَمُوتَ عَطْشاً، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا تَرَوِي مِنْهُ جُرْعَةً وَلَوْ مِتَّ، فَرَجَعْتُ الْقَهْقَرَى، وَأَنْخَتُ
رَاحِلَتِي، وَاسْتَظَلَلْتُ بِظِلِّهَا مِنَ الشَّمْسِ، ثُمَّ انْدَفَعْتُ أُغْنِي لِبَيْتِلَ لِسَانِي:

كَفَّنُونِي إِنْ مِتَّ فِي دَرَعٍ أُرَوِي وَاسْتَقْوَالِي مِنْ بئِرِ غُرُورَةٍ مَائِي
[الخفيف]

قَالَ: فَإِذَا أَنَا بِالْأَسْوَدِ قَدْ خَرَجَ إِلَيَّ، وَمَعَهُ قَدَحٌ جِيْشَانِي ^(٤) فِيهِ سَوِيقٌ مُلْتُ بِمَاءٍ
بَارِدٍ، فَقَالَ: هَلْ لَكَ فِي هَذَا أَرْبُ؟ قُلْتُ: قَدْ مَنَعْتَنِي مَا هُوَ أَقْلُ مِنْهُ: الْمَاءُ. فَقَالَ:
اشْرَبْ عَافَاكَ اللَّهُ، وَدَعْ عَنْكَ مَا مَضَى. فَشَرِبْتُ ثُمَّ قَالَ: أَعِدْ - فِدَيْتِكَ - الصَّوْتِ،
فَأَعِدْتَهُ، فَقَالَ: هَلْ لَكَ - بِأَبِي وَأُمِّي - أَنْ أَحْمِلَ لَكَ قُرْبَةً مِنْ مَاءٍ، وَأَمْشِيَ بِهَا مَعَكَ إِلَى
الْمَنْزِلِ وَتُعِيدَ عَلَيَّ هَذَا الصَّوْتِ حَتَّى أَتَزُودَ مِنْهُ، وَكَلِمَا عَطَشْتَ سَقَيْتِكَ؟ قُلْتُ: أَفْعَلُ،
فَفَعَلَ وَسَارَ مَعِي، فَمَا زِلْتُ أُغْنِيهِ إِيَّاهُ وَكَلِمَا عَطَشْتَ اسْتَقَيْتَهُ حَتَّى بَلَغْتَ الْمَنْزِلَ عِشَاءً.

صوت

سَلَبَ الشَّبَابُ رِدَاءَهُ عَنِّي وَيَتْبَعُهُ إِزَارُهُ
وَتَحَلَّ حَلَّتُهُ عَلَيَّ وَكَأ نَ يُعْجِبْنِي أَفْتِخَارُهُ

(١) أَبْغِنِي: أَعْنِي لِأَحْصِلَ عَلَى طِلْبَتِي.

(٢) عَاجَاةُ الْغُرْمَاءِ: إِلْحَاحُهُمْ لِاسْتِرْجَاعِ دِيُونِهِمْ.

(٣) جَعَلَهَا طُعْمَةً: أَيَّ مَعَاشاً وَرَزَقاً.

(٤) قَدَحٌ جِيْشَانِي: مَا يُنْسَبُ إِلَى جِيْشَانِ أَحَدِ مُخَالِفِ الْيَمَنِ، مِنَ الْأَقْدَاحِ.

سائل شبابي هل مسكت بسوأة أو ذلّ جازة؟!
ويروى: هل أسأت مساكه؟

ما إن ملكت المال إلا كان لي وله خيأرة
[مجزوء الكامل]

الشعر لمسكين الدارمي، والغناء لمقاسمة بن ناصح خفيف رمل بالبنصر عن

عمرو.

أخبار مسكين ونسبه

اسمه ونسبه :

مسكين لقب غلب عليه ، واسمه ربيعة بن عامر بن أنيف بن شريح بن عمرو بن زيد بن عبد الله بن عُدس بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم .

وقال أبو عمرو الشيباني : هو مسكين بن أنيف بن شريح بن عمرو بن عُدس بن زيد بن عبد الله بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم .

لماذا لُقّب مسكيناً؟

قال أبو عمرو : وإنما لُقّب مسكيناً لقوله :

أنا مسكين لمن أنكرني ولمن يعرفني جدُّ نطق^(١)
لا أبيع الناس عرضي إنني لو أبيع الناس عرضي لنفق
[الرملة]

وقال أيضاً :

وسميت مسكيناً وكانت لجاجة وإنني لمسكين إلى الله راغب
[الطويل]

وقال أيضاً :

إن أدع مسكيناً فلست بمُنكر وهل تُنكرن الشمس دَرَّ شعاعها
لعمرك ما الأسماء إلا علامة منارٌ ومن خير المنار ارتفاعها
[الطويل]

وهو شاعر شريف من سادات قومه ، هاجى الفرزدق ثم كافّه ، فكان الفرزدق يعدّ ذلك في الشدائد التي أفلت منها .

(١) النطق ، الواحد نطق : هي أعراض من جبال بعضها فوق بعض .

مسكين يرثي زياداً فيعارضه الفرزدق :

حدثني حبيب بن نصر المهلبی، قال: حدثنا عمر بن شبة، عن أبي عبيدة قال: كان زياد قد أَرعى مسكيناً الدارمي حمى له بناحية العذيب في عام قحط، حتى أخصب الناس وأحيوا، ثم كتب له ببر وتمر وكساه، قال: فلما مات زياد رثاه مسكين، فقال:

رَأَيْتْ زِيَادَةَ الْإِسْلَامِ وَلَّتْ جِهَاراً حِينَ ودَّعَنَا زِيَادُ
[الوافر]

فعارضه الفرزدق، وكان منحرفاً عن زياد لطلبه إياه، وإخافته له، فقال:

أَمْسِكِينَ أَبْكَى اللَّهَ عَيْنَكَ إِنَّمَا جَرَى فِي ضَلَالٍ دَمْعُهَا فَتَحَدَّرَا
بَكَيْتَ عَلَى عِلْجٍ ^(١) بِمَيْسَانَ ^(٢) كَافِرٍ كَكَسْرَى عَلَى عِدَانِهِ ^(٣) وَكَقَيْصَرَا
أَقُولُ لَهُ لَمَّا أَتَانِي نَعِيُّهُ بِهِ لَا بَظْبِي بِالصَّرِيمَةِ أَغْفَرَا
[الطويل]

فقال مسكين يجيبه .

أَلَا أَيُّهَا الْمَرْءُ الَّذِي لَسْتَ قَاعِداً وَلَا قَائِماً فِي الْقَوْمِ إِلَّا أَنْبَرَى لِيَا
فَجِئْنِي بَعَمٍّ مِثْلَ عَمِّي أَوْ أَبٍ كَمِثْلِ أَبِي أَوْ خَالٍ صَدِيقٍ كَخَالِيَا
كَعَمْرُو بْنِ عَمْرُو أَوْ زُرَّارَةَ ذِي النَّدَى أَوْ الْبَشَرَ مِنْ كُلِّ فَرَعَتِ الرُّوَابِيَا
[الطويل]

قال: فأمسك الفرزدق عنه فلم يجبه وتكافأ ^(٤).

أخبرني ببعض هذا الخبر أبو خليفة، عن محمد بن سلام.

فذكر نحوه مما ذكره أبو عبيدة: وزاد فيه، قال: والبشر خال لمسكين من النمر بن قاسط، وقد فخر به، فقال:

شَرِيحُ فَارَسِ النِّعْمَانِ عَمِّي وَخَالِي الْبِشْرِ بَشْرُ بَنِي هِلَالٍ
وَقَاتِلُ خَالِهِ بِأَبِيهِ مِنَّا سَمَاعَةُ لَمْ يَبِعْ حَسَباً بِمَالٍ
[الوافر]

(٢) ميسان: موضع.

(١) العِلْج: الكافر من الروم.

(٣) عدانه: عهده وقت حكمه.

(٤) تكافأ: امتنع عن الأمر. وتكافأ، أي امتنع كل منهما عن الآخر.

وأخبرني عمِّي قال: حدثنا الحزنبل، عن عمرو بن أبي عمرو، عن أبيه بمثل هذه الحكاية.

وزاد فيها: قال: فتكافأ واتقاه الفرزدق أن يُعين عليه جريراً، واتقاه مسكين أن يُعين عليه عبد الرحمن بن حسان بن ثابت، ودخل بينهما شيوخ بني عبد الله وبني مجاشع، فتكافأ.

الفرزدق ينجو من مهاجاة مسكين:

وأخبرني هاشم بن محمد الخزاعي، قال: حدثنا أبو غسان دماذ، عن أبي عبيدة، عن أبي عمرو، قال:

قال الفرزدق: نجوت من ثلاثة أشياء لا أخاف بعدها شيئاً: نجوت من زياد حين طلبني، ونجوت من ابني رُميلة وقد نذرا دمي وما فاتهما أحد طلباه قط، ونجوت من مهاجاة مسكين الدارمي، لأنه لو هجاني اضطرني أن أهديم شطر حسبي وفخري، لأنه من بُحْبُوحة^(١) نسبي وأشراف عشيرتي، فكان جرير حينئذٍ ينتصف مني بيدي ولساني.

أشعر ما قيل في الغيرة:

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حدثني محمود بن داود، عن أبي عكرمة عامر بن عمران، عن مسعود بن بشر.

عن أبي عبيدة أنه سمعه يقول: أشعر ما قيل في الغيرة قول مسكين الدارمي:

ألا أيُّها الغائرُ المستـ	شط ^(٢) فيم تغار إذا لم تغر
فما خيرُ عرس ^(٣) إذا خفتها	وما خيرُ عرس إذا لم تُزر
تغار على الناس أن ينظروا	وهل يفتن الصالحات النُّظر؟!
وإنني سأخلي لها بيتها	فتحفظ لي نفسها أو تذُر
إذا الله لم يُعطني حبَّها	فلن يُعطي الحبَّ سوطاً مُمَرَّ ^(٤)

[المقارب]

معاوية يأبى أن يفرض له:

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي، قال: حدثني عبد الله بن عمرو بن أبي

(٢) المستشط: المثار غضباً.

(١) بُحْبُوحة النسب: أي وسطه.

(٣) العرس، بكسر العين: الزوجة.

(٤) سوط ممر: مفتول فتلاً محكماً.

سعد، قال: حدثني محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعي، قال: حدثني عبد الله بن ياسر قال: أخبرني أيوب بن أبي أيوب السعدي، وقال:

قَدِمَ مِسْكِين الدارمي على معاوية، فسأله أن يفرض له، فأبى عليه، وكان لا يفرض إلا لليمن، فخرج من عنده مسكين، وهو يقول:

أَخَاكَ أَخَاكَ إِنْ مِنْ لَا أَخَا لَهُ كَسَاعَ إِلَى الْهَيْجَا^(١) بغير سلاح
وإن ابن عم المرء فاعلم جناحه وهل ينهض البازي بغير جناح؟!
وما طالب الحاجات إلا مُغَرَّر وما نال شيئاً طالب كنجاح
[الطويل]

معاوية يفرض لمسكين وقومه:

قال السعدي: فلم يزل معاوية كذلك حتى عزت اليمن وكثرت وضعفت عدنان، فبلغ معاوية أن رجلاً من أهل اليمن قال يوماً: لهممت ألا أدع بالشام أحداً من مضر، بل هممت ألا أحل حبوتي^(٢) حتى أخرج كل نزاری بالشام، فبلغت معاوية، ففرض من وقته لأربعة آلاف رجل من قيس سوى خندف، وقدم على تَفِئَة^(٣) ذلك عطارد بن حاجب على معاوية، فقال له: ما فعل الفتى الدارمي الصبيح الوجه الفصيح اللسان؟ يعني مسكيناً، فقال: صالح يا أمير المؤمنين، فقال: أعلمه أنني قد فرضت له في شرف العطاء، وهو في بلاده، فإن شاء أن يُقيم بها أو عندنا فليُفعل، فإن عطاءه سيأتيه، وبشره بأنني قد فرضت لأربعة آلاف من قومه من خندف، قال: وكان معاوية بعد ذلك يُغزي اليمن في البحر، ويغزي قيساً في البر، فقال شاعر اليمن:

أَلَا أَيُّهَا الْقَوْمُ الَّذِينَ تَجَمَّعُوا بَعَكَا أَنْاسُ أَنْتُمْ أَمْ أَبَاعِرُ^(٤)؟!
أَتَتَرَكُ قَيْسٌ آمَنِينَ بِدَارِهِمْ وَتَرَكَبَ ظَهْرَ الْبَحْرِ وَالْبَحْرُ زَاخِرُ
فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي وَإِنِّي لَسَائِلُ أَهْمَدَانُ تَحْمِي ضَيْمَهَا^(٥) أَمْ يُحَابِرُ؟!
أَمْ الشَّرَفُ الْأَعْلَى مِنْ أَوْلَادِ حِمِير بَنُو مَالِكٍ إِذْ تَسْتَمِرُّ الْمَرَائِرُ^(٦)

(١) الهيجا: الحرب.

(٢) حبوتي: على حينه وزمانه.

(٣) أباعر: مفردها بعير، وهو الجمل البازل ويطلق للذكر والأنثى.

(٤) الضيم: الذل والمسكنة.

(٥) يستمر المرائر: تسترجع قوتها بعد ما أَلَمَ بها من ضعف.

أَأَوْصَى أَبَوْهَمَ بَيْنَهُمْ أَنْ تَوَاصَلُوا وَأَوْصَى أَبُوكُمْ بَيْنَكُمْ أَنْ تَدَابَرُوا^(١)
[الطويل]

قال: ويقال: إن النجاشي قال هذه الأبيات.

معاوية يعتذر إلى اليمن:

أخبرني بذلك عبد الله بن أحمد بن الحارث العدوي، عن محمد بن عائذ،
عن الوليد بن هشام، عن إسماعيل بن عياش وغيره قالوا:

فلما بلغت هذه الأبيات معاوية، بعث إلى اليمن فاعتذر إليهم وقال: ما أغزيتكم
البحر إلا لأنني أتيتم بكم، وإن في قيس نكداً وأخلاقاً لا يحتملها الثغر، وأنا عارف
بطاعتكم ونصحكم فأما إذ قد ظننتم غير ذلك فأنا أجمع فيه بينكم وبين قيس، فتكونوا
جميعاً فيه، وأجعل الغزو فيه عقباً بينكم، فرضوا وفعل ذلك بهم فيما بعد.

بشر بن مروان يستحسن شعر مسكين:

حدثني الحسن بن علي، قال: حدثنا أحمد بن زهير بن حرب، قال: حدثني
مصعب بن عبد الله، قال: وحدثني زبير عن عمه، قال:

كان أصاغر ولد مروان في حجر ابنه عبد العزيز بن مروان، فكتب عبد العزيز
إلى بشر كتاباً، وهو يومئذ على العراق، فورد عليه وهو ثمل، وكان فيه كلام
أحفظه^(٢)، فأمر بشر كاتبه فأجاب عبد العزيز جواباً قبيحاً، فلما ورد علم أنه كتبه وهو
سكران، فجفاه وقطع مكاتبة زماناً، وبلغ بشراً عتبه عليه، فكتب إليه: لولا الهفوة لم
أحتج إلى العذر، ولم يكن لك في قبوله، مني الفضل، ولو احتمل الكتاب أكثر مما
ضممت له لزدت فيه، وبقية^(٣) الأكابر على الأصاغر من شيم الكرام ولقد أحسن مسكين
الدارمي حين يقول:

أَخَاكَ أَخَاكَ إِنَّ مَنْ لَا أَخَا لَهُ كَسَاعٍ إِلَى الْهَيْجَا بَغِيرِ سِلَاحٍ
وإن ابن عم المرء فاعلم جناحه وهل ينهض البازي بغير جناح؟!
[الطويل]

قال: فلما وصل كتابه إلى عبد العزيز دمعت عينه، وقال: إن أخي كان مُتَشَيِّاً
لَمَّا جَرَى مِنْهُ مَا جَرَى، فَسَلُوا عَمَّنْ شَهِدَ ذَلِكَ الْمَجْلِسَ، فَسُئِلَ عَنْهُمْ وَأُخْبِرَ بِهِمْ،

(١) تدابروا: تختلفوا وتتافروا.

(٢) أحفظه: أثار حفيظته وغضبه.

(٣) البقية: يقال بقية القوم أي خيارهم.

فقبل عذره وكتب إليه ألا يُعاشِرَ أحداً من ندمائه الذين حضروا ذلك المجلس، وأن يعزل كاتبه عن كتابته، ففعل.

الفرزدق يخشى مهاجاة مسكين:

أخبرني محمد بن القاسم الكِنديّ خطيب القادسية قال: حدثنا عمر بن شُبّة، عن أبي عُبيدة، عن أبي عمرو، قال:

كان الفرزدق يقول: نجوت من ثلاث أرجو ألا يُصيبني بعدهن شرّ منهن: نجوت من زياد حين طلبني وما فاته مطلوب قطّ، ونجوت من ضربة رئاب بن رُميلة أبي البذل فلم تقع في رأسي، ونجوت من مهاجاة مسكين الدارمي، ولو هاجيته لحال بيني وبين بيت بني عُدُس، وقطع لساني عن الشعراء.

كراهته لسواد لونه وقلة ماله:

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثنا أبو العيناء، عن الأصمعي، قال:

خطب مسكين الدارمي فتاة من قومه، فكرهته لسواد لونه وقلة ماله، وتزوجت بعده رجلاً من قومه ذا يسار، ليس له مثل نسب مسكين، فمرّ بهما مسكين ذات يوم، وتلك المرأة جالسة مع زوجها فقال:

أنا مسكين لمن يعرفني
من رأى ظبياً عليه لؤلؤ
أكسبته الورق البيض أباً
ربّ مهزول سمين بيّته
أصبحث طمّاحة معتلة
أصبحث تُرزق من شحم الذرى^(٢)
لا تلمّها إنها من نسوة
كشموس^(٣) الخيل يبدو شغبها^(٤)
لوني السُمرة ألوان العرب
واضح الخدين مقروناً بضبّ
ولقد كان وما يُدعى لأب
وسمين البيت مهزول النَّسب
قرمت^(١) بل هي وحمى للصخب
وتخال اللؤم ذراً يُنتهب
صخبات ملحها فوق الركب
كلما قيل لها هال وهب^(٥)

[الرمّل]

(١) قرمت: ثارت رغبتها لأكل اللحوم. (٢) الذرى: كناية عن سنام الجمل.

(٣) شמוש الخيل: الجامح منها الذي لم يُروض بعد.

(٤) الشغب: الضجيج والفوضى. (٥) هال وهب: زجر للخيل.

مسكين يدعو إلى مبايعة يزيد بن معاوية بعد أبيه :

أخبرني محمد بن يزيد، قال: حدثني حماد بن إسحاق الموصلي، قال: حدثني أبي، عن الهيثم بن عدي، عن عبد الله بن عياش، قال: كان يزيد بن معاوية يؤثر مسكيناً الدارمي ويصله، ويقوم بحوائجه عند أبيه، فلما أراد معاوية البيعة ليزيد تهيب ذلك، وخاف ألا يُمَالَّه، عليه الناس لحسن البقية فيهم، وكثرة من يرشح للخلافة، وبلغه في ذلك ذرو^(١) كلام كرهه، من سعيد بن العاص، ومروان بن الحكم، وعبد الله بن عامر، فأمر يزيد مسكيناً أن يقول أبياتاً، ويُشدها معاوية في مجلسه إذا كان حافلاً، وحضره وجوه بني أمية، فلما اتفق ذلك دخل مسكين إليه، وهو جالس، وابنه يزيد عن يمينه، وبنو أمية حواله، وأشرف الناس في مجلسه، فمثل بين يديه أنشأ يقول:

إن أدع مسكيناً فإنني ابن معشر من الناس أحمي عنهم وأذود
إليك أمير المؤمنين رحلتها تُشير القطا ليلاً وهن هُجود
وهاجرة ظلت كأن ظباءها إذا ما اتقتها بالقرون سجود
[الطويل]

صوت

ألا ليت شعري ما يقول ابن عامر ومروان أم ماذا يقول سعيد؟!
بني خلفاء الله مهلاً فإنما يُبَوِّئها الرحمن حيث يريد
إذا المنبر الغربي خلاه ربه فإن أمير المؤمنين يزيد
[الطويل]

الغناء لمعبد ثقیل أول بالبنصر عن عمرو بن بانه.

على الطائر الميمون والجذ^(٢) صاعد لكل أناس طائر وُجود
فلا زلت أعلى الناس كعباً ولا تزل وفود تُساميها إليك وفود
ولا زال بيت الملك فوقك عالياً تشدد أطناب^(٣) له وعمود
قدور ابن حرب كالجوابي وحولها رجالاً عليها سيّد ومسود
[الطويل]

(١) ذرو كلام: طرف من كلام.

(٢) الجذ، بفتح الجيم: الحظ.

(٣) الأطناب: الواحد طنْب، الحبال تشدّ لتثبيت الصّوان في الأرض.

قال: فقال له معاوية: ننظر فيما قلت يا مسكين ونستخير الله، قال: ولم يتكلم أحد من بني أمية في ذلك إلا بالإقرار والموافقة، وذلك الذي أراده يزيد، ليعلم ما عندهم، ثم وصله يزيد ووصله معاوية فأجزلا صلته.

أمير المؤمنين عقيد:

أخبرني محمد بن خلف، قال: حدثنا العنزّي، قال: حدثنا أبو معاوية بن سعيد بن سلم، قال:

قال لي عقيد: غنيت الرشيد ليلة:

إذا المنبر الغربيّ خلاه ربه.

ثم فطنت لخطئي ورأيت وجه الرشيد قد تغير، قال: فتداركتها وقلت:

فإن أمير المحسنين عقيد.

فطرب وقال: أحسنت والله بحياتي قل:

فإن أمير المؤمنين عقيد.

فوالله لأنت أحقُّ بها من يزيد بن معاوية، فتعاطمت ذلك، فحلف لا أغنيه إلا كما أمر، ففعلت، وشرب عليه ثلاثة أرطال، ووصلني صلة سنية.

بين مسكين وامرأته:

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد، قال: حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي، قال: حدثني عمّي، قال:

كانت لمسكين الدارمي امرأة من منقر، وكانت فاركا^(١) كثيرة الخصومة والمماظة^(٢) له فاجتازت به يوماً، وهو ينشد قوله في نادي قومه:

إن ألك مسكيناً فما قصّرت قدري بيوت الحي والجدر
[الكامل]

فوقفت عليه تسمع، حتى إذا بلغ:

ناري ونار الجار واحدة وإليه قبلي تُنزل القدر
[الكامل]

(١) المرأة الفارك: التي تكره زوجها.

(٢) المماظة: السباب والشتائم والنزاع.

فقلت له: صدقت والله، يجلس جارك فيطبخ قدره، فتصطلي بناره، ثم يُنزلها فيجلس يأكل وأنت بحذائه كالكلب، فإذا شبع أطعمك، أجل والله، إن القدر لتنزل إليه قبلك، فأعرض عنها ومرّ في قصيدته، حتى بلغ قوله منها:

ما ضرَّ جاراً لي أجاوره ألا يكونَ لبيته سترُ
[الكامل]

فقلت له: أجل، إن كان له ستر هتكته^(١)، فوثب إليها يضربها وجعل قومه يضحكون منهما. وهذه القصيدة من جيد شعره.

صوت

يا فرحتا إذ صرّفنا أوجه الإبل نحو الأحبة بالإزعاج والعجل
نحُثّهن وما يؤتّين من دأبٍ لكنّ للشوق حثّاً ليس للإبل
[البسيط]

الشعر لأبي محمد اليزيدي، والغناء لسليم ثقليل أول بالبنصر عن عمرو والهشامي.

(١) هتكته: مزّقته، وأباحت حرمة.

أخبار أبي محمد ونسبه

اسمه ونسبه :

أبو محمد يحيى بن المبارك، أحد بني عدي بن عبد شمس بن زيد مناة بن تميم .

سمعت أبا عبد الله محمد بن العباس بن محمد بن أبي محمد اليزيدي يذكر ذلك ويقول: نحن من رهط ذي الرمة، وقيل: إنهم موالي بني عدي، وقيل لأبي محمد: اليزيدي، لأنه كان فيمن خرج مع إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بالبصرة، ثم توارى زماناً حتى استتر أمره، ثم اتصل بعد ذلك بيزيد بن منصور خال المهدي، فوصله بالرشيد، فلم يزل معه، وأدب المأمون خاصة من ولده، ولم يزل أبو محمد وأولاده منقطعين إليه وإلى ولده، ولهم فيه مدائح كثيرة جياذ.

أبو محمد وبنوه علماء باللغة :

وكان أبو محمد عالماً باللغة والنحو، راوية الشعر، متصرفاً في علوم العرب، قد أخذ عن أبي عمرو بن العلاء ويونس بن حبيب النحوي، وأكابر البصريين، وقرأ القرآن على أبي عمرو بن العلاء وجوّد قراءته ورواها عنه، وهي المعول عليها في هذا الوقت.

وكان بنوه جميعاً في مثل منزلته: من العلم والمعرفة باللغة، وحسن التصرف في علوم العرب، ولسائرهم شعر جيد، ونحن نذكر بعد انقضاء أخباره أخبار من كان له شعر، وفيه غناء من ولده، إذ كنا قد شرطنا ذكر ما فيه صنعة دون غيره.

فمنهم محمد بن أبي محمد، وإبراهيم بن أبي محمد، وإسماعيل بن أبي محمد، كل هؤلاء ولده لصلبه، ولكلهم شعر جيد، ومن ولد ولده: أحمد بن محمد بن أبي محمد، وهو أكبرهم، وكان شاعراً راوية عالماً، ومنهم عبيد الله والفضل ابنا محمد بن أبي محمد، وقد روى عن أكابر أهل اللغة، وحُمل عنهما علم كثير، وآخر من كان بقي من علماء أهل هذا البيت أبو عبد الله محمد بن العباس بن محمد بن أبي محمد، وكان رحمه الله فاضلاً عالماً ثقة فيما يرويه، منقطع القرين في

الصدق وشدة التوقي فيما ينقله، وقد حملنا نحن عنه وكثير من طلبة العلم ورواته علماً كثيراً، وسمعنا منه سماعاً جماً.

فأما ما أذكره هاهنا من أخبارهم فإني أخذته عن أبي عبد الله رحمه الله عن عمي عبيد الله والفضل، وأضفت إليه أشياء أخر يسيرة، أخذتها عن غيره، فذكرت ذلك في مواضعه، ورويته عن أهله.

في مجلس الرشيد:

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي، قال: حدثني عمي عبيد الله، عن عمه إسماعيل بن أبي محمد، قال:

حدثني أبي، قال: كان الرشيد جالساً في مجلسه، فأتي بأسير من الروم، فقال لذفافة العبسي: قم فاضرب عنقه، فضربه فنبأ سيفه، فقال لابن فليح المدني: قم فاضرب عنقه، فضربه فنبأ سيفه أيضاً، فقال: أصلح الله أمير المؤمنين، تقدمتني ضربة عبسية، فقال الرشيد للمأمون، وهو يومئذ غلام: قم - فذاك أبوك - فاضرب عنقه، فقام فاضرب العليج، فأبان رأسه، ثم دعا بآخر، فأمره بضرب عنقه، فضربه فأبان رأسه، فنظر إلى المأمون كالمستنطق فقلت:

أَبْقَى ذِفَافَةٌ عَاراً بَعْدَ ضَرْبَتِهِ عِنْدَ الْإِمَامِ لَعَبَسَ آخِرَ الْأَبَدِ
كَذَاكَ أَسْرَتُهُ تَنْبُو سَيُوفُهُمْ كَسِيفَ وَرْقَاءَ لَمْ يَقْطَعْ وَلَمْ يَكْدِ
مَا بِالْ سَيْفِكَ قَدْ خَانَتْكَ ضَرْبُهُ وَقَدْ ضَرْبَتْ بِسَيْفٍ غَيْرَ ذِي أَوْدٍ؟!
هَلَّا كَضْرِبَةِ عَبْدِ اللَّهِ إِذْ وَقَعَتْ فَفَرَّقَتْ بَيْنَ رَأْسِ الْعِلْجِ وَالْجَسَدِ؟!
[البسيط]

أبو محمد يهجو حمويه:

قال إسماعيل بن أبي محمد في أخباره هذه:

كان حمويه ابن أخت الحسن الحاجب، وسعيد الجوهري واقفين، فذكرا أبا محمد - يعني أباه - والكسائي، ففضل حمويه الكسائي على أبي محمد، وفضل سعيد الجوهري أبا محمد على الكسائي، وطال الكلام بينهما، إلى أن تراضيا برجل يحكم بينهما، فتراهما على أن من غلب أخذ برذون صاحبه، فجعلا الحكم بينهما أبا صفوان الأحوزي، فلما دخل سألاه فقال لهما: لو ناصح الكسائي نفسه لصار إلى أبي محمد وتعلم منه كلام العرب، فما رأيت أحداً أعلم منه به. فأخذ الجوهري دابة حمويه، وبلغ أبا محمد اليزيدي هذا الخبر، فقال:

يا حمويه اسمع ثناء صادقاً
يا جالب الخزي على نفسه
إن فخر الناس بأبائهم
قلت وأدغمت أبا خاملاً
فيك وما الصادق كالكاذب
بعداً وسحقاً لك من جالب
أتيتهم بالعجب العاجب
أنا ابن أخت الحسن الحاجب
[السريع]

البادي أظلم:

قال إسماعيل: وحدثني أبي، قال: كنت ذات يوم جالساً أكتب كتاباً، فنظر فيه سلم الخاسر طويلاً ثم قال:

أير يحيى أخط من كف يحيى
إن يحيى بأيّره لخطوط
[الخفيف]

فقال أبو محمد يحيى:

أم سلم بذاك أعلم شيء
ولها تارة إذا ما علاها
أم سلم تعلم الشعر سلماً
ليت شعري ما بال سلم بن عمرو
لا يصلي عليه فيمن يصلي
إنها تحت أيّره لضرور
أزمل^(١) من وداقها^(٢) وأطيّط^(٣)
حبذا شعر أمك المنقوط
كاسف البال حين يُذكر لوط
بل له عند ذكره تشبيط^(٤)
[الخفيف]

فقال له سلم: مالك ويحك جننت؟ أي شيء دعاك إلى هذا كله؟ فقال أبو محمد: بدأت فانتصرت والبادي أظلم.

سلم الخاسر يجني على نفسه:

قال أبو عبد الله محمد بن العباس اليزيدي: حدثني عبيد الله عمي أبو القاسم. عن أبي عليّ إسماعيل، قال: قال لي أبي: قال لي سلم الخاسر يوماً: يا أبا محمد: قل أبياتاً على قول امرئ القيس:

رب رام من بنني ثعل

(١) الأزمل من الأصوات: المختلط.

(٢) الوداق: إرادة الفحل.

(٣) الأطيّط: الصوت مع رقة وتحرك من قبل الإبل.

(٤) التشبيط: التريث والتعوق.

ولا أبا لي أن تهجوني فيها، فقلت:

رُبَّ مَغْمُومٍ بِعَافِيَةٍ مَوْرَدٍ أَمْرًا يَسْرُبُهُ
وَأَمْرِي طَالَتْ سَلَامَتُهُ بِسَهَامٍ غَيْرِ مُشْوِيَةٍ^(٣)
وَكَذَاكَ الدَّهْرُ مُخْتَلَفٌ يَخْلُطُ الْعُسْرَ بِمَيْسِرَةٍ
عَقَّ سَلَمٌ أُمَّهُ سَفْهًا كُلَّ يَوْمٍ خَلَفَهُ رَجُلٌ
يُولِجُ الْغُرْمُولَ^(٥) سَبَّتَهُ^(٦)

غَمَطَ النِّعْمَةَ^(١) عَنْ أَشْرِهِ^(٢)
فَرَأَى الْمَكْرُوهَ فِي صَدْرِهِ
فَرَمَاهُ الدَّهْرُ فِي غَيْرِهِ
نَقَضَتْ مِنْهُ عُرَى مِرْرِهِ^(٤)
بِالْفَتَى حَالِيْنَ فِي عُصْرِهِ
وَيَسَارُ الْمَرْءِ فِي عُسْرِهِ
وَأَبَا سَلَمٍ عَلَى كِبَرِهِ
رَامِحٌ يَسْعَى عَلَى أَثَرِهِ
كَوْلُوجِ الضَّبِّ فِي جُحْرِهِ^(٧)

[المديد]

فانصرف سَلَمٌ وهو يشتمه ويقول: ما يحل لأحد أن يكلمك.

هجاؤه أبا حنش الشاعر:

قال: وقال لي يوماً أبو حنش الشاعر: يا أبا محمد، قل أبياتاً قافيتها على هاءين، فقلت له: على أن أهجوَّك فيها، فقال: نعم، فقلت:

قَلْتُ، وَنَفْسِي جَمٌّ تَأْوُهُهَا: سَقِيًّا لِصَنْعَاءَ لَا أَرَى بِلَدًا
أَوْطَنَهُ الْمَوْطِنُونَ يُشَبِّهُهَا خَصْبًا وَحُسْنًا وَلَا كِبَهَجَتَهَا
أَغْذَى بِلَادٍ غِذَاً وَأَنْزَهُهَا يَعْرِفُ صَنْعَاءَ مِنْ أَقَامَ بِهَا
أَرْغَدُ أَرْضَ عَيْشًا وَأَرْفَهُهَا مَا أَنْسَ لَا أَنْسَ مَا فُجِعَتْ بِهِ
يَوْمَ ثَنَى إِبْلَنَا مَجْهَجُهَا^(٨) أَبْلَغَ حُضِيرًا عَنِّي أبا حَنْشٍ

(١) غمط النعمة: كفرها وأنكرها. (٢) الأشر: التكبر والبطر.

(٣) سهام غير مشوية: تصيب أهدافها ولا تخطئها.

(٤) الممر، الواحدة مرّة: الحبال المفتولة بشدة وقوة.

(٥) الغرمول: ذكر الرجل.

(٦) سبّته: دبره.

(٧) جحر الضبّ: بيته.

(٨) مجهجهها: الصائح بها ليكنفها ويردعها.

تأتيه مثل السهام عامدة عليه مشهورة أدهدها
كنيته طرح نون كنيته إذا تهجيتها ستفقهها
[المنسرح]

يُريد إسقاط النون من أبي حنش حتى يكون أبا حنش .

علم وأدب :

قال أبو عبد الله : وحدثني عمي ، قال : حدثني الطلحي - وكان له علم وأدب - قال :

اجتمعت مع أبي محمد عند يونس بن الربيع ، وكان قد دعانا فأقمنا عنده ، فاتفق مجلسي إلى جنب مجلس أبي محمد ، فقام يونس لحاجته ، وكان جميلاً وسيماً جسيماً فالتفت إليّ أبو محمد ، فقال :

وفتئ كالقناة في الطرف منه - إن تأملت طرفه - استرخاء
فإذا الرامح المشيخ تلاه وضع الرمح منه حيث يشاء
[الخفيف]

قال : وحدثني عمي ، عن عمه إسماعيل ، عن أبي محمد ، قال :

كان قُتيبة الخراساني صاحب عيسى بن عمر يأتيني فيسألني عن مسائل كالمتعنت ، فإذا أجبته عنها انصرف منكسراً ، وكان أفطس ، فقلت له يوماً :

أُخبري أنت يا قُتيبة عن أنفك أم أنت كاتم خبره؟!
بأي جُرم وأي ذنب ترى سوت بخديك أنفك البقرة
فصيرته كفيشة^(١) نبتت في وجه قرد مفضوضة^(٢) الكمرة^(٣)
قد كان في ذاك شاغل لك عن تفتيش باب العرفان والنكرة
[المنسرح]

وقلت فيه أيضاً :

إذا عافى عليك الناس عبداً فلا عافاك ربك يا قُتيبة
طلبت النحو مذ أن كنت طفلاً إلى أن جللتك - قبحت شيبه

(١) الفيشة : ذكر الرجل .

(٢) مفضوضة : كثيرة اللحم .

(٣) الكمرة : رأس ذكر الرجل .

فَمَا تَزْدَادُ إِلَّا النِّقْصَ فِيهِ وَأَنْتَ لَدَى الْإِيَابِ بِشَرٍّ أَوْبَهُ
وَكُنْتَ كَغَائِبٍ قَدْ غَابَ حِيناً فَطَالَ مُقَامُهُ وَأَتَى بِخَيْبِهِ
[الوافر]

أبو محمد يسخر من قُتَيْبَةَ:

قال أبو محمد: وكان عيسى بن عمر أعلم الناس بالغريب، فأتاني قُتَيْبَةُ
الخراساني هذا، فقال لي: أَفِدْنِي شَيْئاً مِّنَ الْغَرِيبِ أَغَانِي بِهِ عَيْسَى بْنُ عَمْرِ، فَقُلْتُ لَهُ:
أَجُودُ الْمَسَاوِيكَ عِنْدَ الْعَرَبِ الْأَرَاكُ، وَأَجُودُ الْأَرَاكُ عِنْدَهُمْ مِّثْمَثُراً^(١) عُجَارِماً^(٢) جِيداً،
وقد قال الشاعر في ذلك:

إِذَا اسْتَكْتَ يَوْماً بِالْأَرَاكِ فَلَا يَكُنْ سَوَاكِكَ إِلَّا الْمِثْمَثُراً الْعُجَارِماً
[الطويل]

يعني الأير، قال: فكتب قُتَيْبَةُ مَا قُلْتُ لَهُ، وَكُتِبَ الْبَيْتُ، ثُمَّ أَتَى عَيْسَى بْنُ عَمْرِ
فِي مَجْلِسِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا عَمْرٍ، مَا أَجُودَ الْمَسَاوِيكَ عِنْدَ الْعَرَبِ؟ فَقَالَ: الْأَرَاكُ -
يَرْحَمُكَ اللَّهُ - فَقَالَ لَهُ قُتَيْبَةُ: أَفَلَا أَهْدِي أَلَيْكَ مِنْهُ مِثْمَثُراً عُجَارِماً؟ فَقَالَ: أَهْدِهِ إِلَى
نَفْسِكَ، وَغَضِبَ، وَضَحَكَ كُلُّ مَنْ كَانَ فِي مَجْلِسِهِ وَبَقِيَ قُتَيْبَةُ مَتَحِيراً، فَعَلِمَ عَيْسَى أَنَّهُ
قَدْ وَقَعَ عَلَيْهِ بَلَاءٌ، فَقَالَ لَهُ: وَيْلَكَ، مَنْ فَضَحَكَ وَسَخِرَ مِنْكَ بِهَذِهِ الْمَسْأَلَةِ؟ وَمَنْ
أَهْلَكَكَ وَدَسَّ عَلَيْكَ؟ قَالَ: أَبُو مُحَمَّدٍ الْيَزِيدِيُّ، فَضَحَكَ عَيْسَى حَتَّى فَحَصَ^(٣) بَرَجْلِيهِ
وَقَالَ: هَذِهِ وَاللَّهِ مِنْ مُزَاحَاتِهِ وَبَلَايَاهُ، أَرَاهُ عَنْكَ مَنَحَرَفاً، فَقَدْ فَضَحَكَ، فَقَالَ قُتَيْبَةُ: لَا
أَعَاوِدُ وَاللَّهِ مَسْأَلَتَهُ عَنْ شَيْءٍ.

صداقته للخليل بن أحمد:

حدثني عمِّي قال: حدثني عبيد الله بن محمد اليزيدي، قال: حدثني أخي أبو
جعفر، قال:

سَمِعْتُ جَدِّي أَبَا مُحَمَّدٍ يَقُولُ: صِرْتُ يَوْماً إِلَى الْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ، وَالْمَجْلِسُ
غَاصَ بِأَهْلِهِ، فَقَالَ لِي: هَاهُنَا عِنْدِي، فَقُلْتُ: أَضِيقُ عَلَيْكَ، فَقَالَ: إِنَّ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا
تَضِيقُ عَنْ مَتَبَاغِضِينَ، وَإِنْ شَبِراً فِي شَبْرٍ لَا يَضِيقُ عَنْ مَتَحَابِّينَ، قَالَ: وَكَانَ الْخَلِيلُ
صَدِيقاً لِأَبِي مُحَمَّدٍ صَافِي الْوُدِّ.

(١) مِثْمَثُراً: غليظاً مستقيماً.

(٢) العجارم: الشديد.

(٣) فحَصَ بَرَجْلِيهِ: ضرب بهما الأرض لشدة ضحكهما.

يجمع بين ابن المقفع والخليل بن أحمد:

حدثنا اليزيدي، قال: حدثني عمي عبيد الله قال: حدثني أخي أحمد، قال: سمعت جدي أبا محمد يقول: كنت ألقى الخليل بن أحمد، فيقول لي: أحب أن تجمع بيني وبين عبد الله بن المقفع، وألقى ابن المقفع فيقول: أحب أن تجمع بيني وبين الخليل بن أحمد، فجمعت بينهما، فمررنا أحسن مجلس وأكثره علماً، ثم افترقنا، فلقيت الخليل فقلت له: يا أبا عبد الرحمن، كيف رأيت صاحبك؟ قال: ما شئت من علم وأدب إلا أنني رأيت كلامه أكثر من علمه وعقله، ثم لقيت ابن المقفع فقلت له: كيف رأيت صاحبك؟ فقال: ما شئت من علم وأدب إلا أن عقله وعلمه أكثر من كلامه.

بين الكسائي وأبي محمد:

حدثنا اليزيدي، قال: حدثني عمي عبيد الله، قال: حدثني أخي أحمد بن محمد، قال: حدثني أبي محمد بن أبي محمد، قال:

قال لي أبو محمد: كنا مع المهدي ببلد في شهر رمضان، قبل أن يستخلف بأربعة أشهر، وكان الكسائي معنا، فذكر المهدي العربية وعنده شيبه بن الوليد العبيسي عم ذفافة، فقال المهدي: نبعث إلى اليزيدي وإلى الكسائي، وأنا يومئذ مع يزيد بن منصور خال المهدي، والكسائي مع الحسن الحاجب، قال: فجاءنا الرسول، فجئت أنا، فإذا الكسائي على الباب قد سبقني، فقال: يا أبا محمد، أعوذ بالله من شرك، فقلت: والله لا تؤتي من قبلي حتى أوتي من قبلك، فلما دخلنا عليه أقبل عليّ، وقال: كيف نسبوا إلى البحرين فقالوا: بحراني، ونسبوا إلى الحصين فقالوا: حصيني، ولم يقولوا حصناني، كما قالوا: بحراني؟ فقلت: أصلح الله الأمير، لو أنهم نسبوا إلى البحرين فقالوا: بحري لم يعرف إلى البحرين نسبوه أو إلى البحر، فلما جاؤوا إلى الحصين لم يكن موضع آخر يقال له الحصن ينسب إليه غيرهما، فقالوا حصني، قال: أبو محمد: فسمعت الكسائي يقول لعمر بن بزيع، وكان حاضراً: لو سألتني الأمير لأخبرته فيها بعلّة هي أحسن من هذه، قال أبو محمد: فقلت: أصلح الله الأمير إن هذا يزعم أنك لو سألته لأجاب بأحسن مما أجبت به، قال: فقد سألته، فقال الكسائي إنهم لما نسبوا إلى الحصين كانت فيه نونان، فقالوا: حصني، اجتزاء بإحدى النونين عن الأخرى، ولم يكن في البحرين إلا نون واحدة، فقالوا: بحراني، فقلت: أصلح الله الأمير، فكيف تنسب رجلاً من بني جنان؟ فإنه يلزمه على قياسه أن

يقولوا: جَنِّي، لأنَّ في جَنانِ نونين، فإنَّ قال ذلك فقد سوى بينه وبين المنسوب إلى الجنِّ.

المهديّ يطلب منهما أن يتناظرا في غير هذا:

قال: فقال لي المهديّ وله: تناظرا في غير هذا حتى نسمع، فتناظرنا في مسائلَ حُفَظَ فيها قولِي وقوله إلى أن قلت له: كيف تقول: إن من خير القوم أو خيرهم نيّة زيد؟ قال: فأطال الفكر لا يُجيب بشيء، فقلت: أعز الله الأمير والله لأنَّ يُجيب فيخطئ فيتعلم أحسن من هذه الإطالة، فقال: إن من خير القوم أو خيرهم نيّة زيداً، قال: فقلت: أصلح الله الأمير ما رضي أن يلحن حتى لحن، وأحال^(١)، قال: وكيف ذاك؟ قلت: لرفعه قبل أن يأتيَ باسم إن، ونصبه بعد رفعه، فقال شيبّة بن الوليد: أراد بأوْبَلِ فرّغ، هذا معنى، فقال الكِسائيّ: ما أردت غير ذلك، فقلت: فقد أخطأ جميعاً أيّها الأمير، لو أراد بأوْبَلِ لرفع زيدا لأنه لا يكون بل خيرهم زيدا، فقال له المهديّ: يا كِسائيّ، لقد دخلت عليّ مع سلمة النحويّ وغيره فما رأيتُ كما أصابك اليوم.

أعرابيّ يقضي بين عالمين:

قال: ثم قال: هذانِ عالمانِ، ولا يقضي بينهما إلا أعرابيّ فصيحٌ تلقى عليه المسائل التي اختلفا فيها فيُجيب، قال: فبعث إلى فصيح من فصحاء الأعراب، قال أبو محمد: فأطرقت إلى أن يأتيَ الأعرابيّ، وكان المهديّ مُحِبّاً لأخواله، ومنصورٌ بنُ يزيد بن منصور حاضر، فقلت: أصلح الله الأمير، فكيف يُنشد هذا البيت الذي جاء في هذه الأبيات:

يَأْيُهَا السَّائِلُ لِأَخْبِرْهُ
عَمَّنْ بَصْنَعَاءَ مِنْ ذَوِي الْحَسَبِ
حَمِيرُ سَادَاتِهَا، تُقَرُّلُهَا
بِالْفَضْلِ طُرّاً جَحَاجِحُ^(٢) الْعَرَبِ
فَإِنْ مِنْ خَيْرِهِمْ وَأَكْرَمِهِمْ
أَوْ خَيْرِهِمْ نِيَّةً أَبُو كَرْبِ

[المنسرح]

قال: فقال لي المهديّ، فكيف تُنشدُه أنت؟ فقلت: أو خيرهم نيّة أبو كَرْبِ، على معنى إعادة إنَّ كأنه قال: أو إن خيرهم نيّة أبو كَرْبِ، فقال الكِسائيّ: هو والله قالها الساعة أيّها الأمير، قال: فتبسم المهديّ وقال: إنك لتشهد له وما تدري، قال: ثم طلع الأعرابيّ الذي بُعث إليه فألقيت عليه المسائل وكانت سِتَّ مسائل فأجاب فيها

(١) أحال: جاء بالمحال الذي يصعب على سواه.

(٢) الجحاجح، الواحد جحجج: السادة المسارعون إلى المكارم.

كلها بقولي، فاستفزني^(١) السرور حتى ضربت بقلنسياتي الأرض وقلت: أنا أبو محمد، فقال لي شيبه: أتتكتئ باسم الأمير؟ فقال المهدي: واللّه ما أراد بذلك مكروهاً، ولكنه فعل ما فعل للظفر، وقد لعمرى ظفّر، فقلت: إن الله عز وجل أنطقك أيّها الأمير بما أنت أهله، وأنطق غيرك بما هو أهله.

أبو محمد يهجو شيبه بن الوليد العبسي:

قال: فلما خرجنا قال لي شيبه: أتخطئني بين يدي الأمير؟ أما لتعلمنّ، فقلت: قد سمعتُ ما قلت وأرجو أن تجد غبّها، ثم لم أصبح حتى كتبت رقاعاً عدة، فلم أدع ديواناً إلا دسست إليه رُقعة فيها أبيات قلتها فيه، فأصبح الناس يتناشدونها وهي:

عِشْ بِجَدٍّ^(٢) وَلَا يَضُرُّكَ نَوُكٌ^(٣) إِنَّمَا عِيشَ مَنْ تَرَى بِالْجُدُودِ
عِشْ بِجَدٍّ وَكُنْ هَنْبَقَةَ الْقِي سَيِّ نَوُكاً أَوْ شَيْبَةً بَنَ الْوَلِيدِ
شَيْبُ يَا شَيْبُ يَا جُدَيْ بَنِي الْقَع قَاعَ مَا أَنْتَ بِالْحَلِيمِ الرَّشِيدِ
لَا وَلَا فِيكَ خَلَّةٌ مِنْ خِلَالِ الْ خَيْرَ أَحْرَزْتَهَا لِحَزْمٍ وَجُودِ
غَيْرَ مَا أَنْكَ الْمُجِيدُ لَتَقْطِيعِ عَ غَنَاءٍ وَضَرْبِ دُفٍّ وَعُودِ
فَعَلَى ذَا وَذَاكَ يَحْتَمِلُ الدَّهْ رُ مُجِيداً لَهُ وَغَيْرَ مُجِيدِ
[الخفيف]

أبو محمد يهجو خلفاً الأحمر:

قال: وقال أبو محمد اليزيدي يهجو خلفاً الأحمر أستاذ الكسائي، أنشدنيهما عمي الفضل:

زَعَمَ الْأَحْمَرُ الْمَقِيْتُ عَلِيٌّ وَالَّذِي أُمُّهُ تُقَرَّرُ بِمَقْتِهِ^(٤)
أَنَّهُ عَلَّمَ الْكِسَائِيَّ نَحْواً فَلَيْنَ كَانَ ذَا كَذَاكَ فَبَاسَتِهِ
[الخفيف]

عاصم الغساني: لا يقضي حاجة لأبي محمد:

وبهذا الإسناد عن أبي محمد قال: أمر لي الرشيد بمال، وحضر شخوصه إلى السن^(٥)، فأتيت عاصماً الغساني، وكان أثيراً عند يحيى بن خالد، فقلت له: إن أمير

(١) استفزني: أثارني، جعلني متحمساً.

(٢) الجد، بفتح الجيم: الحظ.

(٣) النوك: الحمق، الغباء.

(٤) المقت: البغض، الكره.

(٥) السن: مدينة على دجلة، فوق تكريت.

المؤمنين قد أمر لي بـمال، وقد حضر من شخصه ما قد علمت، فأحب أن تذكر أبا عليّ يحيى بن خالد أمره ليتعجله لي، فقال لي: نعم، ثم عدت إليه بعد ذلك بيومين، فقال لي - يتفخّم في لفظه -: ما أصبت لحاجتك موضعاً، قال: قلت: فاجعلها - أكرمك الله - منك ببال، فلما خرجت لحقني بعض من كان في المجلس، فقال لي: يا أبا محمد إني لأربأ بك أن تأتي هذا الكلب أو تسأله حاجة، قلت: وكيف؟ قال: سمعته يقول لما ولت: لو أن بيدي دجلة والفرات ما سقيت هذا منهما شربة، فقليل له: ولم ذاك أصلحك الله؛ فإن له قدراً وعِلماً؟ قال: لأنه رجل من مضر وما رأيت مضريراً قط يحبّ اليمانية، قال: فأحببت ألا أعجل، فعدت إليه من غد فقلت له: هل كان منك أكرمك الله في الحاجة شيء؟ فقال: والله لكأنك إنما تطلبنا بدين. فتحقق عندي ما بلغني عنه، فقلت له: لا قضى الله هذه الحاجة على يدك، ولا قضى لي حاجة أبداً إن سألتكها، والله لا سلّمت عليك مبتدئاً أبداً، ولا رددت عليك السلام إن بدأتني به.

يحيى بن خالد يبعث إليه ليطلب مؤدّباً لابن الرشيد:

ونفضت ثوبي وخرجت، فإني لأسير وأفكر في الحيلة لحاجتي، إذا براكب يركض حتى لحقني، فقال: بعثني إليك أبو علي يحيى بن خالد لتقف حتى يلحقك، فرجعت مع رسوله إليه، فلقيته وكان قريباً، فسلمت عليه، ثم سايرته، فقال لي: أن أمير المؤمنين أمرني أن أمرك بطلب مؤدّب لابنه صالح، وإني أحدثك حديثاً حدثني به أبي خالد بن برمك: أن الحجاج بن يوسف أراد مؤدّباً لولده فقليل له: هاهنا رجل نصرانيّ عالم، وهاهنا مسلم ليس علمه كعلم النصرانيّ، فقال: ادعوا لي المسلم، فلما أتاه قال له: ألا ترى يا هذا أنا قد دلّلنا على نصرانيّ قد ذكروا أنه أعلم منك، غير أنني كرهت أن أضم إلى ولدي من لا يُنبّههم للصلاة عند وقتها، ولا يدلّهم على شرائع الإسلام ومعالِمه، وأنت إن كان لك عقل قادر على أن تتعلم في اليوم ما تعلمه أولادي في جمعة، وفي الجمعة ما تعلمهم في الشهر، وفي الشهر ما تعلمهم في سنة. ثم ضم إليهم المسلم، ثم قال لي يحيى: فينبغي يا أبا محمد أن تؤثر الدين على ما سواه، فقلت له: قد أصبت من أرضاه، وذكرت له الحسن بن المسور، فضمه إليه، ثم سألتني: من أين أقبلت؟ فأخبرته خبر عاصم وما كان منه، وقلت له: قد حضر هذا المسير، ولست أدري من أيّ وجه أتقاضاه، فضحك وقال لي: ولم لا تدري؟ الق صديقك جعفر - يعني ابنه - حتى يكلم لك أمير المؤمنين أو يذكرني حاجتك، فقد تركته الساعة على المضى إليه.

جعفر يقضي له حاجته :

فانشئت إلى جعفر، وقلت فيه في طريقي :

ياسائلي عما أخبره عن جعفر كرماً وعن شيمه
إن ابن يحيى جعفرأرجل سيط^(١) السماح^(٢) بلحمه ودمه
فعليه «لا» أيضاً محرمة وكلامه وقف على نعمة
وترى مسابقه ليدركه بمكان حذو النعل من قدمه

[الكامل]

فلما دخلت إليه أخبرته الخبر، وأنشدته الأبيات، وأعلمته ما أمرني به أبوه، فقال لي: قل بيتين تذكره فيهما إلى أن أجدد طهرًا، واكتبهما حتى يكونا معي فأذكر بهما حاجتك، فقلت: نعم يا سيدي وأخذت الدواة وكتبت:

أحق من أنجز موعوده خليفة الله على خلقه
ومن له إرث نبي الهدى بالحق لا يذفع عن حقه
ينسب في الهدى إلى هديه برًا وفي الصدق إلى صدقه
ومن له الطاعة مفروضة لائحة بالوحي في رقه
والراتق الفتق العظيم الذي لا يقدر الناس على رتقه

[السريع]

قال: فأخذ الشعر ومضى، فكلم الرشيد في حاجتي، وأقرأه إياه، فصك^(٣) إليّ بالمال عليه، وقبضته بعد ذلك بيوم، وأنشأت أقول في الغساني:

ألا طرقت أسماء أم أنت حالم فأهلاً بطيف زار والليل عاتم؟!
إذا قيل: أي الناس أعظم جفوة^(٤) والأم، قيل: الجرمقاني عاصم
دعي أجاءته إلى اللؤم دعوة ومغرس سوء لؤمه متقادم
شهيدي على أن ليس حراً صليبة^(٥) صحيفة وجه ابن استها واللهازم^(٦)
صحيفة دقاق أبوه شبيهه وجداه سمك لئيم وحاجم

(١) سيط: مزج، اختلط.

(٢) السماح: الكرم، الجود.

(٣) صك المال: كتب صكاً بالمال.

(٤) الجفوة: سوء الخلق، والبعد عن الناس.

(٥) حراً صليبة: خالص النسب، والأصل الرفيع.

(٦) اللهازم، الواحدة لهزمة: عظم ناتئ في اللحية، تحت الأذن، وهما لهمزان.

أَعَاصِمُ خَلَّ الْمَكْرَمَاتِ لِأَهْلِهَا وَأَغْضِ عَلَى لَوْمٍ وَوَجْهُكَ سَالِمُ
وَكَيْفَ تَنَالِ الدَّهْرَ مَجْدِداً وَسُودِداً وَفِي كُلِّ يَوْمٍ كَوَكْبٌ لَكَ نَاجِمُ
وَأَصْلُكَ مَدْخُولٌ وَفَسْقُكَ ظَاهِرٌ وَعُجْبُكَ مَهْمُوزٌ وَعَرْدُكَ^(١) عَارِمُ^(٢)
تُصَانَعُ غَسَّاناً لَتُلْحَقَ فِيهِمْ وَرَبِّ دَعْيٍ أَلْحَقْتَهُ الدَّرَاهِمُ
فَإِنْ رَابَ رَيْبٌ أَوْ أَصَابَتْكَ شِدَّةٌ رَجَعْتَ إِلَى شِلْثِي وَأَنْفُكَ رَاغِمُ
[الطويل]

قال: وكان شلثي اسم أبيه، فصيره صلتاً.

إِذَا عَاصِماً يَوْمَاً أَتَيْتَ لِحَاجَةٍ فَلَا تَلْقُهُ إِلَّا وَأَيْرُكُ قَائِمُ
وَعَرِّضْ لَهُ مِنْ قَبْلِ ذَاكَ بِأَمْرٍ وَضِيءٍ وَسِيمٍ أَثْقَلْتَهُ الْمَآكِمُ^(٣)
وَالَا فَلَا تَسْأَلْهُ مَا عِشْتَ حَاجَةً وَلَا تَبْكِهِ إِنْ أَعُولَتْهُ الْمَآتِمُ
[الطويل]

قال: فلما حَدَثَ ببني برمك ما حَدَثَ قُبِضَتْ ضِيعَتُهُ فِي الْمَقْبُوضِ مِنْ ضِيَاعِ
أَسْبَابِهِمْ، فَصَارَ إِلَيَّ وَكَلَمَنِي فِي أَمْرِهَا، وَسَأَلَنِي الْكَلَامَ مَعَ الْجَوْهَرِيِّ فِي ذَلِكَ، فَقَمْتُ
لَهُ بِه حَتَّى رُدَّتِ الضَّيْعَةُ عَلَيْهِ، فَجَاءَنِي يَشْكُرُنِي وَيَعْتَذِرُ مِمَّا جَرَى مِنْ فَعْلِهِ الْمَتَقَدِّمِ،
فَقُلْتُ لَهُ: تَنَاسَ مَا مَضَى، فَلَسْتُ مِمَّنْ يَكْفِي عَلَى سُوءِ أَحَدًا.

أَبُو مُحَمَّدٍ يَسْخَرُ مِنْ أَبِي عُبَيْدَةَ:

قال أبو محمد: كان أبو عُبَيْدَةَ يَجْلِسُ فِي مَسْجِدِ الْبَصْرَةِ إِلَى سَارِيَةٍ، وَكُنْتُ أَنَا
وُخَلْفُ الْأَحْمَرِ نَجْلِسُ جَمِيعاً إِلَى أُخْرَى، وَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ مِنْ أَعْضِهِ^(٤) النَّاسُ لِلنَّاسِ،
وَأَذْكُرُهُمْ لِمِثَالِهِمْ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: أَلَا تَرَوْنَ الْأَحْمَرَ وَالْيَزِيدِيَّ إِنَّمَا يَجْتَمِعَانِ عَلَى
الْوَقِيعَةِ فِي النَّاسِ وَذَكَرَ مَسَاوِيهِمْ؟ وَبَلَّغَنِي ذَلِكَ وَأَنَّهُ قَدْ رَمَانَا بِمَذْهَبِهِ، فَقُلْتُ لَخَلْفٍ:
دَعِهِ فَإِنَّا أَكْفِيكَهُ، فَلَمَّا كَانَ مَعَ الْأَذَانِ جِئْتُ أَنَا وَخَلْفٌ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَكَتَبْتُ عَلَى
الْجِصِّ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي كَانَ يَجْلِسُ فِيهِ أَبُو عُبَيْدَةَ:

صَلَّى الْإِلَهَ عَلَى لَوْطٍ وَشِيعَتِهِ أَبَا عُبَيْدَةَ قُلْ بِاللَّهِ آمِينَ
[البسيط]

قال: وَأَصْبَحَ النَّاسُ، وَجَاءَ أَبُو عُبَيْدَةَ فَجَلَسَ، وَهُوَ لَا يَعْلَمُ مَا فَوْقَ رَأْسِهِ

(١) عردك: ذكرك.

(٢) عارم: عظيم لكثرة ما عليه من لحم.

(٣) المآكم: قصد الشاعر بذلك أرداف مَهْجُوه.

(٤) أعضه للناس: أكثرهم لمساويئ الناس لكذبه.

مكتوب، وأقبل الناس ينظرون إلى البيت ويضحكون، فرفع أبو عبيدة رأسه، ونظر إليه فخبجل، ولم يزل منكساً رأسه حتى انصرف الناس، وأنا وخلف الأحمر ناحية ننظر إلى ما به، ثم قمنا حتى وقفنا عليه فقلنا له: ما قال صاحب هذا البيت إلا حقاً، نعم، فصلى الله على لوط، فأقبل عليّ، وقال: قد علمت من أين أتيت، ولن أعود التعرض لتلك الجهة، ولم يعد لذكرنا بعد ذلك.

يزيد بن منصور يجفوه ثم يصله:

وقال أبو محمد: اعتللت علة من حمى ربع^(١) طالت عليّ أشهراً، فجفاني يزيد بن منصور ولم يزرني في عِلَّتِي ولم يتفقدي كما ينبغي، فكتبت رقعة إليه ضممتها هذه الأبيات:

قل للأمير الذي يرجو نوافله من جاءه طالباً للخير مُنتاباً^(٢)
إني صحبتك دهرأ كل ذاك أرى من دون خيرك أبواباً وحجاباً
وكم ضريك^(٣) أجاءته شقاوته^(٤) إليك إذ أنشبت ضراؤها ناباً
فما فتحت له باباً لميسرة ولا سددت له من فاقة باباً
كغائبٍ شاهدٍ يخفى عليك كما من غاب عنك فوافي حظّه غاباً

[البسيط]

فلما قرأها قال: جفونا أبا محمد وأحوجناه إلى استبطائنا، والله المستعان، وبعث إليّ بصلة.

خلف الأحمر يعبث بأبي محمد:

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي أبو دلف، قال: حدثني محمد بن عبد الرحمن بن الفهم - وكان من أصحاب الأصمعي - قال: حدثني الأصمعي قال: كان خلف الأحمر يعبث بأبي محمد اليزيدي عبثاً شديداً، وربما جدّ فيه وأخرجه مخرج المزح، فقال فيه ينسبه إلى اللواط.

إني ومَن وَسَج^(٥) المطيُّ له حُذِبَ^(٦) الذُّرَى أَذْقَانُهَا رُجْفُ

(١) حمى الربع، هي التي تأتيه يوماً ما وتتركه يومين ثم تكون في رابع يوم.

(٢) منتاباً: قاصداً ومترددّاً. (٣) الضريك من الفقراء: الشديد الفقر.

(٤) الشقوة: ضيق الحال في المعاش. (٥) وسجت الإبل: أسرعت العدو.

(٦) حُذِبَ الذُّرَى؛ بضم الحاء وسكون الدال، والواحد أحذب: وهو من خرج ظهره ودخل صدره وبطنه، والذُّرَى: مفردا ذروة، وهي أعلى كل شيء، وهي هنا كناية عن سنام الجمل.

يَطْرَحْنَ بِالْبَيْدِ السَّخَالَ إِذَا
وإذا قَطَعْنَ مَسَافَ مَهْمَةٍ^(٢)
والمُحَرِّمِينَ لَصَوْتِهِمْ زَجَلٌ
وافتَ بِهِمْ خُوصٌ^(٥) مُحَزَّمةٌ^(٦)
مِنِّي إِلَيْهِ غَيْرَ ذِي كَذِبٍ
فِي غَابِرِ النَّاسِ الَّذِينَ بَقُوا
أَحَدًا كِيَحْيَى فِي الطَّعَانِ إِذَا اف
فِي مَعْرِكٍ تَلْقَى الْكَمِيَّ بِهِ
وإذا أَكَبَّ الْقِرْنَ يَتْبَعُهُ
لِلَّهِ دُرُّكَ أَيُّ ذِي نُزُلٍ
لَا تُخْطِئُ الْوَجْعَاءُ آلَتُهُ
وَلَهُ جِيَادٌ لَا يَفْرُطُهَا الْإِجْلَالُ وَالْمِضْمَارُ وَالْعَلْفُ
جُرْدٌ يَهَانُ لَهَا السَّوِيْقُ^(١٠) وَأَلْبَانُ اللَّقَاحِ كَأَنَّهُا نُزْفُ
دُرًّا تَطَابَقَ فَوْقَهُ الصَّدْفُ
وَالْمَرْءُ مِنْهُ اللَّيْنُ^(١١) وَاللُّطْفُ^(١٢)
نَهْدُ أُسَيْلٍ^(١٣) الْخَدُّ مُشْتَرِفٌ^(١٤)
عَبَلُ^(١٦) الشَّوَى^(١٧) فِي مَشْيِهِ قَطْفٌ^(١٨)

- (١) ازدهوا: استعجلوا.
(٢) المهمة: المفازة لا أنيس فيها ولا ماء.
(٣) قذف: تتقاذف بمن يسلكها.
(٤) شرف، بالفتح: موضع.
(٥) الخوص من النياق: الضامرة لكثرة ترحالها.
(٦) محزّمة: مشدودة الوسط.
(٧) الشّسف: الشديدة الهزال.
(٨) الحجف: التروس من جلود بلا خشب ولا عقب.
(٩) الصلا: وسط الظهر.
(١٠) السويق: الناعم من دقيق الحنطة والشعير.
(١١) اللين: الرقة.
(١٢) اللطف: حسن المعاملة.
(١٣) أسيل: ناعم باستطالة.
(١٤) المشترف من الجياد: المشرف الخلق.
(١٥) العرضنة، بكسر العين: الحيوية والنشاط في المشي.
(١٦) عبل: سمين.
(١٧) الشوى: الأطراف، وهي اليدان والرجلان.
(١٨) القطف: ضيق المشي.

رَبَذٌ^(١) إِذَا عَرَقْتَ مَغَابِنَهُ^(٢)
فَأَعَدَّ ذَاكَ لِسِرْجِهِ وَلَهُ
فِي حَقْوِهِ^(٣) عَرْدٌ^(٤) تَقَدَّمَهُ
جُرْدَاءٌ تُشْحَذُ بِالْبُزَاقِ إِذَا
مُوفَى عَلَى قَيْدِ الذَّرَاعِ^(٦) شَدِيدِ
خَاظٍ^(٨) مِمَرٍّ^(٩) مَتْنُهُ^(١٠) ضَرْمٌ^(١١)
عَرْدٌ^(١٤) الْمَجَسَّ بِمَتْنِهِ عَجْرٌ^(١٥)
وَلَوْ أَنَّ فَيَّاضاً تَأَمَّلَهُ
وَإِذَا يُمَسِّحُهُ لِعَادَتِهِ
وَإِذَا رَأَى نَفَقاً رَبَّاً وَنَزَا
لَا نَاشِئاً يُبْقِي وَلَا رَجُلًا
يَا لَيْتَنِي أَدْرِي أَمُنَجِيَّتِي
مَنْ أَنْ تَعَلَّقَنِي حَبَائِلُهُ
وَلَقَدْ أَقُولُ: حَذَارِ سَطَوَتِهِ
وَلَوْ أَنَّ بَيْتَكَ فِي ذُرَى عِلْمٍ

(١) ربذ: خفيف القوائم في مشيه.

(٢) المغابن، الواحد مغبن: كل مطوي من الجسد، الإبط، الرِّفْع.

(٣) الحقو: الخصر. (٤) العرد: الصلب الشديد.

(٥) القنف: صغر الأذنين وغلظهما ولصوقهما بالرأس.

(٦) قيد الذراع: مقداره. (٧) الجلز: الإِتْسَاع.

(٨) الخاظ: المكتنز اللحم. (٩) الممر: الشديد الفتل.

(١٠) متنه: ظهره. (١١) الضرم: الملتهب.

(١٢) الخور: الضعف. (١٣) القصف: النحول.

(١٤) العرد: الصلب الشديد. (١٥) العجر: الغلظ والسمنة.

(١٦) الجنف: الميل. (١٧) المدعس: الرمح يُطعن به.

(١٨) الثقف: هنا بمعنى المثقف أي الرمح المقوم.

(١٩) الوجناء: من النياق التي ارتفع حدادها. (٢٠) الشدف: التواء رأس البعير.

(٢١) اللجف: الحفرة.

(٢٢) الشعف: قمم الجبال.

ذَهَبَ السَّكُونُ وَأَقْبَلَ الْعُنْفُ
فِي كُلِّ غَادِيَةٍ لَهَا عُرْفُ
صَلَعَاءُ فِي خُرْطُومِهَا قَنْفٌ^(٥)
دُعَيْتُ: نَزَالَ وَهَبَّ يَرْتَدِفُ
دَ الْجَلَزُ^(٧) فِي يَافُوخِهِ جَوْفُ
لَا خَانَهُ خَوَرٌ^(١٢) وَلَا قُصْفٌ^(١٣)
فِي جَذَرِهِ عَنْ فَخْذِهِ جَنْفٌ^(١٦)
نَادَى بِجَهْدِ الْوَيْلِ يَلْتَهِفُ
وَدَنَا الطَّعَانُ فَمُدْعَسٌ^(١٧) ثَقِفُ^(١٨)
حَتَّى يَكَادُ لِعَابِهِ يَكِفُ
فَبِذَا وَهَذَا قَلْبُهُ كِلْفُ
وَجَنَاءُ^(١٩) نَاجِيَةٌ بِهَا شَدَفُ^(٢٠)
أَوْ أَنَّ يَوَارِيَّ هَامَتِي لَجَفُ^(٢١)
إِيَّهَا إِلَيْكَ تَوَقَّ يَا خَلْفُ
مَنْ دُونَ قُلَّةِ رَأْسِهِ شَعْفُ^(٢٢)

زَلِقْ أَعَالِيَهُ وَأَسْفَلَهُ وَعُرُ التَّنَائِفُ^(١) بَيْنَهَا قَذْفُ^(٢)
لَخَشِيتَ عَرْدَكَ أَنْ يُبَيِّتَنِي إِنْ لَمْ يَكُنْ لِي عَنْهُ مُنْصَرَفُ
[الكامل]

قال الأصمعيّ: فحدثني شيخ من آل أبي سفيان بن العلاء، أخي أبي عمرو بن العلاء، قال: أنشدت قصيدة خلف الفائية هذه وأعرابي جالس عندي يسمع، فلما سمع قوله:

فَإِذَا أَكْبَّ الْقِرْنَ أَتْبَعَهُ طَعْنًا دَوَيْنَ صَلَاهُ يَنْخَسِفُ
[الكامل]

قال الأعرابي: وأبيك لقد أحب أن يضعه في حال مقبلٍ ضرطته.

أبو محمد يغضب من خلف:

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي، قال: حدثني ابن الفهم، قال: حدثني الأصمعيّ، قال: كنت مع خلف جالسا، فجرى كلام في شيء من اللغة، وتكلم فيه أبو محمد اليزيديّ وجعل يشعّب، فقال له خلف: دعني من هذا يا أبا محمد، وأخبرني من الذي يقول:

فَإِذَا انْتَشِيتَ فَإِنْنِي رَبُّ الْحُرَيْبَةِ وَالرُّمَيْحِ
وَإِذَا صَحَوْتُ فَإِنْنِي رَبُّ الدُّوَيَّةِ وَاللُّوَيْحِ
[مجزوء الكامل]

يعرض به أنه معلم، وأنه يلوط، فغضب اليزيديّ، وقام فانصرف.

أبو محمد يهجو مواليه بني عديّ:

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني أبو طلحة الخزاعي، قال: حدثني أبو سعيد عثمان بن يوسف الحنفيّ، قال: غاضب أبو محمد اليزيديّ مواليه بني عديّ رهط ذي الرمة من بني تميم لأمر استنهضهم^(٣) فيه ففعدوا عنه، فقال يهجوهم: وكان هجاء منكرًا.

يَا أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْ قَوْمِنَا لِمَا رَأَى بَزَّةَ أَخْيَارِهِمْ

(١) التنايف، الواحدة تنيفة: المفازات لا أنيس فيها ولا ماء.

(٢) القذف: الفلوات.

(٣) استنهضهم: أثار فيهم الحماس.

وَحُسْنَ سَمْتٍ مِنْهُمْ ظَاهِرًا
سَائِلُ بِهِمْ أَحْمَرَ أَوْ غَيْرَهُ
قَوْمٌ كَرَامٌ مَا عَدَا أَنَّهُمْ
أُسْدٌ عَلَى الْجِيرَانِ، أَعْدَاؤُهُمْ
لَوْ جَاءَهُمْ مَقْتَبَسًا جَارُهُمْ
وَقَدْ وَتَرْنَاهُمْ فَلَمْ نَخْشَ مَنْ
أَحْسَنَ قَوْمٌ لِمَوَالِيهِمْ
شَهَادَةُ الزُّورِ لَهُمْ عَادَةً
وَمَا لَهُمْ مَجْدٌ سِوَى مَسْجِدٍ
لَوْ هَدَمَ الْمَسْجِدَ لَمْ يُعْرِفُوا
إِعْلَانُهُمْ لَيْسَ كإِسْرَارِهِمْ
يُنْبِيكَ^(١) عَنْ قَوْمِي وَأَخْبَارِهِمْ
صَوْلَتُهُمْ مِنْهُمْ عَلَى جَارِهِمْ
أَمْنَةٌ تَخْطُرُ فِي دَارِهِمْ
مَا قَبَسُوهُ الدَّهْرَ مِنْ نَارِهِمْ
يَنْهَضُ فِي سِيرَةٍ أَوْ تَارِهِمْ
إِنْ أَيْسَرُوا يَوْمًا لِإَيْسَارِهِمْ
حَقًّا بِهَا قِيَمَةٌ أَخْيَارِهِمْ
بِهِ تَعْدُوا فَوْقَ أَطْوَارِهِمْ
يَوْمًا وَلَمْ يُسْمَعْ بِأَخْبَارِهِمْ
[السريع]

قال: والمسجد الذي عناه اليزيدي هو مسجد بني عدي، وكان زياد بناه لهم في عدة مساجد كان بناها بالبصرة، منها مسجد بني مجاشع وبني ضبيعة ومسجد الزط ومسجد عمير.

الرشيد يُعْطِيهِ خَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ لِقَصِيدَتِهِ فِي الْمَأْمُونِ:

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْيَزِيدِي، قَالَ: أَخْبَرَنِي عَمِّي عُبَيْدُ اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِّي إِسْمَاعِيلُ وَأَخِي أَحْمَدُ، قَالَا:

لَمَّا بَلَغَ الْمَأْمُونُ وَصَارَ فِي حَدِّ الرِّجَالِ أَمَرْنَا الرَّشِيدَ أَنْ نَعْمَلَ لَهُ خُطْبَةً يَقُومُ بِهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَعْمَلْنَا لَهُ خُطْبَتَهُ الْمَشْهُورَةَ، وَكَانَ جَهِيرُ الصَّوْتِ حَسَنَ اللَّهْجَةِ، فَلَمَّا خُطِبَ بِهَا رَقَّتْ قُلُوبُ النَّاسِ وَأَبْكَى مِنْ سَمْعِهِ، فَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْيَزِيدِي:

لَتَهْنِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كِرَامَةً
بِأَنَّ وَلِيَّ الْعَهْدِ مَأْمُونٌ هَاشِمٌ
فَلَمَّا رَمَاهُ النَّاسُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
رَمَاهُمْ بِقَوْلٍ أَنْصَتُوا عَجْبًا لَهُ
وَلَمَّا وَعَتْ أَذَانُهُمْ مَا أَتَى بِهِ
عَلَيْهِ بِهَا شُكْرُ الْإِلَهِ وَجُوبُ
بَدَا فَضْلُهُ إِذْ قَامَ، وَهُوَ خَطِيبُ
بِأَبْصَارِهِمْ وَالْعَوْدُ مِنْهُ صَالِبُ
وَفِي دُونِهِ لِلْسَامِعِينَ عَجِيبُ
أَنَابَتْ وَرَقَّتْ عِنْدَ ذَلِكَ قُلُوبُ

(١) يُنْبِيكَ: يطلعك.

أَغْرُبْ طَاحِي النُّجَارِ نَجِيبُ
جَرِيءُ جِنَانٍ لَا أَكْعُ^(١) هَيُوبُ^(٢)
إِذَا مَا اعْتَرَى قَلْبَ الْخَطِيبِ وَجِيبُ^(٣)
فَلَيْسَ لَهُ فِي الْعَالَمِينَ ضَرِيبُ^(٤)
يَحْدُثُ عَنْهُ نَازِحٌ وَقَرِيبُ
إِذَا وَرَدَتْ يَوْمًا عَلَيْهِ خُطُوبُ
فَأَغْصَانُهُ مِنْ طَيْبِهِ سَتَطِيبُ
تَقْدَمُ عَبْدُ اللَّهِ لَهُ فَهُوَ أَدِيبُ
عَلَيْهَا وَلَا التَّدْبِيرُ مِنْكَ يَغِيبُ
فَسِيرَتُهُ شَخْصٌ إِلَيْكَ حَبِيبُ
فَلَيْسَ لِحَيٍّ فِي الثَّرَاثِ نَصِيبُ
عَطَايَاكَ وَالرَّاجِيكَ لَيْسَ يَخِيبُ
نَوَالًا فَيَا هَا بِذَاكَ تُثِيبُ
لَنَا وَلِكُلِّ الْمُؤْمِنِينَ خَصِيبُ
لَهُ فِي الَّذِي حَازَتْ يَدَاهُ نَصِيبُ
[الطويل]

فلما وصلت هذه الأبيات إلى الرشيد أمر لأبي محمد بخمسين ألف درهم،
ولابنه محمد بن أبي محمد بمثلها.

فرحته بالعودة:

أخبرني عمي، قال: حدثنا الفضل بن محمد اليزيدي، قال: حدثني أخي أحمد
عن أبيه، قال:
استأذن أبو محمد أبي - رحمه الله - الرشيد، وهو بالرقّة في الحجّ، فأذن له،
فلما عاد أنشدنا لنفسه:

يا فرحتا إذ صرفنا أوجه الإبل إلى الأحبة بالإزعاج والعجل

(١) الأكع: الجبان الضعيف.

(٣) الوجيب: المرتجف لشدة خوفه.

(٥) جزامة: حزمًا وضرامة.

(٢) هيوب: خائف.

(٤) الضريب: الشبيه، المثل.

نَحْنُ هُنَّ وَلَا يَوْتَيْنِ مِنْ دَأْبٍ
 يَا نَائِيًّا قَرُبْتُ مِنْهُ وَسَاوِسُهُ
 إِنْ طَالَ عَهْدُكَ بِالْأَحْبَابِ مَغْتَرِبًا
 أَمَا اشْتَفَى الدَّهْرُ مِنْ حِرَّانٍ مُخْتَبِلٍ^(٣)
 عِشْ بِالرَّجَاءِ وَأَمْلِ قَرَبَ دَارِهِمْ
 تَهْوَى الْعِرَاقَ، وَمَا فِيهِ لَنَا شَجْنٌ
 وَتَسْتَرِيحُ إِلَى رِيحِ مَوْدِيَّةٍ
 إِذَا جَرَتْ لَمْ يَعْقُهَا إِنْ تَبَلَّغْنَا
 وَنَرْتَجِي دَوْلَةً لِلشَّمْلِ جَامِعَةً
 لَكِنْ لِلشُّوقِ حَتًّا لَيْسَ لِلْإِبْلِ
 أَمْسَى قَرِينَ الْهَوَى وَالشُّوقِ وَالْوَجَلِ^(١)
 فَإِنْ عَهْدُكَ بِالتَّسْهِيدِ^(٢) لَمْ يَطُلْ
 صَبَّ الْفُؤَادِ إِلَى حِرَّانٍ مُخْتَبِلٍ
 لَعَلَّ نَفْسَكَ أَنْ تَبْقَى مَعَ الْأَمْلِ
 إِلَّا التَّقَرُّبُ مِنْ كَثْبٍ وَمِنْ رُسُلِ
 رِيَّا الْأَحْبَةِ تَأْتِينَا عَلَى مَهْلٍ
 نَسِيْمَهُمْ عَرَضُ رَمْلٍ لَا وَلَا جَبَلٍ
 بِالرَّقَّتَيْنِ فَإِنَّ الدَّهْرَ ذُو دُؤْلٍ

أخبار من له شعر فيه صنعة من
 ولد أبي محمد اليزيدي وولد ولده

[البسيط]

(١) الوجَل: الخوف، الرعب.

(٢) التسهيد: السهر، القلق.

(٣) المختبل: المجنون، الحيران.

فمنهم محمد بن أبي محمد

ومما يُغنى فيه من شعره قوله :

صوت

أَتَيْتَكَ عَائِذَاً بِكَ مِنْ كَ لَمَّا ضَاقتَ الْحَيْلُ
وَصَيَّرَنِي هَوَاكَ وَبِي لَحَيْنِي يُضْرِبُ الْمَثَلُ
فَإِنْ سَلِمْتَ لَكُمْ نَفْسِي فَمَا لَاقَيْتَهُ جَلَلُ
وَإِنْ قَتَلَ الْهَوَى رَجُلًا فَإِنِّي ذَلِكَ الرَّجُلُ

[مجزوء الوافر]

الشعر لمحمد بن أبي محمد اليزيدي، ويكنى أبا عبد الله، والغناء لسليم بن سلام، ثقیل أول بالنصر، وله أيضاً فيه ماخوري، وكان سليم صديق محمد بن أبي محمد اليزيدي، كثير العشرة له، وليس في شيء من شعره صنعة إلا له، وله يقول محمد بن أبي محمد اليزيدي :

صوت

بِأَبِي أَنْتَ يَا سَلِيمَ وَأُمِّي ضِقْتُ ذَرْعاً بِهَجْرٍ مِنْ لَا أُسْمِي
صَدَّ عَنِّي أَقْرُ مِنْ خَلْقِ اللَّ لَهُ لِعَيْنِي فَاشْتَدَّ حُزْنِي وَهَمِّي
مَا احْتِيَالِي إِنْ كَانَ فِي الْقَدَرِ السَّا بَقِ لِلْحَيْنِ ^(١) أَنْ أَمُوتَ بِسُقْمِي ^(٢)

[الخفيف]

الغناء لسليم خفيف رمل بالوسطى عن عمرو .

أبو ظبية العكلي يلمس الجدا من أبي محمد :

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي، قال : حدثني عمي عبيد الله، عن أخيه أبي جعفر .

(١) الحين، بفتح الحاء : الموت .

(٢) السقم : المرض .

عن أبيه محمد بن أبي محمد، قال: قال لي أبي: نظر إليك أبو ظبية العُكْلِيُّ يوماً، وقد جاءني، فقال لي وقد أقبلت:

يَلِدُ الرِّجَالُ بَنِيهِمْ أَوْلَادَهُمْ وولدت أنت أبا من الأولاد
[الكامل]

قال أبو محمد: وكتب إليَّ أبو ظبية يوماً:

أَيَحْيَى لَقَدْ زَرْنَاكَ نَلْتَمَسُ الْجَدَا^(١) وَأَنْتَ أَمْرٌ يُرْجَى جَدَاهُ وَنَائِلُهُ^(٢)
وَمَا صَنَعَ الْمَعْرُوفَ فِي النَّاسِ صَانِعٌ فَيُحَمَّدُ إِلَّا أَنْتَ بِالْخَيْرِ فَاضِلُهُ
تَخِيرُكَ النَّاسُ الْخَلِيفَةُ لِابْنِهِ فَأَحْكَمْتَ مِنْهُ كُلَّ أَمْرٍ يُحَاوِلُهُ
فَمَا ظَنُّ ذُو ظَنٍّْ مِنَ النَّاسِ عِلْمُهُ كَعِلْمِكَ إِلَّا مُخْطِئُ الظَّنِّ قَائِلُهُ
إِلَيْكَ تَنَاهَتْ غَايَةُ النَّاسِ كُلَّهُمْ إِذَا اشْتَبَهَتْ عِنْدَ الْبَصِيرِ وَسَائِلُهُ
[الطويل]

قال أبو محمد، فكتبت إليه:

أَبَا ظَبِيَّةَ اسْمَعْ مَا أَقُولُ فَخَيْرٌ مَا يُقَالُ إِذَا مَا قِيلَ صُدِّقَ قَائِلُهُ
إِذَا شِئْتَ فَانْهَدْ^(٣) بِي إِلَى مَنْ أَرَدْتَهُ وَأَمَّلْتَ جَدَوَاهُ فَإِنِّي مُنَازِلُهُ
فَإِنْ يَكُ تَقْصِيرٌ وَلَا يَكُ عَارِفًا بِحَقِّكَ فَاعِذْلُهُ فَتَكْثُرُ عَوَازِلُهُ
[الطويل]

العباس بن الأحنف يتمنى بيتين لمحمد بن أبي محمد:

حدثني أبو عبد الله محمد بن العباس اليزيدي، قال: حدثني عمِّي عبيد الله، قال:

حدثني أخي أحمد عن أبي، قال: صِرتُ إلى العباس بن الأحنف، فقال لي ما جاء بك؟ قلت: أمرني أخوك وأبي أن أصيرَ إليك وأستفيد منك، فقال لي: أتصير إليَّ ولوددتُ أنني سبقتك إلى بيتينِ قلتهما وأني لم أقل من الشعر شيئاً غيرهما؟ فدخلني من السرور ما الله به عليم، فقلت: وما هما؟ فقال: قولك:

يَا بَعِيدَ الدَّارِ مَوْصُو لَا بِقَلْبِي وَلِسَانِي

(١) الجدا: العطاء، الجود.

(٢) النائل: العطاء، الجود.

(٣) نهْد: استقام ومضى في سبيله.

ربما باعدك الدهـ رُ وأدنتك الأمانـي

[مجزوء الرمل]

محمد بن أبي محمد يسرق من مسلم بن الوليد :

حدثني أحمد بن عُبَيْد الله بن عمار، قال: حدثني محمد بن داود بن الجراح،

قال: حدثني أبو القاسم عُبَيْد الله بن محمد اليزيدي، قال:

حدثني أخي أحمد بن محمد، قال: سمعت أبي يقول: ما سرقت من الشعراء

شيئاً قط إلا معنيين، قال مسلم بن الوليد:

كان منه وحلّ كلّ مكان

ذاك ظبيّ تحيّر الحُسنُ في الأر

قفاك إلا في النوم أو في الأمانـي

عُرِضَتْ دونه الحِجَالُ^(١) فما يلد

[الخفيف]

وقلت أنا:

لأ بقلبي ولساني

يا بعيْدَ الدار موصو

رُ وأدنتك الأمانـي

ربما باعدك الدهـ

[مجزوء الرمل]

وقال مسلم أيضاً:

أُصِيبَ فَإِنْنِي ذاك القَتِيلُ

متى ما تسمعي بقتيلٍ أَرْضِ

[الوافر]

فقلت أنا:

ك لما ضاقتِ الحِيلُ

أتيتك عَائِذاً بك منـ

لَحَيْنِي يُضْرِبُ المِثْلُ

وصيرني هَوَاكَ وبـي

فما لاقيته جَلُّ

فإن سَلِمْتُ لكم نفسي

فإنني ذاك الرجلُ

وإن قتل الهوى رجلاً

[مجزوء الوافر]

محمد بن أبي محمد يعتب على يونس بن الربيع :

أخبرني محمد بن العباس، قال: حدثني عَمِّي عُبَيْد الله، عن أخيه أبي جعفر،

قال:

(١) الحِجَال، بكسر الحاء: مفردها حَجَلَةٌ، وهو ستر يُضْرَب للعروس في جوف البيت أو بيت يزيّن للعروس.

عتب أبي - يعني محمد بن أبي محمد - على يونس بن الربيع، وكان صديقه، فكتب إليه :

سأبكيك حيًّا لا بكيثُك ميِّتاً بأربعةٍ تجري عليك هُمولا
وأعفيك من طول اللقاء وإنني أرى اليوم لا ألقاك فيه طويلا
فكيف بصبري عنك، لا كيف، بعدما حللت محلاً في الفؤاد جليلا
[الطويل]

قال فكتب إليه يونس :

إلى كم قد بليت وليس يبلى عتابٌ منك لي أبداً طويلاً
إذا كثر التجني من خليل ولم يُذنب فقد ملّ الخليل
[الوافر]

محمد بن أبي محمد يقول في قنفذ :

أخبرني عمِّي، قال : حدثني الحسن بن الفهم، قال :

قال لي أبو سليمان عبد الله بن أيوب مولى بني أمية : بات عندي ليلة محمد بن أبي محمد اليزيدي، فظهر لنا قنفذ، فقلت له : قل فيه شيئاً، فأنشأ يقول :

وطارق ليل زارنا بعد هَجْعة من الليل إلا ما تحدث سامرُ
فقلت لعبد الله : ما طارقُ أتى فقال : امرؤ ساقط إليه المقادرُ
قريناه صفو الزاد حين رأيته وقد جاء خفاق الحشى^(١) وهو سادرُ^(٢)
جميلُ المحيَّا والرضا فإذا أبي حمته من الضيم الرماح الشواجرُ^(٣)
ولست تراه واضعاً لسلاحه مدى الدهر موتوراً ولا هو واطرُ
[الطويل]

محمد بن أبي محمد عند المأمون :

حدثنا اليزيدي، قال : حدثني عمِّي الفضل، قال : حدثني أبو صالح بن يزداد، قال : حدثني أبي، قال :

جاء محمد بن أبي محمد اليزيدي إلى باب المأمون وأنا حاضر فاستأذن، فقال

(١) الحشى : ما انضمت عليه الضلوع .

(٢) السادر : المتحير .

(٣) الشواجر : المتصادمة والمشتبكة .

له الحاجب: قد أخذ دواء وأمرني ألا آذن لأحد، قال: فأمرك ألا تُوصل إليه رقعة؟ قال: لا، فدعا بدواة وقرطاس فكتب:

هديتي التَّحيَّةُ للإمام	إمام العدل والملك الهُمام
لأنني لوبذلت له حياتي	وما أحوى لقلَّ للإمام
أراك من الدَّواء، اللُّهُ نفعاً	وعافيةً تكون إلى تمام
وأعقبك السلامة منه ربُّ	يُريك سلامةً في كلِّ عام
أتأذن في السلام بلا كلام	سوى تقبيل كفِّك والسلام

[الوافر]

قال: فأوصلها وخرج، فأذن له فدخل وسلم، وحملت معه ألفي دينار.

المعتصم يُعطي محمد بن أبي محمد أربعمئة دينار:

حدثني عمِّي، قال: حدثني الفضل اليزيدي، قال:

حدثني أخي أحمد عن أبي، قال: دخلت يوماً إلى المعتصم وهو وليَّ عهد، وقد طلع القمر، فتنفس ثم قال: يا محمد، قل أبياتاً في معنى طلوع القمر، فإنه غاب مدة، كما غاب محبوب عن حبيبه، ثم طلع فإن جاءت كما أحب فلك بكل بيت مائة دينار، فقلت:

صوت

هذا شبيه الحبيب قد طلعا	غاب كما غاب ثم قد لمعا
وما أرى غيره يُشاكله	فاسأله بالَّه عنه ما صَنعا
فرَّق بيني وبينه قدَرٌ	هو الذي كان بيننا جمعا
فهل له عودةً فأرُقُبُها	كما رأينا شَبهاً له رجعا

[المنسرح]

فقال: أحسنت وحياتي، ثم قال لعلَّويه: غنَّ في هذه الأبيات، وكان حاضراً، فغنَّى فيها، وشرب عليها ليلته، وأمر لي بأربعمئة دينار، ولعلَّويه بمثلها. لحن علَّويه في هذه الأبيات رمل.

المأمون يحكم لمحمد بن أبي محمد بثلاثة آلاف دينار:

حدثني عمِّي، قال: حدثني الفضل بن محمد، قال:

حدثني أخي عن أبي، قال: شكَّوتُ إلى المأمون ديناً عليَّ، فقال: إن

عبد الله بن طاهر اليوم عندي، وأريد الخلوة معه، فإذا علمت بذلك فاستدع أن يكون دخولك أو إخراجك إليك، فإني سأحكم لك عليه بمال، فلما علمت أنهم قد جلسوا للشرب صرت إلى الدار، وكتبت بهذين البيتين:

يا خير سادات وأصحاب هذا الطُّفيلي على الباب
فصيروا لي معكم مجلساً أو أخرجوا لي بعض أصحابي
[السريع]

وبعث بهما إليه، فلما قرأهما قال: صدق اكتبوا إليه وسلوه أن يختار، فكتب إليّ: أما وصولك فلا سبيل إليه، لكن من تختار لتخرجه إليك فتمضي معه؟ فكتبت: ما كنت لأختار على أبي العباس أحداً، فقال له المأمون: فم إلى صديقك، فقال: يا أمير المؤمنين، إن رأيت أن تُعفيني من ذلك، أخرجني عما شرفتنني به من منادمتك وتبدلني بها مُنادمة ابن اليزيدي؟ قال: لا بد من ذلك أو تُرضيه، قال: فليحتكم، قال: أخاف أن يشتط أو تُقصّر أنت، ولكنني أحكم فأعدل، قال: قد رضيت، قال: تحمل إليه ثلاثة آلاف دينار معجلة، قال: قد فعلت، قال: فأمر صاحب بيت المال أن يحملها معي، وأمر عبد الله بردها إلى بيت المال.

قصته مع عليا:

أخبرني الصوليّ قال: حدثني عون بن محمد، قال:

كان محمد بن أبي محمد اليزيديّ يعشق جارية لسحاب يُقال لها عليا وكانت من أظرف النساء لسنّا. وأحسنهن وجهاً وغناء، فأعطى بها ثلاثة آلاف دينار فلم تبع، واشتراها المعتصم بخمسة آلاف دينار، وذلك في خلافة المأمون، وكان علي بن القاسم جَوْناً صديقاً لمحمد بن أبي محمد اليزيديّ، فبلغ المأمون الخبر، فدعا محمداً وقال: ما قصتك مع عليا؟ قال: قد قلت في ذلك أبياتا، فإن أذن أمير المؤمنين أنشدتها، قال: هايتها، فأنشده:

أشكو إلى الله حبي للعليينا وأنني فيهم ألقى الأمرينا
حبي عليا أمير المؤمنين فقد أصبحت حقاً أرى حبي له دينا
وحبّ خلي^(١) وخلصاني^(٢) أبي حسن أعني عليا قريع التغلبيينا

(١) الخَلّ، بكسر الخاء: الصديق، الصاحب.

(٢) الخُلصان، بضم الخاء: الأصحاب الصفوة.

ورقني لبني لي أصبت به وجدني به فوق وجدِ الأدميننا
ورابعٌ قد رمى قلبي بأسهمه فجُزت في حبه حدَّ المحبيننا
وبعضٌ من لا أسمى قد تملَّكه فرُحت عنه بما أعيا^(١) المُداويننا^(٢)
أتاه بالدين والدنيا تمكُّنه فلم يدع لي لا دنيا ولا ديننا
[البسيط]

قال: فقال المأمون: يا محمد لولا أنه أبو إسحاق لانزعجتها منه، ولكن هذا ألف دينار، فخذ عِوضاً، قال: ولقيني المعتصم في الدار، فقال لي: يا محمد قد علمت ما آل إليه أمرُ فلانة فلا تذكرها، فقلت: السمع والطاعة لأمرِك.

عشرة آلاف درهم من المأمون لمحمد:

أخبرني علي بن سليمان الأخفش، قال: حدثنا أبو العباس محمد بن الحسن بن دينار مولى بني هاشم، قال: حدثني جعفر بن محمد اليزيدي. عن أبيه محمد بن أبي محمد، قال: كنت عند المأمون، فقال لي: يا محمد، قل شعراً في نحو هذين البيتين:

صحيحٌ يوذُ السُّقَمَ كيما تعوده وإن لم تعده عاد عنها رسولها
ليعلم هل ترتاع عند شكاته كما قد يروغ المشفقات خليلها
[الطويل]

قال: فقلت:

صحيحٌ ودَّ لو أمسى عليلاً لتكتب أو ير منكم رسولا
راك تسومه الهجران حتّى إذا ما اعتلّ كنت له وصولا
يوذُ ضنى الحياة بوصل يوم يكون على هواك له دليلاً
هما موتان: موتٌ هوئى وهجر وموت الهجر شرهما سبيلاً
[الوافر]

قال: فأمر لي بعشرة آلاف درهم.

أحسن ما قيل في قديم الشراب:

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي، قال: حدثني أبو جعفر أحمد بن محمد بن أبي محمد اليزيدي.

(١) أعيا: أنعب.

(٢) المداوين: المسعفين.

عن أبيه، قال: دخلت على المأمون وهو يشرب، وعنده عريب ومحمد بن الحارث بن بسخر يُغنيانه، فقال: أطعموا محمداً شيئاً، فقلت: قد بدأت بذلك في دار أمير المؤمنين، فقال: أما ترى كيف عتق هذا الشراب حتى لم يبق إلا أقله، ما أحسن ما قيل في قديم الشراب؟ فقلت: قول الحكمي:

عُتِّقْتُ حَتَّى لَوِ اتَّصَلْتُ بِلِسَانِ نَاطِقٍ وَفَمٍ
لَا حَتَبْتُ فِي الْقَوْمِ مَائِلَةً ثُمَّ قَصَصْتُ قِصَّةَ الْأُمَمِ

[المديد]

فقال: هذا كان في نفسي، ثم قال: اسقوا محمداً رطلين وأعطوه عشرين ألف درهم، ثم نكت في الأرض ورفع رأسه ثم قال: يا محمد:

إِنِّي وَأَنْتَ رَضِيعَا قَهْوَةٍ لَطْفَتْ عَنِ الْعِيَانِ وَدَقَّتْ عَنْ مَدَى الْفَهْمِ
لَمْ نَرْتَضَعْ غَيْرَ كَاسٍ دَرَّهَا ذَهَبٌ وَالْكَاسُ حُرْمَتُهَا أَوْلَى مِنَ الرَّجَمِ

[البسيط]

قال: والشعر له قاله في ذلك الوقت.

ومما فيه غناء من شعر محمد بن أبي محمد أنشدناه محمد بن العباس عن عمه عُبَيْدِ اللَّهِ عَنْ أَخِيهِ أَحْمَدَ:

صوت

أَنْتَ امْرُؤٌ مَتَجَنٌّ وَلَسْتُ بِالْغَضْبَانِ
أَنْتَ امْرُؤٌ لَكَ شَانِ فِيمَا أَرَى غَيْرَ شَانِي
صَرَّحَ بِمَا عَنْهُ أَكْنِي أَكْفَ عَنْكَ لِسَانِي
حَسْبِي أَسَاتُ فَهَلَّا مَنَنْتَ بِالْغَفْرَانِ؟!

[المجث]

ومنها:

صوت

يَا أَحْسَنَ الْأُمَّةِ فِي عَيْنِي أَمَا تَرْحُمُنِي
أَمَا تَرَانِي كَامِداً مُوَكَّلًا بِالْحَزَنِ
أَمَا تَرَى فِيكَ مَدَا رَاتِي لِأَهْلِ الظَّنَنِ

أَصْرَفُ طَرْفِي عَنْكَ خَوْ فَأَمْنَهُ أَنْ يَفْضَحَنِي
 يَرَانِي اللَّهَ وَمَا أَلَّ غَى وَإِنْ لَمْ تَرْنِي
 [مجزوء الرجز]

وممن له شعر فيه صنعة من ولد أبي محمد لصلبه ابنه إبراهيم فمنها:

صوت

لَا تَلْحَنِي^(١) إِنْ مَنَحْتُ عِشْقًا مِنْ كَانَ لِلْعِشْقِ مُسْتَحَقًّا
 وَلَمْ يَقْدَمْ عَلَيَّ خَلْقًا وَلَمْ أُقَدِّمْ عَلَيْهِ خَلْقًا
 يَمْلِكُ رِقِّي وَلَسْتُ أَبْغِي مِنْ مَلَكِهِ مَا حَيَّيْتُ عِتْقًا
 لَمْ أَرِ فِيمَنْ هَوَيْتُ خَلْقًا أَعْطَفَ مِنْهُ وَلَا أَرْقًا
 [مخلع البسيط]

الشعر لإبراهيم بن أبي محمد اليزيدي، والغناء لأبي العبيس بن حمدون،
 خفيف ثقيل مطلق، وفيه لعريب رمل مزموم.

(١) لَا تَلْحَنِي: لَا تَلْمَنِي.

فمن أخبار إبراهيم

إبراهيم بن أبي محمد يقول في البرق:

أخبرني عمي، قال: حدثني الفضل بن محمد اليزيدي، قال: حدثنا أحمد،

عن عمه إبراهيم، قال: كنت مع المأمون في بلد الروم، فبينما أسير في ليلة مظلمة شاتية ذات غيم وريح، وإلى جانبي قُبَّةٌ إذ برقت برقةٌ فإذا في القُبَّةِ عَرِيبٌ، فقالت: يا إبراهيم بن اليزيدي، فقلت: لبيك، فقالت: قُل في هذا البرق أبياتاً ملاحاً لأغنيَ فيها، فقلت:

ماذا بقلبي من أليم الخفق	إذا رأيت لمعان البرق
من قبل الأزدن أو دمشق	لأن من أهوى بذاك الأفق
فارقته، وهو أعز الخلق	علي والزور خلاف الحق
ذاك الذي يملك مني رقي	ولست أبغي ما حيت عتقي

[الرجز]

قال: فتنفست نفساً ظننته قد قطع حيازيمها^(١)، فقلت: ويحك، على من هذا؟ فضحكت ثم قالت: على الوطن، فقلت: هيهات، ليس هذا كله للوطن، فقالت: ويلك أفتراك ظننت أنك تستفزني؟ والله لقد نظرت نظرة مريبة في مجلس، فادعائها أكثر من ثلاثين رئيساً، والله ما علم أحد منهم لمن كانت إلى هذا الوقت.

شعره في سيحان:

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثني الفضل بن محمد اليزيدي، قال: حدثني أخي.

عن عمي إبراهيم بن أبي محمد، أنه كان مع المعتصم لما خرج إلى الغزو، قال: فكنت في رفقة فيها فتى من أهل البصرة ظريف أديب شاعر راوية، وكان لي فيه أنس، وكنا لا نفترق حتى غزونا وعدنا، فعاد إلى البصرة، وكان له بستان حسن بسيحان، فكان أكثر مقامه به، وعزم لي الشخوص إلى البصرة لحاجة عرضت لي،

(١) حيازيم، الواحد حيزوم: وسط الصدر وما يضم عليه الحزام.

فكان أكثر نشاطي لها من أجله، فوردتها ونظرت فيما وردت له، ثم سألت عنه ومضيت إليه، فكاد أن يُستطار بي فرحاً، وأقمت بسيحانَ معه أياماً، وقلت في بعضها وقد اصطبحنا في بستانه :

يا مسعديّ بسّيحانٍ فديثُكما حُثّا المدامة في أكنافِ سيحانا
نهرٌ كريم من الفردوس مخرجه بذاك خبرنا من كان أنبانا
لا تحسداني رواحاً أو مُباكرةً طيبَ المسير على سيحانِ أحيانا
بشطّ سَيحانِ إنسانٍ كلفتُ به نفسي بقي ذلك الإنسان إنسانا
رِيّاه ريحانُنا والكأسُ مُعمّلة لا شيء أطيبُ من رِيّاه ريحانا
حُثّا شرابكما حتى أرى بكما سُكراً فإنني قد أمسيت سكرانا
رِيّا الحبيبِ وكأسٌ من مُعتّقة يُهيّجان لنفس الصب^(١) أحزاناً
سُقياً لسَيحانٍ من نهرٍ ومن وطنٍ وساكنيه من السكّانِ مَنْ كانا
همُ الذين عَقَدنا الوُدَّ بينهم وبيننا وهمُ في دَيْرٍ مُرّانا
[البسيط]

يدعو ابن أخيه على شرب وغناء :

أخبرني محمد بن العباس، قال: حدثني عمّي عُبَيْدُ اللَّهِ، عن جماعة من أهلنا: أن إبراهيم بن أبي محمد اليزيديّ كان يُعَاشِرُ أبا غسان مولى منيرة، وكانت له جاريةٌ مغنية، يقال لها جاني، فدعاه يوماً أبو غسان وجلسا للشرب، فقال له: لو دعوت ابن أخيك، يعني أحمد بن محمد بن أبي محمد لأنسَ به، فكتب إليه إبراهيم:

يا أكملَ الناسَ طرّاً وأظرفَ الفتيانِ!
بادِرْ إلينا لكيما تُسقى سُلَافَ^(٢) الدَّنانِ^(٣)
على غِناءٍ غزالٍ مهفهِفٍ^(٤) فَتَّانٍ
إشرب على وجه جاني شرابك الخُسرواني

(١) الصبّ: العاشق المتيّم.

(٢) السُلَاف، بضم السين: من أسماء الخمرة.

(٣) الدنان، الواحد دَنّ: وعاء الخمرة، يتخذ من جلود الضأن.

(٤) مهفهِف: مرفّه رشيق مترف.

فمالها من نظير
إلا الذي هو فرد
أعني الهلال لست
للناس بدر منير
ومالنا غير بدر
ذكراه في كل وقت
سبيته وسباني
من ثم لست تراني
ومالها من مدان
وماله من ثاني
من شهره وثمان
يُرى بكل مكان
لدى أبي غسان
موصولة بلساني
فحبُّه قد براني
أصبو إلى إنسان

[المجث]

إلى بعض إخوانه :

أنشدنا أبو عبد الله اليزيدي عن عمه الفضل .

لإبراهيم بن أبي محمد اليزيدي في بعض إخوانه ، وقد رأى منه جفوة ثم عاوده واستصلحه ، فكتب إليه :

من تاه واحدة فتة عشا
وإذا زها أحد عليك فكن
أرايت من لم ترج منفعة
لم تُسترك^(٢) وتستذل له
كي لا يجوز بنفسه القدرا
أزهي عليه ولا تكن غمرا^(١)
منه ولم تحذر له ضرا
بل كن أشد إذا زها كبرا

[الكامل]

يُعربد في مجلس المأمون :

حدثني عمي والحسن بن عليّ ، قالا : حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه ، قال : حدثني أبي :

عن جعفر بن المأمون ، قال : دخل إبراهيم بن أبي محمد اليزيدي على أبي ، وهو يشرب ، فأمره بالجلوس ، فجلس ، وأمر له بشراب ، وزاد في الشرب فسكر وعربد ، فأخذ عليّ بن صالح صاحب المصلى بيده فأخرجه ، فلما أصبح كتب إلى أبي :

(١) الغمر ، بضم الغين من الفتیان : من لم يجرب الأمور .

(٢) لم تسترك : لم تستضعف .

أَنَا الْمُذْنِبُ الْخَطَّاءُ ، وَالْعَفْوُ وَاسِعٌ
 ثَمَلْتُ فَأَبَدْتُ مِنِّي الْكَاسُ بَعْضَ مَا
 وَلَوْلَا حُمَيَّا الْكَاسِ كَانَ احْتِمَالُ مَا
 وَلَا سِيَمَا إِذْ كُنْتُ عِنْدَ خَلِيفَةٍ
 تَنْصَلْتُ مِنْ ذَنْبِي تَنْصُلُ ضَارِعٍ
 فَإِنْ تَعَفُّ عَنِّي تُلْفِ خَطْوِي وَاسِعاً
 وَلَوْلَمْ يَكُنْ ذَنْبٌ لَمَّا عُرِفَ الْعَفْوُ
 كَرِهْتُ وَمَا إِنْ يَسْتَوِي السَّكْرُ وَالصَّحْوُ
 بَدَّهْتُ بِهِ لَا شَكَّ فِيهِ هُوَ السَّرُّ^(١)
 وَفِي مَجْلِسٍ مَا إِنْ يَجُوزُ بِهِ اللَّغْوُ
 إِلَى مَنْ لَدَيْهِ يُغْفَرُ الْعَمْدُ وَالسَّهْوُ
 وَإِلَّا يَكُنْ عَفْوٌ فَقَدْ قَصَرَ الْخَطْوُ
 [الطويل]

هارون بن المأمون يحجبه عنه :

حدثني عمِّي ، قال : حدثنا الفضل بن محمد اليزيدي ، قال :
 جاء عمِّي إبراهيمُ إلى هارون بن المأمون ، فصادفه قد خلا هو وجماعة من
 المعتزلة ، فلم يصل إليه وحُجِبَ عنه ، فكتب إليه :

غَلَبْتُ عَلَيْكُمْ هَذِهِ الْقَدَرِيَّةُ
 آتَيْكُمْ شَوْقاً فَلَا أَلْقَاكُمْ
 هَارُونَ قَائِدُهُمْ وَقَدْ حَفَّتْ بِهِ
 لَكِنْ قَائِدُنَا الْإِمَامُ وَرَأَيْنَا
 فَعَلَيْكُمْ مَنَى السَّلَامُ تَحِيَّةً
 وَهُمْ لَدَيْكُمْ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً
 أَشْيَاعُهُ وَكَفَى بِتِلْكَ بَلِيَّةً
 مَا قَدْ رَأَاهُ فَنَحْنُ مَأْمُونِيَّةً
 [الكامل]

إبراهيم يكتب إلى ابنه إسحاق في غلام يألفه :

حدثني عمِّي ، قال : حدثني الفضل ، قال :
 كَانَ لِعَمِّي إِبْرَاهِيمَ ابْنٌ يُقَالُ لَهُ إِسْحَاقُ ، وَكَانَ يَأْلَفُ غُلَاماً مِنْ أَوْلَادِ الْمَوَالِي ،
 فَلَمَّا خَرَجَ الْمُعْتَصِمُ إِلَى الشَّامِ خَرَجَ إِبْرَاهِيمُ مَعَهُ ، وَخَرَجَ الْغُلَامُ الَّذِي كَانَ يَأْلَفُهُ ابْنَهُ فِي
 الْعَسْكَرِ ، وَعَرَفَ إِبْرَاهِيمَ أَنَّهُ قَدْ صَحَبَ فِتْنَى مِنْ فَتَيَانَ الْعَسْكَرِ غَيْرَ ابْنِهِ ، فَكَتَبَ عَمِّي
 إِبْرَاهِيمُ إِلَى ابْنِهِ :

قُلْ لِأَبِي يَعْقُوبَ إِنْ الَّذِي
 كَانَ مُحِبّاً لَكَ فِيمَا مَضَى
 يَعْرِفُهُ قَدْ فَعَلَ الْحُبَّ^(٢)
 فَالآنَ قَدْ صَادَقَ مُحِبُّوهُ

(١) السرو: الفضل والجود .

(٢) الحوب: الذنب .

يركب هذا ذا وذا ذا فما
 فرأس إسحاق فديناه قد
 أرى قروناً قد تجلّلنه
 أظنه يعجز عن حملها
 يا رحمتا لابني على ضعفه
 ينفك تصعيداً وتصويبا
 أظهر شيئاً كان محجوباً
 منصوبة شُعبن تشعيباً
 إذ رُكبت في الرأس تركيباً
 يحمل منهن أعاجيباً
 [السريع]

فضل اليزيدي يكتب إلى عمه إبراهيم فيردّ عليه :

حدثني عمي ، قال : حدثني :

فضل اليزيدي ، قال : كتبت إلى عمي إبراهيم أستعين به في حاجة لي ، وأستزيده من عنايته بأموري ، وأطلبه أن يتوفّر نصيبي لديه ، وفيما ابتغيه منه فكتب إلي :

فديتُك لو لم تكن لي قريباً
 مع البرّ منك وما تستجد
 لما أن جعلت لخلق سوا
 وكنّت المقدم ممّن أوّد
 تلطفّ لما قد تكلمت فيه
 وراوض أباً حسن إن رأيـ
 فإن هو صار إلى ما تريد
 ومن لا يخالف ما أشتهيه
 يودك خاقان ودّاً عجيباً
 وأنت تُكافيه لا بل تزيد
 تُثيب أخاك على الودّ منه
 ولا سيمّا إذ براه^(١) إلا
 يرى المتمني له ردّفه^(٢)
 وكنّت امرأً أجنبياً غريباً
 به مستخفاً إليك اللبياً
 كمثل نصيبك مني نصيباً
 وأز داد حثّك عندي وجوباً
 فما زلت في الحاج شهماً نجيباً
 ت واحتل برفقك حتى يُجيباً
 وإلا استعنت عليه الحبيباً
 لتُلفيه غير شكّ مُجيباً
 كذاك الأديب يودّ الأديباً
 عليه وتجمع فيه ضروباً
 وذو اللب يأنف ألا يُثيباً
 ه كالبدر يدعو إليه القلوباً
 كثيباً^(٣) وأعلاه يحكي القضيباً

(١) براه : خلقه .

(٢) الردف : الورك .

(٣) الكثيب : التلّ من الرمل ، يقصد الشاعر امتلاء وركيها .

وقد فاق في العلم والفهم منه
ويبلغ فيما يقولون: ليس
ولكنه وافق الزاهدين
وإن ركب المرء فيه هوا
إذا زارت الشاة ذئباً طيباً
وعند الطبيب شفاء السقيم
ولست ترى فارساً في الأنبا
كما تمّ ملحاً^(١) وحسناً وطيباً
يُعاف إذا ناولوه القضيبي
فخاب وقد ظنّ أن لن يخيبا
ه عاث فتطهيره أن يتوبا
فلا تأمنن على الشاة ذيبا
إذا اعتلّ يوماً وجاء الطبيب
م إلا وثوباً يُجيد الركوبا
[المقارب]

قوله في يحيى بن أكثم وعبادة المخنث:

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي، قال: حدثني عمي عبید الله، قال: حدثني
أخي أحمد، قال:
زامل المأمون في بعض أسفاره بين يحيى بن أكثم وعبادة المخنث، فقال عمي
إبراهيم في ذلك:

وحاكم زامل عبادة
لو جاز لي حكم لما جاز أن
كم من غلام عز في أهله
ولم يزل تلك له عادة
يحكم في قيمة لبادة
وافت قفاه منه سجادة
[السريع]

قال: وقال في يحيى أيضاً:

وكنا نرجي أن نرى العدل ظاهراً
متى تصلح الدنيا ويصلح أهلها
فأعقبنا بعد الرجاء قنوط
وقاضي قضاة المسلمين يلوط
[الطويل]

المأمون يأمر خادمه أن يتعرض ليحيى:

وأخبرني عمي، قال: حدثنا أبو العيلاء، قال: نظر المأمون إلى يحيى بن أكثم
يلحظ خادماً له، فقال للخادم: تعرض له إذا قمْتُ، فإنني سأقوم للوضوء - وأمره بالألا
يبرح - وعُد إليّ بما يقول لك، وقام المأمون وأمر يحيى بالجلوس، فلما قام غمزه
الخادم بعينه، فقال يحيى: ﴿لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ: ٣١] فمضى الخادم إلى

(١) الملح، بكسر الميم: الجمال والنضرة.

المأمون فأخبره، فقال له: عُدْ إِلَيْهِ فَقُلْ لَهُ: ﴿أَنْحَنُ صَدَدَنْكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ تُجْرِمِينَ﴾ [سبأ: ٣٢] فخرج الخادم إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ مَا أَمْرُهُ بِهِ الْمَأْمُونُ، فَأَطْرَقَ يَحْيَى، وَكَادَ يَمُوتُ جَزَعًا وَخَرَجَ الْمَأْمُونُ، وَهُوَ يَقُولُ:

مَتَى تَصْلُحُ الدُّنْيَا وَيَصْلُحُ أَهْلُهَا وَقَاضِي قِضَاةِ الْمُسْلِمِينَ يَلُوطُ
[الطويل]

فَمَ فَنَاصِرْفِ وَاتَّقِ اللَّهَ وَأَصْلِحْ سِرِيرَتَكَ^(١).

سلعوس:

حَدَّثَنَا الْيَزِيدِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ عَمِّي إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْيَزِيدِيِّ:

عَنْ أَبِيهِ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ الْمَأْمُونِ يَوْمًا، وَبَحَضَرْتُهُ عَرِيبٌ، فَقَالَتْ لِي عَلَى سَبِيلِ الْوَلَعِ بِي: يَا سَلْعُوسُ، وَكَانَ جَوَارِي الْمَأْمُونِ يَلْقُبْنِي بِذَلِكَ عِبْثًا، فَقُلْتُ لَهَا:

وَقُلْ لِعَرِيبٍ لَا تَكُونِي مُسَلْعَسُهُ وَكُونِي كَتَتْرِيفٍ وَكُونِي كَمُؤْنَسُهُ
[الطويل]

فَقَالَ الْمَأْمُونُ:

فَإِنْ كَثُرَتْ مِنْكَ الْأَقَاوِيلُ لَمْ يَكُنْ هِنَالِكَ شَكٌّ أَنَّ ذَا مِنْكَ وَسَوَسَهُ
[الطويل]

قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: كَذَا وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ، وَعَجِبْتُ مِنْ ذَهْنِ الْمَأْمُونِ وَطَبَعِهِ وَفَطْنَتِهِ.

أحمد بن محمد

وَمِمَّنْ غُنِّي فِي شَعْرِهِ مِنْ وَلَدِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْيَزِيدِيِّ: أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْيَزِيدِيِّ.

فَمِنْ ذَلِكَ:

صوت

شَوْقِي إِلَيْكَ عَلَى الْأَيَّامِ يَزْدَادُ وَالْقَلْبُ مُذْ غِبتَ لِلْأَحْزَانِ مَعْتَادُ

(١) سِرِيرَتِكَ: طَوْبَتِكَ، دَخِيلَتِكَ.

يا لهف نفسي على دهر فُجعت به كأَنَّ أيامه في الحسن أعيادُ
[البسيط]

الشعر لأحمد بن محمد بن أبي محمد اليزيديّ، والغناء لبحر هزج، وفيه ثاني
ثقل مطلق، ذكر الهشاميّ أنه لإسحاق، وما أراه أصاب، ولا هو في جامع إسحاق،
ولا يُشبهه صنعه.

وكان أحمدُ راويةً لعلم أهله، فاضلاً أديباً، وكان أسنَّ ولد محمد بن أبي
محمد، وكان إخوته جميعاً يأترون^(١) علوم جدّهم وعمومتهم عنه، وقد أدرك أبا
محمد، وأظن أنه قد روى عنه أيضاً، إلا أنني لم أذكر شيئاً من ذلك وقت ذكرى إياه
فأحكيه عنه.

أبو جعفر مع عريب:

أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثنا الفضل بن محمد اليزيديّ، قال:
حدثني أخي أبو جعفر، قال: كنت عند جعفر بن المأمون مقيماً، فلما أردت
الانصراف منعني، فبِتَ عنده وأصبحنا، فزارته عريب في جواربها، وبت، فاحتبسها
من غد فاستطبتُ المُقام أيضاً فأقمت، فكتب إليّ عمّي إبراهيم بن أبي محمد
اليزيديّ:

شردت يا هذا شروذ البعيرُ وطالت الغيبةُ عندَ الأميرِ
أقمت يومين وليليهما وثالثاً تُخبى^(٢) ببرّ كثيرِ
يومٌ عريب مع إحسانها إن طالت الأيامُ يومٌ قصيرِ
لها أغانٍ غيرُ مملولة منها ولا تخلق^(٣) عند الكُرورِ
غيرَ ملومٍ يا أبا جعفر أن تُؤثر اللهوَ ويومَ السرورِ
فاجعل لنا منك نصيباً فما إن كنت عن مجلسنا بالنفورِ
وصِرْ إلينا غيرَ ما صاغرٍ أشارك الرحمنَ خيرَ المصيرِ
إن لم يكن عندي غناءٌ ولا عودٌ فعندي القَمَرُ^(٤) بالردشيرِ^(٥)
والذكرُ بالعلم الذي قد مضى بأهله حادثُ صَرفِ الدهورِ

(١) يأترون: يقتدون بما أثر عنه من علوم اشتهر بها.

(٢) تُخبى: تُمنح.

(٣) تخلق: تبلى.

(٤) القَمَر: الغلبة في القمار.

(٥) الردشير: النرد.

وَهُوَ جَدِيدٌ عِنْدَنَا نَهْجُهُ أَعْلَامُهُ تَحْوِيهِ مِنَّا الصَّدُورُ
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ مَا أَوْلَى وَأَبْلَى وَلِرَبِّي الشُّكُورُ
[السريع]

شمس على شمس :

حدثنا محمد بن العباس اليزيدي، قال: حدثني عمي الفضل، قال: سمعت أخي أبا جعفر أحمد بن محمد، يقول: دخلت إلى المعتصم يوماً وبين يديه خادم وضيء جميل وسيم، فطلعت عليه الشمس، فما رأيت أحسن منها على وجهه، فقال لي: يا أحمد، قل في هذا الخادم شيئاً، وصف طلوع الشمس عليه وحسنها، فقلت:

قَدْ طَلَعَتْ شَمْسٌ عَلَى شَمْسٍ وَطَابَ لِي الْهَوَى مَعَ الْأُنْسِ
وَكُنْتُ أَقْلِي^(١) الشَّمْسَ فِيمَا مَضَى فَصَرْتُ أَشْتَاقَ إِلَى الشَّمْسِ
[السريع]

أبو جعفر يكتب رداً إلى بعض إخوانه :

حدثني اليزيدي، قال: حدثني عمي الفضل، قال: كتب إلى أخي أبي جعفر بعض إخوانه ممن كان يألفه ويُدِيمُ زيارته، ثم انقطع عنه يعتذر إليه من تأخره عنه، فكتب إليه أخي:

إِنِّي امْرُؤٌ أَعْذِرُ إِخْوَانِي فِي تَرْكِهِمْ بَرِّي وَإِتْيَانِي
لَأَنَّهُ لَا لَهْوَ عِنْدِي وَلَا لِي الْيَوْمَ جَاءَ عِنْدَ سُلْطَانِ
وَأَكْثَرُ الْإِخْوَانِ فِي دَهْرِنَا أَصْحَابُ تَمْيِيزِ وَرَجْحَانِ
فَمَنْ أَتَانِي مُنْعِماً مَفْضِلاً فَشَكَرُهُ عِنْدِي شُكْرَانِ
وَمَنْ جَفَانِي لَمْ يَكُنْ لَوْمَهُ عِنْدِي وَلَا تَعْنِيْفُهُ شَانِي
أَعْفَوْ عَنِ السَّيِّئِ مِنْ فَعْلِهِمْ وَأَتَّبَعَ الْحُسْنَى بِإِحْسَانِ
حَسَبُ صَدِيقِي أَنَّهُ وَاثِقٌ مِنِّي بِإِسْرَارِي وَإِعْلَانِي
[السريع]

أبو جعفر يُنشد في مجلس المأمون :

حدثني اليزيدي، قال: حدثني أبي: عن عمي أبي جعفر أحمد بن محمد بن أبي محمد، قال: دخلت على المأمون

(١) أقلي: أجفو، أكره، أبعد.

وهو في مجلس غاصّ بأهله، وأنا يومئذٍ غلام، فاستأذنت في الإنشاد، فأذن، فأنشدته مديحاً لي مدحته به، وكان يستمع للشاعر ما دام في تشبيب أو وصف ضرب من الضروب، حتى إذا بلغ إلى مديحه لم يستمع منه إلا بيتين أو ثلاثة، ثم يقول للمنشد: حسبك، ترفّعاً، فأنشدته:

يا من شكوتُ إليه ما ألقاه وبذلتُ من وجدي^(١) له أقصاه
فأجابني بخلاف ما أملتَه ولربما مُنِعَ الحريضُ مُناه
أُتري جميلاً أن شكاً ذو صَبوةٍ فهجرته وغضبتَ من شكواه
يكفيك صمتٌ أو جواب مؤيسٌ إن كنت تكره وُضله وهواه
موت المحب سعادةٌ إن كان من يَهواه يزعم أن ذاك رِضاهُ
[الكامل]

فلما صرت إلى المديح، قلت:

أبقى لنا الله الإمام وزاده عزاً إلى العزّ الذي أعطاه
فالله أكرمنا بأننا معشرٌ عُتقاء من نَعَم العباد سواه
[الكامل]

فسرّ بذلك وضحك، وقال: جعلنا الله وإياكم ممن يشكر النعمة ويحسن العمل.

المأمون يغضب عليه ثم يسكن:

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي، قال: حدثني أبي:

عن أخيه أبي جعفر، قال: دخلت يوماً على المأمون بقاراً، وهو يريد الغزو، فأنشدته شعراً مدحته فيه، أوله:

يا قصرُ ذا النخلات من بارا إني حننت إليك من قارا
أبصرت أشجاراً على نهرٍ فذكرت أشجاراً وأنهاراً
لله أيام نعمت بها بالقُفص أحياناً وفي بارا
إذ لا أزال أزور غانيّةً ألهو بها وأزور خمّاراً
لا أستجيب لمن دعا الهدى وأجيب شطّاراً ودّعّاراً

(١) الوجد: الحبّ والشوق.

أَعَصِي النَّصِيحَ وَكُلَّ عَاذِلَةٍ وَأَطِيعَ أَوْتَاراً وَمِزْمَاراً
[الكامل]

قال: فغضب المأمون، وقال: أنا في وجه عدوّ وأحضّ الناس على الغزو، وأنت تذكّرهم نزه بغداداً؟ فقلت: الشيء بتمامه، ثم قلت:

فصحت بالمأمون عن سَكْرِي ورأيت خير الأمر ما اختارا
ورأيت طاعته مُؤَدِّيَةً للفرّض إعلاناً وإسرارا
فخلعت ثوب الهزل عن عُنْقِي ورضيت دار الجِدِّ لي دارا
وظللت معتصماً بطاعته وجواره وكفّى به جارا
إن حلّ أرضاً فهني لي وطنٌ وأسير عنها حيثما سارا
[الكامل]

فقال له يحيى بن أكثم: ما أحسن ما قال يا أمير المؤمنين، أخبر أنه كان في سكر وخسار فترك ذلك وارعوى وترك طاعته لطاعة خليفته، وعلم أن الرشيد فيها، فسكن وأمسك.

المعتصم يعشق غلامه سيما التركي :

حدثني الصوليّ قال: حدثني محمد بن يحيى بن أبي عباد، قال: حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات، عن أبيه، قال:

دعا المعتصم ذات يوم المأمون، فجاءه، فأجلسه في بيت على سقفه جامات، فوقع ضوء الشمس من وراء بعض تلك الجامات على وجه سيما التركي غلام المعتصم، وكان المعتصم أوجد الناس به، ولم يكن في عصره مثله، فصاح المأمون: يا أحمد بن محمد اليزيديّ، وكان حاضراً، فقال: انظر إلى ضوء الشمس على وجه سيما التركي، رأيت أحسن من هذا قطّ؟ وقد قلتُ:

قد طلعت شمسٌ على شمسٍ وزالت الوحشة بالأنس
[السريع]

أجز يا أحمد، فقلت:

قد كنت أشنا^(١) الشمس فيما مضى فصرتُ أشتاق إلى الشمس
[السريع]

(١) أشنا: أكره.

قال: وفطن المعتصم فعرض شفته على أحمد فقال أحمد للمأمون: واللّه لئن لم يعلم حقيقته من أمير المؤمنين لأقنع معه فيما أكره، فدعاه المأمون فأخبره الخبر، فضحك المعتصم، فقال له المأمون: كثر الله في غلمان غلمانك مثله، إنما استحسنت شيئاً فجرى ما سمعت لا غيره.

ينظم ما نشره الخليفة:

حدثني الصولي، قال: حدثني عون بن محمد، قال:

حدثني أحمد بن محمد اليزيدي، قال: كنا بين يدي المأمون، فأنشدته مدحاً فقال: لئن كانت حقوق أصحابي تجب عليّ لطاعتهم بأنفسهم، فإن أحمد ممن تجب له المُرعاة لنفسه وصحبته، ولأبيه وخدمته، ولجده وقديم خدمته وحرمته، وأنه للعريق في خدمتنا، فقلت: قد علّمتني واللّه يا أمير المؤمنين كيف أقول، ثم تنحيت ورجعت إليه فأنشدته:

لي بالخليفة أعظم السبب	فيه أمنت بوائق العطب ^(١)
ملك غدّتي كفه وأبي	قبلي وجدّي كان قبل أبي
قد خصّني الرحمن منه بما	أسمو به في العُجم والعرب

[الكامل]

فضحك، وقال: قد نظمت يا أحمد ما نشرناه.

هذا آخر أخبار اليزيديين وأشعارهم التي فيها صنعة.

صوت

عش فحُبّيك سريعاً قاتلي	والضّنى إن لم تصلني واصلي
ظفر الشوق بقلب دنف	فيك والسُّقم بجسم ناحل
فهما بين اكتئاب وضنى	تركاني كالقضيبي الذابل

[الرمل]

الشعر لخالد الكاتب، والغناء للمسدود رمل مطلق في مجرى الوسطى، وذكر جحظة أن هذا الرمل أخذ عنه، وأنه أول صوت سمعه فكتبه.

(١) بوائق العطب، الواحدة بائقة: المصيبة المهلكة.

أخبار خالد الكاتب

اسمه وكنيته :

هو خالد بن يزيد، ويكنى أبا الهيثم، من أهل بغداد، وأصله من خراسان، وكان أحد كتّاب الجيش، ووسوس^(١) في آخر عمره، قيل: إن السوداء غلبت عليه.

موسوس :

وقال قوم: كان يهوى جارية لبعض الوجوه ببغداد، فلم يقدر عليها، وولاه محمد بن عبد الملك الإعطاء في الثغور، فخرج، فسمع في طريقه منشدًا يُنشد ومُغنية تُغني:

من كان ذا شَجْنٍ^(٢) بالشام يطلبه ففي سوى الشام أمسى الأهل والشجنُ
فبكى حتى سقط على وجهه مَغشياً عليه، ثم أفاق مختلطاً، واتصل ذلك ووسوس وبطل، وكان اتصل بعلي بن هشام أنه صحبه في وقت خروجه إلى قم في جملة كتّاب الإعطاء، فبلغه، وهو في طريقه أن خالدًا يقول الشعر، فأنس به وسرّ به وأحضره فأنشده قوله:

يا تارك الجسم بلا قلبٍ	إن كنت أهواك فما ذنبي؟!
يا مفرداً بالحسن أفرّدتني	منك بطول الهجر والعُثْبِ
إن تك عيني أبصرت فتنةً	فهل على قلبي من عُثْبٍ؟
حسبُك الله لما بي كما	أنك في فعلك بي حَسبي

[السريع]

للمسدود في هذه الأبيات رمل طنبري مطلق من رواية الهشامي.

أول ما قيل في بناء سرّ من رأى :

قال: فجعله علي بن هشام في ندمائه إلى أن قُتل، ثم صحب الفضل بن

(١) وسوس: اتهم بالجنون.

(٢) الشجن: الحزن.

مروان، فذكره للمعتصم، وهو بالماحوزة^(١) قبل أن يبنّي سُرَّ من رأى، فقال خالد:

عَزَمَ السُّرُورُ عَلَى الْمُقْ سَامَ بِسُرٍّ مِنْ رَا لِلْإِمَامِ
بَلَدِ الْمَسْرَّةِ وَالْفَتْوِ حَ الْمَسْتَنِيرَاتِ الْعِظَامِ
وَتَرَاهُ أَشْبَهَ مَنْزِلِ فِي الْأَرْضِ بِالْبَلَدِ الْحَرَامِ
فَاللَّهُ يَعْمُرُهُ بِمَنْ أَضْحَى بِهِ عِزُّ الْأَنَامِ

[مجزوء الكامل]

فاستحسنها الفضل بن مروان، وأوصلها إلى المعتصم قبل أن يُقال في بناء سُرَّ من رأى شيء، فكانت أول ما أُشيد في هذا المعنى من الشعر، فبَرَّك بها، وأمر لخالد بخمسة آلاف درهم.

وذكر ذلك كله إسماعيل بن يحيى الكاتب.

وذكر اليوسفي صاحب الرسائل أن خالداً قال أيضاً في ذلك:

بَيْنَ صَفْوِ الزَّمَانِ عَنْ كَدَرِهِ فِي ضَحَكَاتِ الرَّبِيعِ عَنْ زَهْرِهِ
يَا سُرَّ مَنْ رَا بُورَكَتٍ مِنْ بَلَدِ بُورِكَ فِي نَبْتِهِ وَفِي شَجَرِهِ
عَرَسُ جُدُودِ الْأَنَامِ نَكَبَتْهَا بَابِكَ وَالْمَازِيَّارَ مِنْ ثَمَرِهِ^(٢)
فَالْفَتْحُ وَالنَّصْرُ يَنْزِلَانِ بِهِ وَالْخِصْبُ فِي تَرْبِهِ وَفِي شَجَرِهِ

[المنسرح]

فغنى مخارق في هذه الأبيات، فسأله المعتصم: لمن هذا الشعر؟ فقال: لخالد يا أمير المؤمنين، قال: الذي يقول:

كَيْفَ تُرْجَى لَذَاذَةُ الْإِغْتِمَاضِ^(٣) لِمَرِيضٍ مِنَ الْعَيُونِ الْمِرَاضِ؟

[الخفيف]

فقال محمد بن عبد الملك: نعم يا أمير المؤمنين، هو له، ولكن بضاعته لا تزيد على أربعة أبيات، فأمر له المعتصم بأربعة آلاف درهم، وبلغ خالداً الخبرُ فقال

(١) الماحوزة: موضع قرب سر من رأى في العراق.

(٢) بابك الخرمي، كان من قواد المعتصم، طمع بما نال من منزلة لدى الخليفة فانقلب عليه، ثم جاهر بدعوته إلى المجوسية فقضى عليه الخليفة المعتصم. ومازيار فارسي دعا إلى الديانة المجوسية، فقضى عليه وعلى حركته الخليفة المعتصم، ولقد جلد فمات تحت السياط الأربعمائة والخمسين.

(٣) الاغتماض: النوم.

لأحمد بن عبد الوهَّاب صاحب محمد بن عبد الملك: قل لأبي جعفر أعزَّه الله: إذا بلغت المراد في أربعة أبيات فالزيادة فضل.

دِعبِل ينصح خالدًا:

قال اليوسفي: ولما قال خالد في صفة سرٍّ من رأى قصيدته التي يقول فيها:

إسْقِنِي فِي جَرَّائِرٍ^(١) وَزِقَاقٍ^(٢) لَتَلَا فِي السَّرُورِ يَوْمَ التَّلَاقِ
مِنْ سُلَافٍ كَأَنَّ فِي الْكَأْسِ مِنْهُ عَبْرَاتٍ مِنْ مُقْلَتِي مُشْتَاقٍ
فِي رِيَاضٍ بِسُرٍّ مِنْ رَا إِلَى الْكَرِّ خ وَدَعْنِي مِنْ سَائِرِ الْآفَاقِ
بِأَذْكَارَاتٍ كُلِّ فَتَحٍ عَظِيمٍ لِإِمَامِ الْهَدْيِ أَبِي إِسْحَاقِ
[الخفيف]

وهي قصيدة، لقيه دِعبِل فقال: يا أبا الهيثم، كنت صاحب مقطعات، فداخلت الشعراء في القصائد الطوال، وأنت لا تدوم على ذلك، ويوشك أن تتعب بما تقول وتُغلب عليه، فقال له خالد: لو عرفتُ النُصح منك لغيري لأطعتك في نفسي.

خالد يهجو الحلبي الشاعر:

قال اليوسفي: وحدثني أبو الحسن الشهرزاني:

أن خالدًا وقع بينه وبين الحلبي الشاعر الذي يقول فيه البحرّي:

سَلِ الْحَلْبِيَّ عَنْ حَلَبٍ

خِلَافٌ فِي مَعْنَى شِعْرِي، فقال له الحلبي: لَا تَعُدْ طَوْرَكَ فَأُخْرِسَكَ، فقال له خالد: لَسْتُ هُنَاكَ، وَلَا فِيكَ مَوْضِعٌ لِلْهَجَاءِ، وَلَكِنْ سَتَعْلَمُ أَنِّي أَجْعَلُكَ ضُحْكَةً سَرًّا مِنْ رَأْيٍ، وَكَانَ الْحَلْبِيُّ مِنْ أَوْسَخِ النَّاسِ، فَجَعَلَ يَهْجُو جُبَّتَهُ وَثِيَابَهُ وَطِيلَسَانَهُ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ:

وَشَاعِرٍ ذِي مَنْطِقٍ رَائِقٍ فِي جُبَّةٍ كَالْعَارِضِ الْبَارِقِ
قَطْعَاءَ شَلَاءٍ رِقَاعِيَّةٍ^(٣) دَهْرِيَّةٍ^(٤) مُفْرِقَةِ الْعَاتِقِ
[السريع]

(١) الجرائر، الواحدة جرّة: إناء من خزف له بطن كبير وعروتان وفم واسع.

(٢) الزقاق، الواحد زق، بكسر الزاي: الدنّ، وعاء الخمرة.

(٣) رِقَاعِيَّة: أي كثيرة الرقاع.

(٤) دَهْرِيَّة: عادية، قديمة جدًا.

وقوله :

وشاعرٍ مُقَدِّمٍ له قومٌ
قد ساعدوه في الجوع كلُّهم
يأتيك في جُبَّةٍ مُرَقَّعةٍ
وطيلسانٍ كالآلِ يَلْبَسُهُ
من حلبٍ في صميمِ سفلتها

ليس عليهم في نصره لومٌ
فَقَرًّا فكلُّ غداؤه الصَّومُ
أطولُ أعمارٍ مثلها يومٌ
على قميص كأنه غيمٌ
غناه فقرٌ وعِزُّه ضيمٌ

[المنسرح]

قال : وقال فيه :

تاهَ على ربِّه فأفقره
فصار من طول حُرْفَةٍ^(١) علماً
يا حلبياً قضى الإله له
لو خالطوه بالملك^(٢) وسَّخه

حتى رآه الغنى فأنكره
يقذفه الرزقُ حيث أبصره
بالتَّيه والفقر حين صوره
أو طرحوه في البحرِ كدره

[المنسرح]

إبراهيمُ بنُ المهديِّ يُعطيهِ ثمنَ منزل :

حدثني جحظة ، قال :

حدثني خالد الكاتب ، قال : دخلت على إبراهيم بن المهدي ، فاستنشدني ،
فقلت : أيُّها الأميرُ ، أنا غلام أقول في شجون نفسي ، لا أكاد أمدح ولا أهجو ، فقال :
ذلك أشد لدواعي البلاء ، فأنشدته :

صوت

عاتبْتُ نفسي في هوا
وأطعتُ داعيها إليك
لا والذي جعلَ الوجو
لا قلتُ : إن الصبر عنك
لُك فلم أجدها تقبلُ
ولم أطع من يعذلُ
هَ لحسن وجهك تمثُلُ^(٣)
من التصابي أجملُ

[مجزوء الكامل]

(١) الحُرْفَةُ : الحرمان وسوء الحظِّ .

(٢) الملك ، بالفتح : مياه الآبار .

(٣) تمثُلُ النجوم : تختفي في حال إشراق وجه من أحبَّ الشاعر لعظم حاله .

لجحظة في هذه الأبيات رمل مطلق بالوسطى .

قال: فبكى إبراهيم وصاح: وايي عليك يا إبراهيم، ثم أنشدته أبياتي التي أقول فيها:

وبكى العاذل من رحمتي فبكائي لبكا العاذل
[المديد]

وقال إبراهيم: يا رشيئ، كم معك من العين؟ قال: ستمائة وخمسون ديناراً، قال: اقسّمها بيني وبين الفتى، واجعل الكسر له صحيحاً، فأعطاني ثلاثمائة وخمسين ديناراً، فاشترت بها منزلي بساباط^(١) الحسن والحسين، فواراني إلى يومي هذا.

شعره عزيز عليه:

حدثني جحظة قال:

حدثني خالد الكاتب، قال: قال لي عليّ بن الجهم: هب لي بيتك الذي تقول فيه:

ليت ما أصبح من رقة خديك بقلبك
[مجزوء الرمل]

فقلت: يا جاهل هل رأيت أحداً يهب ولده؟

سالم . . . فحورب:

وقال أحمد بن إسماعيل الكاتب:

لقيت خالداً الكاتب ذات يوم، فسألته عن صديق له، وكان قد باعده ولم أعلم، فأنشأ يقول:

ظعن الغريب لغيبة الأبد	حي المخافة نائي البلد
حيران يؤنسه ويكلؤه	يوم توعّده بشرّ غد
سنح ^(٢) الغراب له بأنكر ما	تغدو النحوس به على أحد
وابتاع أيمنه بأشأمه الـ	جد العثور له يداً بيد
حتى يُنيخ بأرض مهلكة	في حيث لم يُولد ولم يلد

(١) الساباط: سقيفة بين دارين تحتها طريق نافذ.

(٢) سنح: بدا، ظهر.

جَزَعْتُ حَلِيلَتُهُ عَلَيْهِ فَمَا تَخْلُو مِنَ الزَّفَرَاتِ وَالْكَمَدِ
 نَزَلَ الزَّمَانُ بِهَا فَأَهْلَكَهَا مِنْهُ وَأَهْدَى الْيُتَمَ لِلْوَلَدِ
 ظَفَرْتُ بِهِ الْأَيَّامُ فَاِنْحَسَرْتُ عَنْهُ بِنَاقِرَةٍ^(١) وَلَمْ تَكْدِ
 فَتَرْكُنَ مِنْهُ بَعْدَ طَيِّتِهِ^(٢) مِثْلَ الَّذِي أَبْقَيْنَ مِنْ لُبَدٍ^(٣)
 [الكامل]

قال: فقلت له: يا أبا الهيثم، مُدَّكم دخلت في قول الهجاء؟ قال: مذ سالمْتُ
 فحُوربت وصافيتُ فنُوفقت.

غرامه بالغلّمان المرد:

وقال الرياشي: كان خالد مُغرماً بالغلّمان المُرد، يُنفق عليهم كلّ ما يفيد، فهو ي
 غُلاماً يُقال له عبد الله، وكان أبو تمام الطائي يهواه، فقال فيه خالد:

قَضِيْبُ بَانَ جَنْبَاهُ وَرَدُّ تَحْمَلُهُ وَجَنَّةٌ وَخَدُّ
 لَمْ أَثْنِ طَرْفِي إِلَيْهِ إِلَّا مَاتَ عَزَاءً وَعَاشَ وَجَدُّ
 مُلِّكَ طَوْعَ النَفُوسِ حَتَّى عَلَّمَهُ الزَّهْوَ حِينَ يَبْدُو
 وَاجْتَمَعَ الصَّدْفُ فِيهِ حَتَّى لَيْسَ لَخَلْقٍ سِوَاهُ صَدُّ
 [مخلع البسيط]

فبلغ أبا تمام ذلك فقال فيه أبياتاً منها:

شِعْرُكَ هَذَا كُلُّهُ مُفْرَطٌ فِي بَرْدِهِ يَا خَالِدُ الْبَارِدُ
 [مخلع البسيط]

فعلمها الصبيان، فلم يزالوا يصيحون به: يا خالدُ يا باردُ، حتى وسوس، قال:
 ومن الناس من يزعم أن هذا السباب كان بينه وبين رجل غير أبي تمام، وليس الأمر
 كذلك. قد هجا أبا تمام في هذه القصة فقال فيه:

يَا مَعْشَرَ الْمَرْدِ إِنِّي نَاصِحٌ لَكُمْ وَالْمَرْءُ فِي الْقَوْلِ بَيْنَ الصَّدْقِ وَالْكَذِبِ
 لَا يَنْكِحَنَّ حَبِيباً مِنْكُمْ أَحَدٌ فَإِنْ وَجَعَاءَهُ أَعْدَى مِنَ الْجَرَبِ
 لَا تَأْمَنُوا أَنْ تَحُولُوا بَعْدَ ثَالِثَةٍ فَتَرْكَبُوا عُمُداً لَيْسَتْ مِنَ الْخَشَبِ
 [البسيط]

(١) الناقرة: المصيبة العظيمة. (٢) الطية: بغية المرء ونيتة.

(٣) لُبد: آخر نسر من نسور لقمان، وقد هلك بعد عمر مديد.

جَدُّ الْأَدَبِ وَهَزَلُهُ جِدٌّ:

حدثني محمد بن يحيى الصولي، قال: حدثني الحسن بن إسحاق، قال:

حدثني خالد الكاتب، قال: لما بُويعَ إبراهيمُ بنُ المهديّ بالخلافة طلبني، وقد كان يعرفني، وكنت متصلاً ببعض أسبابه، فأدخلت إليه فقال لي: أنشدني يا خالدُ شيئاً من شعرك، فقلت: يا أمير المؤمنين، ليس شعري من الشعر الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «إِنْ مِنْ الشَّعْرِ لِحُكْمًا»^(١)، وإنما أُمزح وأهزل، فقال: لا تقل هذا، فإن جدَّ الأدب وهزله جدٌّ، هاتِ أنشدني، فأنشدته:

عِشْ فُحْبِيكَ سَرِيعاً قَاتِلِي وَالضُّنَى إِنْ لَمْ تَصْلُنِي وَاصِلِي
ظَفِرَ الشَّوْقُ بِقَلْبِ دَنْفٍ^(٢) فِيكَ وَالسَّقَمُ بِجَسْمِ نَاحِلِ
فَهَمَا بَيْنَ اكْتِنَابِ وَضُنَى تَرَكَانِي كَالْقَضِيبِ الذَّابِلِ
[الرمْل]

قال: فاستملح ذلك ووصلني.

يَا خَالِدُ يَا بَارِدُ:

حدثني حمزة بن أبي سلالة الشاعر الكوفي، قال: دخلت بغداداً في بعض السنين، فبينما أنا مارٌّ بجُنيّة إذا أنا برجل عليه مُبَطَّنة نظيفة، وعلى رأسه قلنسية سوداء، وهو راكب قصبه، والصبيان خلفه يصيحون به: يا خالدُ يا باردُ، فإذا أذوه حمل عليهم بالقصبه، فلم أزل أطردهم عنه حتى تفرّقوا، وأدخلته بُستاناً هناك، فجلس واستراح، واشتريت له رطباً فأكل، واستنشدته فأنشدني:

قَدْ حَازَ قَلْبِي فَصَارَ يَمْلِكُهُ فَكَيْفَ أَسْلُو وَكَيْفَ أَتَرْكُهُ؟
رَطِيبُ جَسْمٍ كَالْمَاءِ تَحْسَبُهُ يَخْطِرُ فِي الْقَلْبِ مِنْهُ مَسْلَكُهُ
يَكَادُ يَجْرِي مِنَ الْقَمِيصِ مِنَ النَّعْمَةِ لَوْلَا الْقَمِيصُ يُمَسِّكُهُ
[المنسرح]

فاستزدته فقال: لا ولا حرف.

يُعْطَى ثِيَاباً فَيَخْلَعُهَا عَلَى غُلَامٍ يُحِبُّهُ:

وذكر علي بن الحسين بن أبي طلحة، عن أبي الفضل الكاتب:

(١) الحُكْم، بضم الحاء: العلم والتَّفَقُّه، وهو بمعنى الحكمة أيضاً.

(٢) قلب دنف: أضناه الحب والشوق.

أنه دعا خالداً ذات يوم، فأقام عنده، وخلع عليه، فما استقر به المجلس حتى خرج، قال: فأتبعته رسولاً ليعرف خبره، فإذا هو قد جاء إلى غلام كان يُحبه، فسأل عنه، فوجد في دار القمار، فمضى إليه حتى خلع عليه تلك الثياب، وقبله وعانقه، وعاد إلينا، فلما جاز خالدٌ أعطاه الغلام الذي وجَّهنا به دنانير، ودعاه فجاء به إلينا، وأخفيناه، وسألنا خالداً عن خبره فكتمه وجمجم^(١)، فغمزنا الرسول فأخرجه علينا، فلما رآه خالد بكى ودهش، فقلنا له: لا تُرْعَ فَإِنَّ مِنَ الْقِصَّةِ كَيْتَ وَكِيتَ، وإنما أردنا أن نعرف خبرك لا أن نسوءك، فطابت نفسه وأجلسه إلى جنبه، وقال: قد بُليت بحبه، وبالخوف عليه مما قد بُلي به من القمار، ثم أنشد لنفسه فيه:

مُحِبُّ شَفِّهِ أَلُمُّهُ	وخامرَ جسمَه سَقَمُهُ
وباح بما يُجمِجُمُهُ	من الأسرار مُكْتَمُهُ
أما تُرْثِي لمُكْتَبِ	يُحِبُّكَ لَحْمُهُ وَدُمُهُ
يَغَارُ عَلَى قَمِيصِكَ حَيٍّ	نَ تَلْبَسُهُ وَيَتَّهَمُهُ

[مجزوء الوافر]

يقول عن نفسه: إنه مجنون:

وذكر علي بن الحسين أيضاً أن محمد بن السري حدثه: أنه أطلال الغيبة عن بغداد، وقد وسوس خالد، فمرَّ به في الرُصافة، والصبيان يصيحون به: يا غلامُ الشُّرِيطي، يا خالدُ يا باردُ ويرجع عليهم فيضربهم ويزيد ويرميهم، قال: فقلت له: كيف أنت يا أبا الهيثم؟ قال: كما ترى فقلت له: فَمَنْ تُعَاشِرُ الْيَوْمَ؟ قال: مَنْ أَحْذَرُهُ. فعجبت من جوابه مع اختلاله، فقلت له: ما قلتَ بعدي من الشعر؟ قال: ما حفظه الناسُ وأُنسيته وعلى ذلك قولِي:

كَبِدُ شَفِّهَا غَلِيلُ التَّصَابِي	بين هَجَرٍ وَسُخْطَةٍ وَعِتابِ
كُلُّ يَوْمٍ تَدْمَى بِجَرَحِ مَنْ الشَّو	ق ونوعٍ مَجْدَدٍ مِنْ عَذَابِ
يا سَقِيمَ الْجَفُونِ أَسَقَمَتِ جِسْمِي	فأشْفِنِي كَيْفَ شِئْتُ، لا بِكَ ما بي
إِنْ أَكُنْ مُذْنِباً فَكُنْ حَسَنَ الْعَفْ	وَأَوْجَعْلُ سِوَى الصَّدُودِ عِقَابِي

[الخفيف]

ثم قال: يا أبا جعفر، جُنُنْتُ بَعْدَكَ، فقلت: ما جعلك الله مجنوناً، وهذا كلامك لي ونظمك.

(١) جمجم: نطق بكلام لا يفهم.

تنسب الشمس إلى جوهرة :

حدثني محمد بن الطلاس أبو الطيب، قال :

حضرت جنازة بعض جيرانني، فلقيتُ خالداً في المقبرة، فقبضت عليه وقلت :
أنشدني، فذهب ليهرب مني، فغمزت على يده غمزة أوجعته، فقال : خلّ عني
أنشدك، فأرخيت يدي عن يده، فأنشدني :

لَمْ تَرَ عَيْنَ نَظَرْتِ أَحْسَنَ مِنْ مَنْظَرِهِ
النُّورَ وَالنَّعْمَةَ وَالنَّ عَمَّةً فِي مَخْبَرِهِ
لَا تَصِلُ الْأَلْسُنُ بِالْ وَصَفٍ إِلَى أَكْثَرِهِ
كَيْفَ بَمَنْ تَنْتَسِبُ الشَّمْسُ إِلَى جَوْهَرِهِ !

[مجزوء الرجز]

لا يهتضم حقه :

حدثني عمّي، رحمه الله، قال : مرّ بنا خالد الكاتب هاهنا، والصبيان خلفه
يصيحون به، فجلس إليّ فقال : فرق هؤلاء عني، ففعلتُ، وألحّت عليه جارية
تصيح : يا خالد يا بارد، فقال لها :

مَرِي مُنْتَنَةَ الْكُسِّ وَيَا مَنْ كُسُّهَا دَسُّ

[الهزج]

فقلت له : يا أبا الهيثم أي شيء معنى دَسُّ هاهنا؟ قال : تشتهي الأير الصغير
والكبير والوسط ولا تكره منها شيئاً. وأقبل الصبيان يصيحون بتلك الجارية بمثل ما
قال لها خالد، وهي ترميهم وتهرب منهم حتى غابوا معها عنا، فأقبل عليّ خالد
متمثلاً، فقال :

وَمَا أَنَا فِي أَمْرِي وَلَا فِي خُصُومَتِي بِمَهْتَضِمِ حَقِّي وَلَا قَارِعِ سَنِّي

[الطويل]

فاحتبسته عندي يومي ذلك، فلما شرب وطابت نفسه أنشدنا لأبي تمام :

أَحْبَابَهُ لَمْ تَفْعَلُونَ بِقَلْبِهِ مَا لَيْسَ يَفْعَلُهُ بِهِ أَعْدَاؤُهُ؟
مَطَرٌ مِنَ الْعِبَرَاتِ خَدِّي أَرْضَهُ حَتَّى الصَّبَاحِ وَمُقْلَتَايَ سَمَاؤُهُ
نَفْسِي فِدَاءٌ مُحَمَّدٍ وَوَقَاؤُهُ وَكَذَبْتُ مَا فِي الْعَالَمِينَ فِدَاؤُهُ
أَزْعَمْتُ أَنَّ الْبَدْرَ يَحْكِي وَجْهَهُ وَالْغَصْنَ حِينَ يَمِيدُ، فِيهِ مَاؤُهُ

أسكت فأين بهأؤه وكمأله وجماله وحيأؤه وضيأؤه؟
لا تقر أسماء الملاحه باطلاً في من سواه فإنها أسماؤه
[الكامل]

ثم قال : وقد عارضه أبو الهيثم - يعني خالد نفسه - فقال :

فديتُ محمداً من كل سؤ يُحاذر في رواح أو غُدو
أيا قمر السماء سُفِلَتْ حتى كأنك قد ضجرت من العلو
رأيتُك من حبيبك ذا بعادٍ وممن لا يُحبُّك ذا دُنو
وحسبُك حسرةً لك من حبيب رأيتَ زمامه بيدي عُدو
[الوافر]

هكذا أخبرني عمي عن خالد، وهذه الأبيات أيضاً تروى لأبي تمام.

شعره في صديقه العليل :

وقال ابن أبي طلحة : حدثني الهاللي، قال : مررت بخالد وحوله جماعة
يُنشدهم، فقلت له : يا أبا الهيثم، سلوت عن صديقك، قال : لا والله، قلت : فإنه
عليل وما عُدته، فسكت ساعة ثم رفع رأسه إليّ، وقال :

زعموا أنني صحوث وكلاً أشهد الله أنني لن أملاً
كيف صبري عمّن إذا ازداد تيهاً أبداً زدته خضوعاً وذلاً
[الخفيف]

ثم قال : احفظ، وأبلغه عني :

بجسمي لا بجسمك يا عليل ويكفيني من الألم القليل
تعداك السقام إليّ إنني على ما بي لعادته حمول
إذا ما كنت يا أملي صحيحاً فخالقني وسالمك النحول
ألست شقيق ما ضمت ضلوعي؟ على أنني لعلتك العليل
[الوافر]

عند علي بن المعتصم :

قال : وحدثني العباس بن يحيى : أنهم كانوا عند علي بن المعتصم، فعُني في
شعر لخالد، فأمر بإحضاره، وطلب فلم يوجد، فوجه إلى غلام كان يتعشقه،
فأحضر، وسأله عنه فدل عليه وقال : كنا نشرب إلى السحر، وقد مضى إلى حمام

فلان، وهو يخرج ويجلس عند فلان الفقاعي^(١)، ودكانه مألّف للغلمان المُرْد والمغنين، فبعث إليه فأحضر، فلما جلس أخرج عليّ بن المعتصم الغلام، وقال: هذا دُلْنَا عليك، وهو يزعم أنك تعشقه، فقال له الغلام: نعم أيُّها الأمير لو لم يكن في نصيحتي إياي إلا أنه إذ لم يوجَد أحضرت وسُئلت عنه، فأقبل عليه خالد وقال:

يا تاركَ الجسمِ بلا قلبٍ إن كنتُ أهواك فما ذنبي؟
يا مُفرداً بالحُسنِ أفردتني منك بطولِ الشوق والحُبِّ
إن تَكُ عيني أبصرت فتنةً فهل على قلبي من عتبٍ؟!
حَسِبُكَ اللَّهُ لما بي كما أنك في فعلك بي حَسبي
[السريع]

لجحظة فيه رمل، فاستحسن عليّ الشعر، وأمر له بخمسين ديناراً.

ما يُبالي إذا شرب ما قال ولا من هتك:

قال: وحدثني ابن أبي المدوّر: أنه شهد خالداً عند عبد الرحيم بن الأزهر الكاتب، وأنه دخل عليهم غلام من أولاد الكتاب، فلما رأى خالداً أعرض عنه، فقلت له: لِمَ أعرضت عن أبي الهيثم؟ فقال: والله لو علمت أنه هاهنا ما دخلت إليكم، ما يُبالي إذا شرب هذين القدحين ما قال ولا مَنْ هتك، فقال لي خالد: ألا تُعيّني على ظالمي؟ فقلت: بلى والله أعينك، فأقبل على الفتى وقال:

صوت

هَبْنِي أَسْأْتُ فَكَانَ ذَنْبُ بي مثلَ ذنبِ أبي لهبٍ
فَأَنَا أَتُوبُ وَكَمْ أَسْأُ تُ وَكَمْ أَسْأْتُ وَلَمْ تَتُبْ

[مجزوء الكامل]

فما زلنا مع ذلك الفتى نُداريه ونستعطفه له حتى أقبل عليه، وكلمه وحادثه، فطابت نفسه، وسُرَّ بقيّة يومه.

في هذين البيتين لأبي العُبَيْس خفيف رمل بالسبابة في مجرى الوسطى، ولرذاذ خفيف رمل مطلق.

(١) الفقاعي: يُنسب إلى الفقاع، وهو شراب يتخذ من الشعير.

لو كان ميتاً ونادته للبَّاهَا :

وحدثني عبد الله بن صالح الطوسي :

أن علي بن المعتصم دعا خالداً يوماً، وهو يشرب، وقد أخرجت إليه وصيفةً من وُصفاء حظيته تُفاحَةً معضوذة مغلقة بغالية^(١) بعثت بها إليه سِتُّها، فقال :

تفاحَةٌ جُرِّحتْ بالدرِّ من فيها	أشهى إليَّ من الدنيا وما فيها
بيضاء في حُمرةٍ عُلَّتْ ^(٢) بغالية	كأنما قُطِفَتْ من خدِّ مُهديها
جاءت بها قينةٌ من عند غانيةٍ	روحي من السوء والمكروه تفديها
لو كنتُ ميتاً ونادتنِي بنُعمتها	إذاً لأسرعتُ من لحدي ألبَّيها

[البسيط]

فاستحسن عليُّ بن المعتصم الأبيات وغنى فيها، وأمر له بتخت ثياب وخمسين ديناراً.

(١) الغالية: ضرب من الطيب غالي الثمن.

(٢) عُلَّتْ: أشربت ورويت.

أخبار المسدود

اسمه وكنيته :

المَسْدُود من أهل بغداد، وكان منزله في ناحية درب المفضل، في الموضع المعروف بخراب المسدود، منسوب إليه، وأخبرني جحظة أن اسمه الحسن، وكنيته أبو علي، وأن أباه كان قصّاباً، وأنه كان مسدوداً فردّ منخر، ومفتوح الآخر، وكان يقول: لو كان منخري الآخر مفتوحاً لأذهلت بغنائي أهل الحُلوم وذوي الألباب، وشغلت من سمعه عن أمر دينه ودنياه ومعاشه ومعاده، قال جحظة: وكان أشجى الناس صوتاً، وأحذره نادرة، ولم يكتسب أحد من المغنين بطنبور ما كسبه، وكان مع يساره وقلة نفقته يقرض بالعينه^(١)، وكانت له صنعة عجيبة، أكثرها الأهزاج، قال جحظة: قال لي مخارق غلامه: قال لي وقد صنع هذين البيتين وهما جميعاً هزج:

صوت

من رأى العيس عليها الرّحال إضمّ قَصْدٌ لها أم أثال
لست أدري حيث حلّوا ولكن حيث ما حلّوا فثمّ الجمال
[المديد]

والآخر:

عُجْ بنا نجن بطرف الـ عَيْنِ تُفّاح الخدود
وَنُسَلُّ القلب عمّن حَظْنا منه الكُود
[مجزوء الرمل]

والله لا تركت بعدي من يَهْزَج. قال جحظة: والله ما كذب.

الواقق ينفيه ثم يستدعيه :

أخبرني جحظة قال: كان الواقق قد أذن لجلسائه ألا يردّ أحد نادرة عن أحد يُلاعبه، فعنى الواقق يوماً:

(١) يقرض بالعينه: يُدَيِّن برّبا يأخذ فيه زيادة بسبب التأجيل.

نظرتُ كأنني من وراء زجاجةٍ إلى الدار من ماء الصبابة أنظرُ
وقد كان النبيذ عمِل فيه وفي الجلساء، فانبعث إليه المسدود، فقال: أنت تنظر
أبداً من وراء زجاجة، إن كان في عينك ماءً صباباً أو لم يكن، فغضب الواصل من
ذلك، وكان في عينيه بياض، ثم قال: خذوا برجل العاصِ بظرَ أمه، فسحب من بين
يديه، ثم قال: يُنفى إلى عُمان الساعة، فنفى من وقته، وحُدر ومعه الموكلون، فلما
سَلَموه إلى صاحب البصرة سألَه أن يُقيم عنده يوماً ففعل، فلما جلسوا للشراب ابتدأ
فقال: احذروني يا أهل البصرة على حرمكم، فقد دخلت إلى بلدكم وأنا أزنى خلق
الله، قال: فقال له الجمّاز: أما يعني أنه أزنى خلق الله أمّا؟ فغضب المسدود وضرب
بطنبوره الأرض، وحلف ألا يُغني، فسأله الأمير أن يُقيم عنده، وأمر بإخراج الجمّاز
وكلّ من حضر، فأبى ولجّ، فأحدره إلى عُمان.

ومكث لا يُسأل عنه سنةً، ثم اشتاقه فكتب في إحضاره، فلما جاءه الرسولُ
ووصل إلى الواصل قبل الأرض بين يديه، فاعتذر من هفوته، وشكر التفضل عليه،
فأمره بالجلوس ثم قال له: حدثني بما رأيت بعدي، فقال: لي حديث ليس في
الأرض أظرفُ منه، وأعاد عليه حديثه بالبصرة، فقال له الواصل: قَبَّحَ اللهُ، ما
أجهلك، وملك، فأنت سَوْقة، وأنا مَلِك، وكنتَ صاحباً وكنتَ منتشياً، وبدأت القوم
فأجابوك فبلغ بك الغضب ما ذكرته، وما بدأتك فتُجيبني، وبدأتني من المرح بما لا
يحتمله النظر لنظيره، وملك لا تُعاود بعدها مَمازحة خليفته وإن أذن لك في ذلك،
فليس كلُّ أحد يحضره حلمه كما حضرنى فيك.

من المسدود في الأنف إلى المسدود في العين:

أخبرني محمد بن يحيى الصولي، قال: حدثني عون بن محمد، قال: سمعت
حمدون بن إسماعيل، يقول:

لم يكن أحد في الخلفاء أحلم من الواصل ولا أصبر على أذى وخلاف، كان
يُعجبه غناء أبي حشيشة الطنبوري، فوجد^(١) المسدود من ذلك، فكان يبلغه عنه ما
يكره، ويتجاوز، وكان المسدود قد هجا أبي بيتين، فكانا معه في رقعة، وفي رقعة
أخرى حاجة له يُريد أن يدفعها إليه، فغلط بين الرقعتين، فناوله رقعة الشعر وهو يرى
أنها رقعة الحاجة، فقرأها وفيها:

من المسدود في الأنف إلى المسدود في العين

(١) وجد: حقد وحزن.

أَنَا طَبِّبْتُ لَهُ شَقًّا فَيَا طَبِيباً بِشَقِّينِ

[الهمز]

فلما قرأ الرقعة علم أنها فيه فقال للمسدود: غلطت في الرقعتين، فهات الأخرى وخذ هذه، واحترز من مثل هذا. واللّه ما زاده على هذا القول.

طرائف للمسدود:

أخبرني جحظة قال: تحدّث المسدود في مجلس المنتصر بحديث، فقال له المنتصر: متى كان ذلك؟ قال: ليلة لا ناه ولا زاجر، يُعرّض له بليلة قتل فيها المتوكل، فأغضى المنتصر واحتمله.

قال: وقالت الذكورية يوماً بين يدي المعتمد: غنّ يا مسدود، قال: نعم يا مفتوحة!!

وقالت له امرأة: كيف آخذُ إلى شجرة بابك؟ قال: قُدّامك أطعمك الله من ثمرها!!

قال: وغنى بين يدي المتوكل فسكّته، وقال لبكران الشيربي: تغنّ أنت، فقال المسدود: لغناء احتاج إلى مستمع، فلم يفهم المتوكل كل ما قال.

وقدّم إليه طبّاخ المتوكل طبقاً وعليه رغيفان، ثم قال له أي شيء تشتهي حتى أجيئك به؟ قال: خبزاً، فبلغ ذلك المتوكل فأمر بالطباخ فضرب مائتي مفرعة!!

قال جحظة: وحدثني بعض الجلساء: أنه لما وضع الطباخ الرغيفين بين يديه، قال له المسدود: هذا جرّز فأين النّير؟

قال: ودعاه بجار حدّاه أو غيره، فأهدى له برذوناً^(١) أشهب، فارتبطه ليلته، فلما كان من غد نفق، وبعث إليه يدعوه بعد ذلك، فكتب: أنا لا أمضي إلى من يعرف آجال الدواب، فيهب ما قرب أجله منها!

قال: واستوهب من بعض الرؤساء وبراً فأعطاه سموراً قد قرع^(٢) بعضه، فردّه وقال: ليس هذا سموراً، هذا أشكر^(٣)!!

(١) البرذون: البغل.

(٢) قرع بعض شعره: انحسر.

(٣) الأشكر من الجلود: الأبيض.

صوت

أَجِدَّكَ مَا تَعْفُو كُلُّوْمُ مُصِيبَةً عَلَى صَاحِبٍ إِلَّا فُجِعْتَ بِصَاحِبٍ
تَقَطَّعُ أَحْشَائِي إِذَا مَا ذَكَرْتُكُمْ وَتَنْهَلُ عَيْنِي بِالدَّمْعِ السَّوَكَبِ
[الطويل]

عروضه من الطويل ، الشعر لسلمة بن عيَّاش ، والغناء لحكم ، وله فيه لجنان
بالبنصر وهزج بالوسطى .

أخبار سلمة بن عيَّاش

اسمه ونسبه :

سلمةُ بن عيَّاش مولى بني حِسل بن عامر بن لؤيٍّ، شاعر بصريٍّ، من مخضرمي الدولتين، وكان يتدين ويتصوَّن، وانقطع إلى جعفر ومحمد ابني سُليمان بن عليٍّ بن عبد الله بن عباس، ومدحهما فأكثر وأجاد، ومما مدحهما به وفيه غناء قوله :

صوت

أَرَقْتُ وَطالَتْ ليلتي بِأَبانٍ لبرقِ سَرى بعدَ الهُدوِّ يمانِي
يُضيءُ بِأعلامِ المدينة هُمَداً إلى أَمَجٍ فالطَّلحِ طَلحِ قَنانِ
[الطويل]

غنَّى في هذين البيتين دَحمان، ولحنه ثَقيل أول بالوسطى عن عمرو، قال : وفيه لحن لِعُطَرْد يقول فيها :

ورَدْتُ خَليجي جَعفراً ومحمدٍ وَكُلُّ بَدِيٍّ من نَداهُ سَقاني
وَإِنِّي لأَرجو جَعفراً ومحمداً لأَفْضَلَ ما يُرجى لهُ مَلِكاني
هُما ابنا رسولِ اللَّهِ وابنا ابنِ عَمِّهِ فَقد كَرُمَ الجَدَّانِ والأَبوانِ
[الطويل]

ومنها ما ذكره محمد بن داود بن الجراح، قوله :

صوت

أَنارُ بَدَتِ وَهنا لَعينِكَ تُرْمَضُ بِبَغدادِ أُم سارِ مِنَ البرقِ مُومَضُ؟
يُضيئُ سَناه مُكفَهراً كَأَنه حَناتِمُ^(١) سوْدُ أو عِشارُ^(٢) تَمخَضُ^(٣)
[الطويل]

(١) الحناتم : السحب السوداء .

(٢) العِشار من الإبل : التي في شهرها العاشر من حملها .

(٣) تَمخَض : على وشك الوضع .

غنى فيهما عَطَرَد ثَقِيلاً أول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق يقول فيها:

ولولا انتظاري جعفرأ ونواله لما كان في بغداد ما أتبرّض^(١)
[الطويل]

وقد وجدت هذا الشعر لابن المولى في جامع شعره من قصيدة له، وأظن ذلك الصحيح، لا ما ذكر محمد بن داود من أنها لسلمة بن عيَّاش.

سلمة بن عيَّاش يُعطي الفرزدق بيتاً من الشعر:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثنا عمر بن شَبَّه وغيره، قال: قال سلمة بن عيَّاش، وذكر محمد بن داود، عن عسل بن ذكوان، عن أبي حاتم، عن الأصمعي.

عن سلمة بن عيَّاش مولى بني عامر بن لؤي، قال: دخلت على الفرزدق السجن، وهو محبوس، وقد قال قصيدته:

إن الذي سَمَكَ السماء بنى لنا بيتاً دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ
[الكامل]

وقد أفحِم وأَجَبَل^(٢)، فقلت له: ألا أَرَفِدُكَ؟ فقال: وهل ذاك عندك؟ فقلت: نعم، ثم قلت:

بيتُ زُرارة مُحْتَبٍ بِفِنَائِهِ وَمَجَاشِعُ وَأَبُو الْفَوَارِسِ نَهْشَلُ
[الكامل]

فاستجاد البيت وغازه قولي له، فقال لي: ممن أنت؟ فقلت: من قريش، فقال: كلَّ أير حمار من قريش، فمن أيها أنت؟ قلت: من بني عامر بن لؤي؟ قال: لئام واللَّهِ رَضَعُهُ^(٣)، جاورتهم بالمدينة فما أحمدتهم، فقلت: أَلَا مَ واللَّهِ منهم قومك وأَرْضَع، جاء رسولُ مالك بن المنذر، وأنت سيدهم وشاعرهم، فأخذ بأذنك يقودُك حتى احتبسك، فما اعترضه أحدٌ ولا نصرَكَ، فقال: قاتلك الله، ما أكرمك وأخذ البيت فأدخله في قصيدته.

(١) أتبرّض: أستعين به على الحياة مع قلته.

(٢) أجبل الشاعر: صعب عليه أن يُنشد الشعر.

(٣) الرضعة، الواحد رضع: لثيم الطبع.

سَلْمَةُ يُحِبُّ الْجَارِيَةَ بَرَبَرُ :

أخبرنا وكيع، قال: حدثني محمد بن سعد الكراني، قال: حدثنا سهل بن محمد، قال: حدثني العُتْبِيُّ، قال:

كان سلمة بن عيَّاش وأبو سُفْيَانَ بنُ العلاء عندَ محمد بنِ سليمان، وجاريةٌ تُغْنِيهِمْ وتسقيهم، يقال لها بَرَبَرُ، فقال سلمة:

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو مَا أَلاَقِي مِنَ الْقَلَى^(١) لِأَهْلِي وَمَا لَأَقِيتَ مِنْ حَبِّ بَرَبَرٍ
عَلَى حِينٍ وَدَعْتَ الصَّبَابَةَ وَالصَّبِي وَفَارَقْتَ أَخْدَانِي^(٢) وَشَمَرْتُ مِئْزَرِي
نَأَى جَعْفَرٍ عَنَا وَكَانَ لِمِثْلِهَا وَأَنْتَ لَنَا فِي النَّائِبَاتِ^(٣) كَجَعْفَرٍ
[الطويل]

قال: فقال محمد بن سليمان لسلمة: خُذْهَا فَهِيَ لَكَ، فاستحيا وارتدع وقال: لا أريدُها، فَالَحَّ عَلَيْهِ فِي أَخْذِهَا، فقال: أَعْتَقَ مَا أَمْلَكَ إِنْ أَخَذْتُهَا، فقال له أبو سُفْيَانَ: يَا سَخِينُ الْعَيْنِ أَعْتَقْ مَا تَمْلِكُ وَخُذْهَا فَهِيَ خَيْرٌ مِنْ كُلِّ مَا تَمْلِكُ، فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سُفْيَانَ رثاهُ سلمةُ فقال:

لَعَمْرُكَ لَا تَعْفُو كُلوْمُ مُصِيبَةٍ عَلَى صَاحِبٍ إِلَّا فُجِعتَ بِصَاحِبٍ
تَقْطَعُ أَحْشَائِي إِذَا مَا ذَكَرْتُكُمْ وَتَنْهَلُ عَيْنِي بِالدَّمْعِ السَّوَاكِبِ
وَكُنْتُ امْرَأً جَلْدًا عَلَى مَا يَنْوِبُنِي وَمَعْتَرِفًا بِالصَّبْرِ عِنْدَ الْمَصَائِبِ
فَهْدً أَبُو سُفْيَانَ رُكْنِي وَلَمْ أَكُنْ جَزُوعًا وَلَا مُسْتَنْكَرًا لِلنَّوَائِبِ
غَنِينَا مَعًا بَضْعًا وَسَتِينَ حِجَّةً خَلِيلِي صَفَاءً وَدُنَا غَيْرُ كَاذِبِ
فَأَصْبَحْتُ لَمَّا حَالَتِ الْأَرْضُ دُونَهُ عَلَى قُرْبِهِ مِنِّي كَمَنْ لَمْ أَصَاحِبِ
[الطويل]

وذكر محمد بن داود، عن عسل بن ذكوان:

أن محمد بن سليمان قال له: اختر ما شئتَ غيرها لأنَّ أبا أيوبَ قد وَطَّئَهَا.

سَلْمَةُ يَهْزَأُ بِأَبِي حَيَّةَ :

أخبرني علي بن سليمان الأخفش، قال: حدثني محمد بن يزيد النحوي قال: حَدَّثْتُ مِنْ غَيْرِ وَجْهَ :

(١) القلى، بكسر القاف: الإبعاد والإهمال. (٢) الأخدان، الواحد خدن: الأصحاب، الأصدقاء.

(٣) النائبات، الواحدة نائبة: المصائب، الويلات.

عن سلمة بن عيَّاش أنه قال: قلت لأبي حَيَّةَ النميريِّ أهزأ به: ويحك يا أبا حَيَّةَ أتدري ما يقول الناس؟ قال: لا، قلت: يزعمون أنني أشعرُ منك، قال: إنا لله، هلك والله الناس.

بربر دُرَّة الغواص:

وفي بربر هذه يقول سلمة بن عيَّاش، وفيه غناء، وذكر عمر بن شَبَّة أنه لمطيع بن إياس:

صوت

أظنُّ الحبَّ من وَجدي	سيقتلني على بَرَبَر
وبَرَبَر دُرَّة الغَوَا	ص من يملكها يُحَبَر
فخافي الله يا بَرَبَر	فقد أفتنت ذا العَسْكَر
بحسن الدَّلِّ والشَّكلِ	وريح المسك والعنبر
ووجهه يُشبه البدر	وعيني جُوذِرَ أَحْوَر

[مجزوء الوافر]

فيه لحكم ثلاثة ألحان: رمل مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق، وخفيف رمل عن هارون بن الزيات، وهزج عن أبي أيوب المدني.

الصَّحَّاف والجارية جوهر:

أخبرني إسماعيل بن يونس، قال: حدثنا عمر بن شَبَّة، قال:

بربر جارية آل سُلَيْمَانَ أُعْتِقَتْ، وكان لها جوارٍ مغنياتٌ فيهنَّ جارية اسمها جوهر، وكان في البصرة فتى يُعرف بالصَّحَّاف، حسنُ الوجه، فبلغ مطيع بن إياس أنه بات مع جوهر جارية بربر، فغاضه ذلك فقال:

ناك والله جَوهر الصَّحَّاف	وعليها قميصُها الأَفواف ^(١)
شام فيها أيراً له أضلاع	لم يَخُنه نقصٌ ولا إِخْطاف ^(٢)
زعموها قالت وقد غاب فيها	قائماً في قيامه استحْصاف ^(٣)

(١) الأفواف: الرقيق الشفاف.

(٢) الإخْطاف: الخطأ.

(٣) الاستحْصاف: الاستحكام.

بعض هذا، مهلاً، ترفّق قليلاً ما كذا يا فتى تُناك الظرافُ
[الخفيف]

بربر توجّه بجواريتها إلى عسكر المهديّ :

قال : وقال فيها وقد وجّهت بجواريتها إلى عسكر المهدي :

فخافى الله يا بربر	فقد أفسدت ذا العسكر
أفضت الفسق في الناس	فصار الفسق لا يُنكر
ومن ذا يملك الناس	إذا ما أقبلت بربر
وأعطاف جواريتها	كريح المسك والعنبر
وجوهر درة الغوا	ص من يملكها يُحبر ^(١)
ألا يا جوهر القلب	لقد زدت على الجوهر
وقد أكملك الله	بحسن الدلّ والمنظر
إذا غنّيت يا أحس	ن خلق الله بالموهر
فهذا حزنًا يبكي	وهذا طربًا يكفر
وهذا يشرب الكأس	وذا من فرح ينعر ^(٢)
ألا والله ما المهديّ أولى منك بالمنبر	
فما عشت فني كفي	ك خلع ابن أبي جعفر

[مجزوء الوافر]

قال : فبلغ ذلك المهديّ، فضحك وأمر لمطيع بصلة، وقال : أنفق هذا عليها
وسلّها ألا تخلعنا ما عاشت .

مطيع بن أياس يقول في جوهر :

قال : وفي جوهر يقول مطيع :

جارية أحسن من حليها	وفيه فضل الدرّ والجوهر
وجرمها ^(٣) أطيب من طيبها	والطيب فيه المسك والعنبر

(١) يُحبر : يسعد .

(٢) ينعر : يصرخ .

(٣) الجرم، بكسر الجيم : الجسد المتناسق البديع .

جاءت بها بربرٌ ممكورة^(١) يا حبّذا ما جلبت بربرٌ
[السريع]

قال: وقال فيها:

أنت يا جوهرٌ عندي جوهرٌ في بياض الدرّة المُشتهرة
وإذا غنّيت فنّارٌ أضرمت قدحْتُ في كلّ قلبٍ شرّره
[الرمّل]

صوت

يا عمود الإسلام خيرَ عمودٍ والذي صيغَ من حياءٍ وجُودٍ
إنّ يوماً أراك فيه ليومٌ طلعتْ شمسُه بسعد السعودِ
[الخفيف]

الشعر لأبي العتاهية يمدح به محمداً الأمين، والغناء لإسحاق ثقيّل أول بالبنصر
عن عمرو بن بانة.

(١) ممكورة: حسنة القوام، معتدلة الجسم.

أخبار لأم جعفر

أم جعفر تعطي أبا العتاهية عشرة آلاف درهم:

أخبرني محمد بن يحيى الصولي، قال: حدثنا العلاني، قال: حدثني محمد بن أبي العتاهية، قال:

لما جلس الأمين في الخلافة أنشده أبو العتاهية:

يا ابنَ عمِّ النبيِّ خيرَ البريِّه إنما أنت رحمةٌ للرعِيَّه
يا إمامَ الهدى الأمين المصفى بلُبابِ الخلافة الهاشميَّه
لك نفسٌ أمارةٌ لك بالخِيه روَّكفٌ بالمكرمات نديَّه
إن نفساً تحمَّلتُ منك ما حمَّلت للمسلمين نفسٌ قويَّه
[الخفيف]

قال: ثم خرج إلى دار أم جعفر، فقالت له: أنشدني ما أنشدت أمير المؤمنين، فأنشدتها، فقالت: أين هذا من مدائحك في المهدي والرشيدي؟ فغضب، وقال: إنما أنشدت أمير المؤمنين ما يُستملح، وأنا القائل فيه:

يا عمودَ الإسلام خيرَ عمودٍ والذي صيغ من حياء وجودٍ
والذي فيه ما يسلي ذوي الأح زان عن كل هالك مفقودٍ
والأمين المهذب الهاشمي القرم محض الآباء محض الجدود
إن يوماً أراك فيه ليومٌ طلعت شمسُه بسعد السعود
[الخفيف]

فقالت له أم جعفر: الآن وقيت المديح حقّه، وأمرت له بعشرة آلاف درهم.

تُغفل أبا العتاهية فيذكرها:

أخبرني محمد بن يحيى قال: حدثني محمد بن موسى اليزيدي، قال:

حدثني محمد بن الفضل، قال: كان المأمون يوجّه إلى أم جعفر زُبيدة في أول كل سنة بمائة ألف دينار جديداً وألف ألف درهم، فكانت تُعطي أبا العتاهية منها مائة

دينار وألف درهم، فأغفلته سنة، فدفعت إليّ رقعة وقال: ضعتها بين يديها، فوضعتها
وكان فيها:

خبروني أن في ضرب السنه جُداً بيضاً وُصُفراً حَسَنه
سَكَّكَأ قد أُحْدِثت لم أرها مثل ما كنت أرى كلَّ سَنه
[الرملة]

فقلت: إنا لله، أغفلناه، فوجَّهت إليه بوظيفة على يدي.

المأمون يحفو زُبيدة:

حدثني محمد بن موسى، قال: حدثنا جعفر بن الفضل بن الكاتب قال:
أَحَسَّتْ زُبَيْدَةُ مِنَ المَأْمُونِ بجفاء، فوجَّهت إلى أبي العتاهية تُعلمه بذلك، وتأمّره
أن يعمل فيه أبياتاً تُعْطِفُه عليها، فقال:

صوت

ألا إنَّ ريبَ الدهر يُدني ويُبعدُ ويؤنس بالآلاف طُوراً ويُفقدُ
أصابَت لريب الدهر مني يدي يدي فسَلَّمْتُ لالأقدار واللّه أحمَدُ
وقلتُ لريب الدهر إن ذهبَت يدُ فقد بَقِيَت والحمدُ لله لي يدُ
إذا بقى المأمونُ لي فالرشيْدُ لي ولي جعفرٌ لم يُفقدَا ومحمدُ
[الطويل]

الغناء لعلويه.

قال: فحسن موقع الأبيات منه، وعاد لها المأمون إلى أكثر مما كان لها عليه.

المأمون يرقّ لزُبيدة:

وجدت في كتاب محمد بن الحسن الكاتب:

حدثني هارون بن مخارق، قال: حدثني أبي قال: ظهرتْ لأمّ جعفر جفوةً من
المأمون، فبعثت إليّ بأبيات، وأمرتني أن أغنيَ فيها المأمون إذا رأيته نشيطاً،
وَأَسْنَتْ^(١) ليَ الجائزة، وكان كاتبها قال الأبيات. ففعلت، فسألني المأمون عن الخبر
فعرفته، فبكى ورقاً لها، وقام من وقته فدخل إليها، فأكبَّ عليها، وقبّلت يديه، وقال

(١) أسنت لي الجائزة: جعلتها قيمة عظيمة.

لها: يا أمّه، ما جفوتك تعمّداً، ولكن شغلت عنك بما لا يُمكن إغفاله، فقالت: يا أمير المؤمنين، إذا حسن رأيك لم يوحشني شغلك. وأتمّ يومه عندها. والأبيات.

ألا إن ريب الدهر يُدني ويُبعدُ ويؤنس بالآلاف طوراً ويُفقدُ [الطويل]

وذكر باقي الأبيات مثل ما في الخبر الأول.

أخبرني محمد بن يحيى، قال: حدثني الحسن بن عليّ الرازي، قال: حدّثني أبو سهل الرازقي عن أبيه، قال:

عمل أبو العتاهية شعراً على لسان زبيدة بأمرها لما قدم المأمون بغداد أوله:

لخير إمام قام من خير عنصرٍ وأفضل راقٍ فوق أعوادٍ منبرٍ [الطويل]

وذكر محمد بن أحمد بن المرزبان، عن بعض كتّاب السلطان:

أن المأمون لما قدِمَ مدينةَ السلام واستقرت به الدار، وانتظمت له الأمور، أمرت أمّ جعفر كاتباً لها فقال هذه الأبيات، وبعثت بها إلى علّويه، وسألته أن يصنع فيها لحناً ويُغني فيه المأمون، ففعل، وكان ذلك مما عطفه عليها، وأمرت لعلويه بعشرين ألف درهم.

وقد روى أن الأبيات التي أولها:

يا عمود الإسلام خيرَ عمود.

لعيسى بن زينب المراكبي.

لماذا تنفّس عيسى بن زينب المراكبي؟

أخبرني محمد بن يحيى، قال: حدثني الحسين بن يحيى الكاتب، قال: حدثنا علي بن نجيع قال:

حدثني صالح بن الرشيد، قال: كنا عند المأمون يوماً وعقيد المغني وعمرو بن بانة يُغنيان، وعيسى بن زينب المراكبي حاضر، وكان مشهوراً بالأبنة^(١)، فتغنى عقيد بشعر عيسى:

يا عمود الإسلام خيرَ عمود والذي صيغ من حياءٍ وجود

(١) الأبنة: بضم الهمزة: العيب والحق.

لك عندي في كل يوم جديد طرفة تُستفاد يا ابن الرشيد
[الخفيف]

فقال المأمون لعقيد: أنشدني باقي هذا الشعر، فقال، أصون سمع أمير المؤمنين
عنه، فقال: هاته ويحك، فجميل الأدب وغيره جميل.

كنت في مجلس أنيق وريحا ن وراح ومُسمعاتٍ وعود
فتغنى عمرو بن بانه إذا لك وهو مُمسك بأير عقيد
يا عمود الإسلام خير عمود والذي صيغ من حياءٍ وجود
فتنفست ثم قلت: كذا كل محب صَبَّ^(١) الفؤاد عميد
[الخفيف]

فقال المأمون لعيسى بن زينب: والله لا فارقتك حتى تُخبرني عن تنفسك عند
قبض عمرو على أير عقيد لأي شيء هو؟ لا بدُّ من أن يكون ذلك إشفاقاً عليه بعينه أو
على أن تكون مثله. لعن الله تنفسك هذا يا مُريب، قال: وإنما سمي المراكبي لأنه
ابن عبد الله بن إسماعيل صاحب مراكب المنصور، وأمه زينب بنت بشر، صاحب
طاقات بشر بباب الشام.

صوت

لقيت من الغانيات العُجبا لو أدرك مني العذارى الشُّببا
علام يكحلن حور العيون ويُحدثن بعد الخضاب الخضابا
ويبرقن^(٢) إلا لما تعلمون فلا تمنعن النساء الضُّرابا
[المقارب]

الشعر لأيمن بن خريم بن فاتك الأسدي، والغناء لإبراهيم الموصلي، ولحنه
من الثقل الأول بالسبابة، في مجرى الوسطى من رواية الهشامي.

(١) صَبَّ: عاشق متيم.

(٢) يبرقن: يتزين ويتجملن.

ذكر أيمن وأخباره

اسمه ونسبه :

وأيمن بن خريم بن فاتك الأسدي، لأبيه صحبة برسول الله ﷺ ورواية عنه، ويُنسب إلى فاتك، وهو جد أبيه، وهو أيمن بن خريم بن الأخرم بن عمرو بن فاتك بن القليب بن عمرو بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار.

وكان أيمن يتشيّع، وكان أبوه أحد من اعتزل حرب الجمل وصفيين وما بعدهما من الأحداث فلم يحضرها.

عبد الملك يحسده على قوته :

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني النوشجاني، عن العمري، عن الهيثم بن عدي، عن عبد الله بن عيَّاش، عن مُجالد، قال:

كان عبد الملك شديد الشغف بالنساء، فلما أَسَنَّ ضَعُفَ عن الجماع، وازداد غَرامه بهنّ، فدخل إليه يوماً أيمن بن خريم، فقال له: كيف أنت؟ فقال: بخير يا أمير المدمنين، قال: فكيف قوّتك؟ قال: كما أحبُّ ولله الحمد، إني لأَكل الجذعة^(١) من الضأن بالصاع من البرّ، وأشرب العُسّ^(٢) المملوء أعبُهُ عَبًّا، وأرتحل البعير الصعب وأنصبّه^(٣)، وأركب المهر الأرن^(٤) فأذلّه، وأفترع العذراء، ولا يُقعدني عنها الكبر، ولا يمنعني منها الحصر^(٥)، ولا يرويني منها الغمر^(٦)، ولا ينقص مني الوطر، فغاظ عبد الملك قوله وحسده، فمنعه العطاء، وحجبه، وقصده بما كره، حتى أثر ذلك في حاله، فقالت له امرأته: ويحك، أصدّقني عن حالك، هل لك جرم؟ قال: لا والله، قالت: فأئي شيء دار بينك وبين أمير المؤمنين آخر ما لقيته؟ فأخبرها، فقالت: إنا لله، من هاهنا أتيت، أنا أحتال لك في ذلك حتى أزيل ما جرى عليك، فقد حسدك

(١) الجذعة من الضأن: الصغيرة منها.

(٢) العُسّ: القدح، أو الإناء الكبير.

(٣) أنصبه: أنعبه.

(٤) المهر الأرن: الفرس النشط.

(٥) الحصر: الاحتباس وضيق الصدر.

(٦) الغمر من القِداح: الصغير.

الرجل على ما وصفت به نفسك، فتهيأت ولبست ثيابها، ودخلت على عاتكة زوجته، فقالت: أسألك أن تستعدي لي أمير المؤمنين على زوجي، قالت: وما له؟ قالت: والله ما أدري أنا مع رجل أو حائط؟ وأن له لسنين ما يعرف فراشي، فسليه أن يفرق بيني وبينه. فخرجت عاتكة إلى عبد الملك، فذكرت ذلك له، وسألته في أمرها، فوجه إلى أيمن بن خريم فحضر، فسأله عما شكت منه، فاعترف بذلك، فقال له: أولم أسألك عاماً أول عن حالك، فوصفت لي كيت وكيت؟ فقال: يا أمير المؤمنين، إن الرجل يتجمل عند سُلطانه، ويتجلد على أعدائه بأكثر مما وصفت نفسي به، وأنا القائل:

لَقِيتُ مِنَ الْغَانِيَاتِ الْعُجَابَا	لَوْ اَدْرَكَ مِنِّي الْغَوَانِي الشَّبَابَا
وَلَكِنْ جَمَعَ النِّسَاءِ الْحَسَانَ	عَنَاءٌ شَدِيدٌ إِذَا الْمَرْءُ شَابَا
وَلَوْ كَلْتُ بِالْمَدِّ لِلْغَانِيَاتِ	وَضَاعَفْتُ فَوْقَ الثِّيَابِ الثِّيَابَا
إِذَا لَمْ تُنَلِّهَنَّ مِنْ ذَاكَ، ذَاكَ	جَحْدَنكَ ^(١) عِنْدَ الْأَمِيرِ الْكِتَابَا
يَذْذَنْ بِكُلِّ عَصَا ذَائِدٍ	وَيُصْبِحَنَّ كُلُّ غَدَاةٍ صِعَابَا
إِذَا لَمْ يُخَالَطَنَّ كُلَّ الْخِلَا	طَ أَصْبَحَنَّ مُخْرَنْطِمَاتٍ ^(٢) غَضَابَا
عَلَامٌ يُكْحَلْنَ حُورَ الْعَيُونَ	وَيُحْدِثْنَ بَعْدَ الْخَضَابِ الْخَضَابَا؟!
وَيَعْرُكْنَ بِالْمَسْكِ أَجْيَادَهُنَّ	وَيُذْنِينَ عِنْدَ الْحِجَالِ الْعِيَابَا
وَيَبْرُقْنَ إِلَّا لِمَا تَعْلَمُونَ	فَلَا تَحْرَمُوا الْغَانِيَاتِ الضَّرَابَا ^(٣)

[المقارب]

قال: فجعل عبد الملك يضحك من قوله، ثم قال: أولى لك يا ابن خريم، لقد لقيت منهن ترحاً، فما ترى أن نصنع فيما بينك وبين زوجتك؟ قال: تستأجلها إلى أجل العنين، وأدأريها لعلّي أستطيع إمساكها، قال: أفعل ذلك، ففعل وردها إليه، وأمر له بما فات من عطائه، وعاد إلى برّه وتقريبه.

أيمن يعتزل المتنازعين:

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي أبو دلف، قال: حدثنا الرياشي، قال: ذكر العُتْبِيُّ أن منازعةً وقعت بين عمرو بن سعيد وعبد العزيز بن مروان،

(١) جحد: أنكر.

(٢) مخرنطمت: مستكبرات، من فعل إخرنطم أي رفع أنفه واستكبر.

(٣) الضراب: النكاح.

فتعصّب لكل واحدٍ منهما أخواله، وتداعَوْا بالسلاح، واقتتلوا، وكان أيمن بن خريم حاضراً للمنازعة، فاعتزلهم هو ورجل من قومه، يقال له ابن كوز، فعاتبه عبد العزيز وعمره جميعاً على ذلك فقال:

أَقْتَلْ فِي حِجَاكِ بَيْنَ عَمْرٍو وَبَيْنَ خَصِيمِهِ عَبْدِ الْعَزِيزِ
أَنْقُتِلْ ضِلَّةً فِي غَيْرِ شَيْءٍ وَيَبْقَى بَعْدَنَا أَهْلُ الْكُنُوزِ
لِعَمْرٍو أَبَيْكَ مَا أُوتِيتَ رُشْدِي وَلَا وُفِّقْتَ لِلْحِرْزِ الْحَرِيزِ
فإِنِّي تَارِكٌ لهما جَمِيعاً وَمَعْتَزِلٌ كَمَا اعْتَزَلَ ابْنُ كَوْزِ
[الوافر]

أيمن يغضب من يحيى بن الحكم:

أخبرني عمّي، قال: حدثني الكرانيّ، عن العمري، عن الهيثم بن عديّ، قال: أصاب يحيى بن الحكم جاريةً في غَزَاةِ الصائفة، بها وَضَحٌ، فقال: أعطوها أيمن بن خريم، وكان مُوضِحاً، فغضب وأنشأ يقول:

تَرَكْتُ بَنِي مَرْوَانَ تَنْدِي أَكْفُهُمْ وَصَاحِبَتِ يَحْيَى ضِلَّةً مِنْ ضَلَالِيَا
فإِنَّكَ لَوْ أَشْبَهْتَ مَرْوَانَ لَمْ تَقُلْ لِقَوْمِي هُجْرًا إِنْ أَتَوْكَ وَلَالِيَا
[الطويل]

وانصرف عنه فأتى عبد العزيز بن مروان، وكان يحيى مُحَمَّقاً.

شعر أيمن في بني هاشم:

حدثني محمد بن العباس اليزيديّ، قال: حدثني عمّي الفضل، قال: حدثني مصعب الزبيريّ عن أشياخه:

أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ، قَالَ: يَا مَعْشَرَ الشُعْرَاءِ، تَشْبَهُونَا مَرَّةً بِالْأَسَدِ الْأَبْخَرِ، وَمَرَّةً بِالْجَبَلِ الْأَوْعَرِ، وَمَرَّةً بِالْبَحْرِ الْأُجَاكِ، أَلَا قُلْتُمْ فِينَا قَالَ أَيْمَنُ بْنُ خُرَيْمٍ فِي بَنِي هَاشِمٍ:

نَهَارُكُمْ مَكَابِدَةٌ وَصَوْمٌ وَلَيْلُكُمْ صَلَاةٌ وَاقْتِرَاءٌ^(١)
وَلَيْتُمْ بِالْقِرَانِ وَبِالتَزْكِي فَاسْرِعْ فَيْكُمْ ذَاكَ الْبَلَاءُ
بَكَى نَجْدٌ غَدَاةً غَدَوْا عَلَيْكُمْ وَمَكَّةُ وَالْمَدِينَةُ وَالْجَوَاءُ

(١) الاقتراء: القراءة والتلاوة.

وَحَقُّ لِكُلِّ أَرْضٍ فَارِقُوهَا عَلَيْكُمْ لَا أَبَالَكُمْ الْبِكَاءُ
أَجْعَلْكُمْ وَأَقْوَاماً سَوَاءً وَبَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمُ الْهُوَاءُ؟
وَهُمْ أَرْضٌ لَأَرْجَلَكُمْ وَأَنْتُمْ لَأَرْوُسَهُمْ وَأَعْيْنَهُمْ سَمَاءُ
[الوافر]

نِعَمَ الشَّفِيعِ أَيْمَنَ لَهُنَّ :

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ زَهِيرٍ، عَنْ أَبِي هِمَامٍ الْوَلِيدِ بْنِ شِجَاعٍ،
قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِدْرِيسَ، قَالَ :

أَصَابَ أَيْمَنُ بْنُ خُرَيْمٍ امْرَأَةً لَهُ خَطَأً - يَعْنِي قَتَلَهَا - فَوَدَّاهَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ
مَرْوَانَ، أَعْطَى وَرَثَتَهَا دَيْتَهَا، وَكَفَّرَ عَنْهُ كَفَّارَةَ الْقَتْلِ، وَأَعْطَاهُ عِدَّةَ جَوَارٍ وَوَهَبَ لَهُ
مَالاً، فَقَالَ أَيْمَنُ :

رَأَيْتِ الْغَوَانِيَّ شَيْئاً عَجَاباً لَوَ انْسَنَ مِنِّي الْغَوَانِيَّ الشَّبَابَا
وَلَكِنْ جَمَعَ الْعِذَارَى الْحَسَانَ عَنَاءٌ شَدِيدٌ إِذَا الْمَرْءُ شَابَا
وَلَوْ كَلَّتْ بِالْمَدِّ لِلْغَانِيَّاتِ وَضَاعَفَتْ فَوْقَ الثِّيَابِ ثِيَابَا
إِذَا لَمْ تُنَلِّهَنَّ مِنْ ذَاكَ، ذَاكَ بَغِينُكَ عِنْدَ الْأَمِيرِ الْكَذَابَا
يَذُدُّنَ بِكُلِّ عَصَا ذَائِدٍ وَيُصْبِحْنَ كُلَّ غَدَاةٍ صِعَابَا
إِذَا لَمْ يُخَالِطَنَّ كُلَّ الْخِلَاطِ تَرَاهُنَّ مُخْرَنْطِمَاتٍ^(١) غَضَابَا
عَلَامٌ يُكْخِلُنَّ حُورَ الْعَيُونِ وَيُحَدِّثْنَ بَعْدَ الْخِضَابِ الْخِضَابَا
وَيَعْرِكْنَ بِالْمَسْكِ أَجْيَادَهُنَّ وَيُدْنِينَ عِنْدَ الْحِجَالِ الْعِيَابَا
وَيَغْمُزْنَ إِلَّا لِمَا تَعْلَمُونَ فَلَا تَحْرَمُوا الْغَانِيَّاتِ الضَّرَابَا
[المقارب]

قَالَ : فَبَلَغَنِي أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ أَنْشَدَ هَذَا الشَّعْرَ فَقَالَ : نِعَمَ الشَّفِيعِ أَيْمَنَ لَهُنَّ .

مَعْرِفَةُ بِالنِّسَاءِ :

وَأَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شَبَّهٍ وَإِبْرَاهِيمَ بْنِ أَيُّوبَ، عَنْ ابْنِ
قُتَيْبَةَ، قَالَ :

قَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ لَمَّا أَنْشَدَهُ هَذَا الشَّعْرَ : مَا وَصَفَ النِّسَاءَ أَحَدٌ مِثْلَ صِفَتِكَ وَلَا

(١) مخرنطمات : مستكبرات، من فعل إخرنطم أي رفع أنفه واستكبر (تم شرحها سابقاً).

عرفهن أحد معرفتك. قال: فقال له أيمن: لئن كنتُ صدقت في ذلك لقد صدق الذي يقول:

صوت

فإن تسألوني بالنساء فإنني خبيرٌ بأدواء النساء طبيبٌ
إذا شاب رأس المرء أو قلَّ ماله فليس له من ودَّهن نصيبٌ
يُردن ثراء المال حيث علمنه وشرخُ الشباب عندهن عجيبٌ
[الطويل]

فقال له عبد الملك: قد لعمرى صدقتما وأحسنتما. الشعر لعلقمة بن عبدة، والغناء للبسباسة، ولحنه خفيف ثقيل أول بالوسطى عن حبش، وهذه الأبيات يقولها علقمة بن عبدة يمدح بها الحارث ويسأله إطلاق ابنه شاس، وخبره يذكر وخبر الحارث بعد انقضاء أخبار أيمن بن خريم.

رجع الحديث إلى أخبار أيمن

أيمن يهجر عبد العزيز بن مروان:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثني المدائني، عن أبي بكر الهذلي، قال:

دخل نصيب يوماً إلى عبد العزيز بن مروان، فأنشده قصيدة له امتدحه بها، فأعجبته، وأقبل على أيمن بن خريم، فقال: كيف ترى شعر مولاي هذا؟ قال: هو أشعر أهل جلدته، فقال: هو أشعر والله منك، قال: أمني أيها الأمير؟ فقال: إي والله، قال: لا والله، ولكنك طرف^(١) ملول، فقال له: لو كنتُ كذلك ما صبرت على مؤاكلتك منذ سنة وبك من البرص ما بك، فقال: ائذن لي أيها الأمير في الانصراف، قال: ذلك إليك، فمضى لوجهه حتى لحق ببشر بن مروان وقال فيه:

ركبتُ من المقطم في جمادى إلى بشر بن مروان البريدا
ولو أعطاك بشر ألف ألف رأى حقاً عليه أن يزيدا
أمير المؤمنين أقم ببشر عمود الدين إن له عمودا
ودع بشرأ يقوّمهم ويحدث لأهل الزيف إسلاماً جديداً

(١) الطرف الملول: من لا يثبت على ود صاحبه.

وإنّا قد وجدنا أمّ بشر
 كأنّ التاج تاج أبي هرقل
 كأمّ الأسد مذكّراً ولودا
 جلّوه لأعظم الأيام عيدا
 يحالف لونه ديباج بشر
 إذا الألوان حالفَت الخدودا
 [الوافر]
 يُعرّض بنمش كان بوجه عبد العزيز. فقبله بشر بن مروان ووصله، ولم يزل
 أثيراً عنده.

بشر بن مروان يُعطيهِ عشرة آلاف درهم:

أخبرني عمّي، قال: حدثني الكرائيّ وأبو العيّن، عن العُتبِيّ، قال:
 لما أتى أيمن بن خريم، بشر بن مروان نظر إلى الناس يدخلون إليه أفواجا،
 فقال: من يؤذن لنا الأمير أو يستأذن لنا عليه؟ فقبل له: ليس على الأمير حُجّاب ولا
 ستر، فدخل، وهو يقول:

يُرى بارزاً للناس بشر كأنه
 ولو شاء بشر أغلق الباب دونه
 إذا لاح في أثوابه قمر بدر
 طماطم^(١) سود أو صقالبة شقر
 يكون له في غبها الحمد والشكر
 أبى ذا ولكن سهّل الإذن للتي
 [الطويل]

فضحك إليه بشر، وقال: إنّنا قومٌ نحجب الحُرّم، وأما الأموال والطعام فلا.
 وأمر له بعشرة آلاف درهم.

قوله في الحرب بين غزاة وأهل العراق:

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ أبو دُلف، قال: حدثنا الرياشيّ، قال: حدثنا
 الأصمعيّ، عن المعتمر بن سليمان، قال:
 لما طالت الحرب بين غزاة وبين أهل العراق وهم لا يُغنون شيئا، قال أيمن بن
 خريم:

أتى منهم مائتا فارس
 وخمسون من مارقات النساء
 من السافكين^(٢) الحرام العبيط^(٣)
 يسحبون للمنديات المروطا^(٤)

(١) الطماطم من غير العرب: من في ألسنتهم عجمة.

(٢) السافكين: هم الذين يسفكون الدماء. (٣) العبيط: الدماء المحرّمة.

(٤) المروط، الواحد مرط: ثوب من لفقين.

وهم مائتا ألف ذي قونس^(١) رأيت غزالة قد طرحت
سمت للعراقين في جمعها ألا يستحي الله أهل العراق
وخيل غزالة تسبي النساء ولو أن لوطاً أمير لكم
يئط^(٢) العراق^(٣) منهم أطيطا بمكة هودجها والغبيطا
فلاقى العراق منها بطيطا^(٤) إذا قلّدوا الغانيات السموطا^(٥)
وتحوي النّهاب^(٦) وتحوي النبيطا^(٧) لأسلمتم في الملمات لوطا
[المقارب]

صوت

تصابيت أم هاجت لك الشوق زينب؟ إذا قربت زادتك شوقاً بقربها
وكيف تصابي المرء والرأس أشيب؟ وإن جانب لم يسلم عنها التجنب
ولا أنت مردود بما جئت تطلب وفي الأرض عمّن لا يؤاتيك مذهب
[الطويل]

الشعر لحجّية بن المضرب الكندي فيما ذكره إسحاق والكوفيون، وذكر الزبير بن بكار أنه لإسماعيل بن يسار النصار وذكر غيره أنه لأخيه أحمد بن يسار، والغناء ليونس الكاتب، ولحنه من الثقل الثاني بإطلاق الوتر في مجرى البصر، وفيه ثقل أول بالبصر، ذكر حبش أنه لمالك، وذكر غيره أنه لمعبد.

(١) القونس: أعلى بيضة الحديد.

(٢) يئط: يصوت.

(٣) العراق: البصرة والكوفة.

(٤) البيط: الشق.

(٥) السموط: السراويل تكون طاقاً واحداً.

(٦) النهاب: الأسلاب في الحرب.

(٧) النبيط: الأنباط: قبائل بدوية عربية استوطنت جنوبي فلسطين في القرن الرابع قبل الميلاد، واتخذوا البتراء عاصمة لهم وكانوا يرحلون إلى مصر والشام وبلاد الفرات وروما.

(٨) ترعوي: ترتدع.

أخبار حُجْية بن المضرب

حَنان عائشةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ :

أخبرني أحمد بن عُبَيْد الله بن عمار، قال: حدثني سعيد بن يحيى الأموي: وأخبرنا به وكيع، عن إسماعيل بن إسحاق، عن سعيد بن يحيى الأموي، قال: حدثني المحبر بن قَـحْـذَم، عَن هِشَام بن عُرْوَةَ عن أبيه، قال:

لما قدم القاسم بن محمد بن أبي بكر وأخوته من مصر.

وأخبرني بهذا الخبر محمد بن أبي الأزهر، قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه، عن الهيثم بن عدي، عن عَوَانَةَ، قال:

كان القاسم بن محمد بن أبي بكر يُحَدِّث، قال: لما قتل معاوية بن حديج الكِنْدِي وعمر بن العاصي أبي - يعني محمد بن أبي بكر - بمصر جاء عمِّي عبدُ الرحمن بن أبي بكر فاحتملني وأختاً لي من مصر.

وقد جمعتُ الروایتين واللفظ لابن أبي الأزهر، وخبره أتم، قال:

فقدم بنا المدينة، فبعثت إلينا عائشةُ فاحتملتنا من منزل عبد الرحمن إليها، فما رأيت والدة قُطْ ولا والدًا أبرَّ منها، فلم نزل في حجرها حتى إذا كان ذات يوم وقد ترعرعنا ألبستنا ثياباً بيضاء، ثم أجلس كل واحد منا على فخذه، ثم بعثت إلى عمِّي عبد الرحمن، فلما دخل عليها تكلمت فحمدت الله عز وجل، وأثنت عليه، فما رأيت متكلاً ولا متكلمة قبلها ولا بعدها أبلغ منها، ثم قالت: يا أخي إني لم أزل أراك مُعْرِضاً عني منذ قبضت هذين الصبيين منك، ووالله ما قبضتهما تطاولاً عليك ولا تهمةً لك فيهما، ولا لشيء تكرهه، ولكنك كنت رجلاً ذا نساء، وكنا صبيين لا كفيان من أنفسهما شيئاً، فخشيت أن يرى نساؤك منهما ما يتقدرنه من قبيح أمر الصبيان، فكنت ألطف لذلك وأحق بولايته. وقد قويا على أنفسهما، وشبَّا وعرفا ما يأتیان، فها هما هذان فضمَّهما إليك، وكن لهما كحُجْية بن المضرب أخي كِنْدَة.

يُؤْثِرُ أَوْلَادَ أَخِيهِ عَلَى أَوْلَادِهِ :

فإنه كان له أخ يُقال له معدان، فمات وترك أضيبة صغاراً في حجر أخيه، فكان

أَبَرَّ النَّاسِ بِهِمْ وَأَعْطَفَهُمْ عَلَيْهِمْ، وَكَانَ يُؤْثِرُهُمْ عَلَى صِيبَانِهِ، فَمَكَثَ بِذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ إِنَّهُ عَرَضَ لَهُ سَفَرٌ لَمْ يَجِدْ بُدًّا مِّنَ الْخُرُوجِ فِيهِ، فَخَرَجَ وَأَوْصَى بِهِمْ امْرَأَتَهُ، وَكَانَتْ إِحْدَى بَنَاتِ عَمِّهِ، وَكَانَ يُقَالُ لَهَا زَيْنَبُ، فَقَالَ: اصْنَعِي بِنِي أَخِي مَا كُنْتُ أَصْنَعُ بِهِمْ، ثُمَّ مَضَى لَوَجْهَهُ فَغَابَ أَشْهُرًا، ثُمَّ رَجَعَ وَقَدْ سَاءَتْ حَالُ الصَّبِيَّانِ وَتَغَيَّرَتْ، فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ: وَيْلَكَ، مَا لِي أَرَى بَنِي مَعْدَانَ مَهَازِيلَ وَأَرَى بَنِي سِمَانًا؟ فَقَالَتْ: قَدْ كُنْتُ أُوَاسِي بَيْنَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا يَعْبَثُونَ وَيَلْعَبُونَ، فَخَلَا بِالصَّبِيَّانِ، فَقَالَ: كَيْفَ كَانَتْ زَيْنَبُ لَكُمْ؟ قَالُوا: سَيِّئَةٌ، مَا كَانَتْ تُعْطِينَا مِنَ الْقُوَّةِ إِلَّا مَلءَ هَذَا الْقَدَحُ مِنْ لَبَنٍ. وَأَرَوهُ قَدْحًا صَغِيرًا، فَغَضِبَ عَلَى امْرَأَتِهِ غَضَبًا شَدِيدًا وَتَرَكَهَا، حَتَّى إِذَا أَرَاهُ عَلَيْهِ رَاعِيًا لِإِبْنِهِ قَالَ لَهُمَا: اذْهَبَا فَأَنْتُمَا وَإِبْنُكُمَا لِبَنِي مَعْدَانَ، فَغَضِبْتَ مِنْ ذَلِكَ زَيْنَبُ وَهَجَرَتْهُ، وَضَرَبَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا حِجَابًا، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا تَذُوقِينَ مِنْهَا صَبُوحًا وَلَا غُبُوقًا أَبَدًا، وَقَالَ فِي ذَلِكَ:

وَلَطَّ^(١) الْحِجَابَ بَيْنَنَا وَالتَّجَنَّبَ
لِتَقْتُلَنِي وَشَدَّ مَا حُبُّ زَيْنَبِ
فَلُومِي حَيَاتِي مَا بَدَا لَكَ وَاغْضَبِي
وَحَقِّ لَهُمْ مَنِي وَرَبِّ الْمُحْصَبِ^(٢)
هَدَايَا لَهُمْ فِي كُلِّ قَعْبٍ^(٣) مُشْعَبٍ
سَأَجْعَلُ بَيْتِي بَيْتَ آخِرِ مُعْزَبٍ^(٤)
وَأَنْ يَشْرَبُوا رَنْقًا^(٥) إِلَى حَيْنٍ مَكْسَبِي
حَرِيبًا لِأَسَانِي عَلَى كُلِّ مَرَكَبٍ
يُجْبِنِي وَإِنْ أَغْضَبَ إِلَى السِّيفِ يَغْضَبُ
[الطويل]

لَجَجْنَا وَلَجَّتْ هَذِهِ فِي التَّغَضُّبِ
وَخَطَّتْ بِفَرْدِي أَثْمَدَ جَفَنَ عَيْنِهَا
تَلُومٌ عَلَى مَالٍ شَفَانِي مَكَائِهِ
رَحِمْتُ بَنِي مَعْدَانَ أَنْ قَلَّ مَالُهُمْ
وَكَانَ الْيَتَامَى لَا يَسُدُّ اخْتِلَالَهُمْ
فَقُلْتُ لِعَبْدِينَا أَرِيحَا عَلَيْهِمْ
عِيَالِي أَحَقُّ أَنْ يَنَالُوا خِصَاصَةً^(٥)
أَحَابِي بِهِمَا مَنْ لَوْ قَصَدْتُ لِمَالِهِ
أَخِي وَالَّذِي إِنْ أَدْعَاهُ لَمَلَمَّةٌ^(٧)

إلى هاهنا رواية ابن عمار.

حُجْية يُحَاوِلُ رَدَّ زَيْنَبَ فَلَا يَسْتَطِيعُ:

وفي رواية ابن إسحاق، قال: لما بلغ زَيْنَبَ هذا الشعورُ وما وهب زوجها

(٢) المحصب: مَنَى حيث ترمى الحجار.

(٤) المغرب: البعيد، المنزوي.

(٦) الرنق: الحياة الملوثة، غير الصافية.

(١) لط الحجاب: أرخاه.

(٣) القعب: القدح الضخم الغليظ.

(٥) الخصاصة: ضيق العيش.

(٧) الملمة: النازلة الشديدة من نوازل الدنيا.

خرجت حتى أتت المدينة فأسلمت، وذلك في ولاية عمر بن الخطاب، فقدم حُجبة المدينة، فطلب زينب أن تُردَّ عليه، وكان نصرانياً، ونزل بالزبير بن العوام وأخبره بقصته، فقال له الزبير: إياك وأن يبلغ هذا عنك عمر فتلقى منه أذىً، وانتشر خبر حُجبة وفشا بالمدينة، وعُلم فيم كان مقدّمه، فبلغ ذلك عمر، فقال للزبير: قد بلغني قصة ضيفك، ولقد هممت به لولا تحرّمه بالنزول عليك. فرجع الزبير إلى حُجبة فأعلمه قول عمر، فقال حُجبة في ذلك:

إن الزبير بن عوام تداركني منه بسيب^(١) كريم سيّبه عمم
نفسى فداؤك مأخوذاً بحُجرتها إذ شاط لحمي وإذ زلت بي القدم
إذ لا يقوم بها إلا فتى أنف عاري الأشاجع في عرينه^(٢) شمّم
[البسيط]

ثم انصرف من عنده متوجّهاً إلى بلده آيساً من زينب كئيباً حزيناً، فقال في ذلك:

تصابيت أم هاجت لك الشوق زينب؟
الآيات المذكور فيها الغناء.

صوت

خليلي هُبّا نصطبج^(٣) بسواد ونرو قلوباً هائمين صوادي^(٤)
وقولا لساقينا زياد يرقّوها فقد هزّ بعض القوم سقي زياد
[الطويل]

الشعر والغناء لإسحاق، ولحنه من الثقل الأول بالبنصر.

(١) السيب: الكرم، الجود.

(٢) العرين: الأنف.

(٣) نصطبج: شرب الخمرة مع الصباح.

(٤) صوادي، الواحد صاد: العطشان.

خبر إسحاق مع غلامه زياد

هذا الشعر يقوله إسحاق في غلام له مملوك خلاسي^(١)، يُقال له زياد، كان مولداً من مولدي المدينة فصيحاً ظريفاً، فجعله ساقية، وذكره هو وغيره في شعره، فممن ذكره من الشعراء دِعبِل وله يقول:

أخبرني بذلك علي بن سليمان الأخفش، عن أبي سعيد السكري قال:

كان زياد الذي يذكره إسحاق في شعره في عدة مواضع، منها قوله:

وقولا لساقينا زياد يرُقُّها

وكان نظيف السقي لبقاً. فقال دِعبِل فيه:

يقول زياد قف بصحبك مرةً على الرِّبع، مالي والوقوف على الرِّبع [الطويل]

صوت

أدْرِها على فقد الحبيب فربما شربتُ على نأي الأُحبة والفَجَعِ
فما بلغتنِي الكأسُ إلا شربتها وإلا سقيتُ الأرض كَأْساً من الدَّمعِ [الطويل]

غنى في البيت الثاني والثالث من هذه الأبيات محمد بن العباس بن عبد الله بن طاهر لحناً من خفيف الثقيل الأول بالبنصر.

قال أبو الحسن: وقد قيل: إن هذين البيتين يعني:

خلي لي هباً نصطبح بسواد

للأُخطل.

زياد لا يُراجع:

أخبرنا علي بن سليمان، قال: حدثني أبي قال: قال لي جعفر بن معروف الكاتب وكان قد جاوز مائة سنة:

(١) الخلاسي: هو من يولد من أبوين، أحدهما أبيض والآخر أسود.

لقد شهدت إسحاق يوماً في مجلس أنس، وهو يتغنى هذا الصوت:

خَلِيلِي هُبَّا نَصْطَبْخُ بِسَوَادٍ

وغلامه زياد جالس على مسورة^(١) يسقي، وهو يومئذٍ غلام أمرد أصفر رقيق البدن حلوا الوجه، وما أحد يُراجعُه ولا أحد يستطيع يقول له: زدني ولا انقصني.

إِسْحَاقُ يَطْلُبُ أَنْ يَغْنِيَ وَأَنْ يُقَالَ لَهُ أَحْسَنْتَ:

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم الأنباري، قال: حدثني أحمد بن الهيثم يعني جد أبي - رحمه الله - قال:

كنت ذات يوم جالساً في منزلي بسر من رأى، وعندني إخوان لي، وكان طريق إسحاق في مضيئه إلى دار الخليفة ورجوعه منها على منزلي، فجاءني الغلام يوماً وعندني أصدقاء لي، فقال لي: إسحاق بن إبراهيم الموصليّ بالباب، فقلت له: قل له: - ويلك - يدخل، أو في الخلق أحد يُستأذن عليه لإسحاق؟ فذهب الغلام يأذن له، وبادرت أسعى في أثره حتى تلقيته، فدخل وجلس منبسطاً آنساً، فعرضنا عليه ما عندنا، فأجاب إلى الشرب، فأحضرناه نبذاً مشمساً، فشرب منه ثم قال: أتحبون أن أغنيكم؟ قلنا: إي والله، أطل الله بقاءك، إنا لنحب ذلك، قال: فلم لم تسألوني؟ قلنا: هبناك والله، قال: فلا تفعلوا، ثم دعا بعود فأحضرناه، فاندفع فغننا، فشربنا وطربنا، فلما فرغ، قال: أحسنت أم لا؟ فقلنا: بلى والله، جعلنا الله فداءك، لقد أحسنت، قال: فما منعكم أن تقولوا لي أحسنت؟ قلنا: الهيبة، والله، لك، قال: فلا تفعلوا هذا فيما تستأنفون، فإن المغني يُحب أن يُقال له: غنّ، ويُحب أن يُقال له إذا غنى: أحسنت.

إِسْحَاقُ يُعْتَقُ زِياداً وَيَزُوجُهُ:

قال: ثم غننا صوته:

خَلِيلِي هَيَّا نَصْطَبْخُ بِسَوَادٍ

فقلنا له: يا أبا محمد، من هو زياد الذي عنيته؟ قال، هو غلامي الواقف بالباب، ادعوه يا غلمان، فأدخل إلينا، فإذا غلام خلاسيّ قيمته عشرون ديناراً أو نحوها، فأمسكنا عنه، فقال أتسألوني عنه فأعرفكم إياه، ويخرج كما دخل، وقد سمعتم شعري فيه وغنائِي؟ أشهدكم أنه حرّ لوجه الله، وأناي قد زوجته أمتي فلانة،

(١) المسورة: متكأ جلدي.

فَأَعِينُوهُ عَلَى أَمْرِهِ . قَالَ : فَلَمْ يَخْرُجْ حَتَّى أَوْصَلْنَا إِلَيْهِ عَشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ أَخْرَجْنَاهَا لَهُ مِنْ أَمْوَالِنَا .

إِسْحَاقُ يَرِثِي زِيَادًا :

أَخْبَرَنِي يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ بْنِ يَحْيَى ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي ، قَالَ :
تُوفِيَ زِيَادٌ غُلَامٌ إِسْحَاقَ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ :

وَقَوْلًا لِسَاقِينَا زِيَادٍ يَرْقُهَا

فَقَالَ إِسْحَاقُ يَرِثِيهِ :

فَقَدْنَا زِيَادًا بَعْدَ طَوْلِ صَحَابَةٍ فَلَا زَالَ يُسْقَى الْغَيْثَ قَبْرُ زِيَادٍ
سَتَبْكِيكَ كَأَنَّ لَمْ تَجِدْ مَنْ يُدِيرُهَا وَظِمَانُ يَسْتَبْطِي الزَّجَاجَةَ صَادِي
[الطويل]

زِيَادٌ يَسْقِي وَإِسْحَاقُ يَلْحَنُ :

أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ الْمَكِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ :

إِصْطَبَحَ مُحَمَّدٌ الْأَمِينُ ذَاتَ يَوْمٍ وَأَمَرَ بِالتَّوَجُّهِ إِلَى إِسْحَاقَ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ عِدَّةَ رُسُلٍ
كُلُّهُمْ لَا يَصَادِفُهُ ، حَتَّى جَاءَ أَحَدُهُمْ بِهِ ، فَدَخَلَ مُنْتَشِياً ، وَمُحَمَّدٌ مَغْضَبٌ ، فَقَالَ لَهُ : أَيْنَ
كُنْتَ وَيْلَكَ ؟ قَالَ : أَصْبَحْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَشِيطاً فَبَكَرْتُ إِلَى بَعْضِ الْمُنْتَزِعَاتِ ،
فَاسْتَبَطْتُ الْمَوْضِعَ وَأَقَمْتُ فِيهِ ، وَسَقَانِي زِيَادٌ ، فَذَكَرْتُ أَبْيَاتاً لِلْأَخْطَلِ وَهُوَ يَسْقِينِي ،
فَدَارَ لِي فِيهَا لَحْنٌ حَسَنٌ ، فَصَنَعْتُهُ فِيهَا ، وَقَدْ جِئْتُكَ بِهِ ، فَتَبَسَّمَ ثُمَّ قَالَ : هَاتِ ، فَمَا
تَزَالُ تَأْتِينِي بِمَا يُرْضِي عَنْكَ عِنْدَ السُّخْطِ ، فَعَنَاهُ :

صوت

إِذَا مَا زِيَادٌ عَلَّنِي ^(١) ثُمَّ عَلَّنِي ثَلَاثَ زُجَاجَاتٍ لَهْنٍ هَدِيرُ
خَرَجْتُ أَجْرُ الذَّيْلِ زَهْواً كَأَنَّنِي عَلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمِيرُ
[الطويل]

قَالَ : بَلْ عَلَى أَبِيكَ ، قَبَّحَ اللَّهُ فِعْلَكَ ، فَمَا يَزَالُ إِحْسَانُكَ فِي غَنَائِكَ يَمْحُو
إِسَاءَتَكَ فِي فِعْلِكَ ، وَأَمَرَ لَهُ بِأَلْفِ دِينَارٍ .

(١) عَلَّنِي : شَرَّبَنِي مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ .

الشعر في هذين البيتين للأخطل، والغناء لإسحاق رمل بالبنصر، ورواية شعر الأخطل:

إذا ما نديمي علّني ثم علني
وإنما غيره إسحاق فقال:

إذا ما زياد علني ثم علني

الداعي إلى الخمر:

أخبرني علي بن سليمان عن محمد بن يزيد النحوي.

أن عبد الملك بن مروان، قال للأخطل: ما يدعوك إلى الخمر؟ فوالله إن أولها لمرّ وإن آخرها لسكر، قال: أجل، ولكن بينهما حالة ما ملّكك عندها بشيء، وقد قلت في ذلك:

إذا ما نديمي علّني ثم علني ثلاث زجاجات لهنّ هدير
خرجت أجر الذيل زهواً كأنني عليك أمير المؤمنين أمير
[الطويل]

قال: فجعل عبد الملك يضحك.

صوت

أشارت بطرف العين خيفة أهلها إشارة محزون ولم تتكلم
فأيقنت أن الطرف قد قال: مرحباً وأهلاً وسهلاً بالحبیب المسلم
هنيئاً لكم حُبّي وصفو مودّتي فقد سيط^(١) في لحمي هواك وفي دمي
[الطويل]

الشعر لعمر بن أبي ربيعة، والغناء لابن عائشة ثاني ثقيل بالبنصر، وفيه لدحمان ثقيل أول بالبنصر. ويُقال إنه لابن سريج، ويقال إن الثقيل الأول لابن عائشة والثقل الثاني لابن سريج، وفيه خفيف ثقيل أول يُنسب إلى ابن سريج وإلى علي بن الجوّاري.

(١) سيط: مزج، خلط.

خبر لحبابة مع ابن عائشة

أخبرني الحسن بن يحيى وابن أبي الأزهر، عن حماد بن إسحاق عن أبيه، عن المدائني، قال:

كانت حبابة جارية يزيد بن عبد الملك مُعجبة بغناء ابن عائشة، وكان ابن عائشة حديث السن، فلما طال عهدُها به اشتاقت إلى أن تسمع غِناءه، فلم تدر كيف تصنع، فاختلفت هي وسلامَة في صوت لمعبد، فأمر يزيد بإحضاره، ووجه في ذلك رسولا، فبعثت حبابة إلى الرسول سِرًّا فأمرته أن يأتي ابن عائشة وأمير المدينة في خفاء، ويبلغهما رسالتها بالخروج مع معبد سِرًّا، وقالت: قل لهما يستران ذلك عن أمير المؤمنين، فلما قدم الرسول إلى عامل المدينة أبلغه ما قالت حبابة، فأمر ابن عائشة بالرحلة مع معبد، وقال لمعبد: انظر ما تأمرُك به حبابة فانتبه إليه، فقال: نعم، وخرج هو وابن عائشة حتى قدما على يزيد، وبلغ الخبر حبابة، فلم تدر كيف تصنع في أمر ابن عائشة، فلما حضر معبد حاكمت سلامة إليه فحكم لها، فاندفعت فغنت صوتاً لابن عائشة. وفيه لابن سريج لحن، ولحن ابن عائشة أشهرهما وهو:

أشارت بطرف العين خيفةً أهلها

فقال يزيد: يا حبيبتي أني لك هذا ولم أسمع منك، وهو على غاية الحسن، إن لهذا لشأناً؟ فقالت: يا أمير المؤمنين، هذا لحن كنت أخذته عن ابن عائشة، قال: ذلك الصبي؟ قالت: نعم، وهذا أستاذي، وأشارت بيدها إلى معبد، فقال لمعبد: أهذا لحن ابن عائشة أو انتحله؟ فقال معبد: هذا - أصلح الله الأمير - له، فقال يزيد: لو كان حاضراً ما كرهنا أن نسمع منه، فقال معبد: هو والله يا أمير المؤمنين معي ما يُفارقني، فقال يزيد: ويلك يا معبد، احتملنا الساعة أمرُك فزدتنا ما كرهنا، ثم قال لحبابة: هذا والله عملك، قالت: أجل يا سيدي، قال لها: هذه الشام ولا تحتمل لنا ما تحتمله المدينة، فقالت: يا سيدي أنا والله أحب أن أسمع من ابن عائشة، فأحضر، فلما دخل قال له: هات صوتاً غنته حبابة:

أشارت بطرف العين خيفةً أهلها

فغناه، فقال: يا حَبَّابة هو واللَّهِ منه أحسن منه منك، قالت: أجل يا سيدي، ثم قال يزيد: هات يا محمد ما عندك، فغنى:

صوت

قِفْ بِالْمَنَازِلِ قَبْلَ أَنْ نَتَفَرَّقَا وَاسْتَنْطِقِ الرَّبْعَ الْمُحِيلَ الْمُحَلِّقَا
عَنْ عِلْمٍ مَا فَعَلَ الْخَلِيطُ لَعْلَهُ بِجَوَابِ رَجْعِ حَدِيثِهِمْ أَنْ يَنْطِقَا
فِيُبَيِّنُ مَنْ أَخْبَارَهُمْ لِمَتَّيْمٍ أَمْسَى وَأَصْبَحَ بِالرُّسُومِ مُعَلِّقَا
كَلِفًا بِهَا أَبَدًا تَسُحَّ دُمُوعُهُ وَسَطَ الدِّيَارِ مُسَائِلًا مُسْتَنْطِقَا
ذَرَفَتْ لَهُ عَيْنٌ يَرَى إِنْسَانَهَا فِي لُجَّةٍ مِنْ مَائِهَا مُغْرُورَقَا
تَذْرِي^(١) مُحَاجِرُهَا الدَّمُوعَ كَأَنَّهَا دُرٌّ وَهَى^(٢) مَنْ سَلَكَهُ مُسْتَوْسَقَا^(٣)

[الكامل]

الغناء لابن عائشة ولحنه من الثقل الأول بالوسطى، وفيه لشارية خفيف رمل مطلق في مجرى الوسطى، ويُقال: إنه لعمر بن بانه، ويُقال: إن فيه لابن جندب وحنين لحنين، قال: فقال له يزيد: أهلاً وسهلاً بك يا ابن عائشة، فأنت واللَّهِ الحسنُ الوجه الحسنُ الغناء، وأحسن إليه ووصله، ثم لم يره يزيد بعد هذا المجلس، وبعث إليه حَبَّابة ببرٍّ وألطف، واتبعها سلامة في ذلك.

صوت

لَمَّا سَمِعْتَ الدِّيكَ صَاحَ بِسُحْرَةٍ وَتَوَسَّطَ النَّسْرَانِ بَطْنَ الْعَقْرِ
وَبَدَا سَهِيلٌ فِي السَّمَاءِ كَأَنَّهُ نَوْرٌ وَعَارِضُهُ هِجَانٌ^(٤) الرَّبْرَبُ^(٥)
نَبَّهْتُ نَدْمَانِي وَقُلْتُ لَهُ: اصْطَبَحْ يَا ابْنَ الْكِرَامِ مِنَ الشَّرَابِ الطَّيِّبِ
صَفَرَاءُ تَبْدُو فِي الزَّجَاجِ كَأَنَّهَا حَدَقَ الْجَرَادَةُ أَوْ لُعَابَ الْجُنْدِ

[الكامل]

الشعر لأبي الهندي، والغناء لإبراهيم الموصلي ثاني ثقل بالنصر عن عمرو.

(١) تَذْرِي مُحَاجِرُهَا: تدمع عيناها.

(٢) دُرٌّ وَهَى: مستوسقاً: مجتمعاً.

(٣) مُسْتَوْسَقَا: مستوسقاً: مجتمعاً.

(٤) هِجَان، بكسر الهاء: هو من كل شيء خياره وخالصة والمعنى هنا البيض الكرام.

(٥) الرَّبْرَب: الجماعة من الأطباء أو البقرات الوحشية.

أخبار أبي الهندي ونسبه

اسمه ونسبه :

اسمه غالب بن عبد القدوس بن شبت بن ربعي .

منزلته :

وكان شاعراً مطبوعاً، وقد أدرك الدولتين : دولة بني أمية وأول دولة ولد العباس، وكان جزل الشعر، حسن الألفاظ، لطيف المعاني، وإنما أخمله وأمات ذكره بعده عن بلاد العرب، ومقامه بسجستان وبخراسان، وشغفه بالشراب، ومعاقرته إياه، وفسقه، وما كان يَتَّهم به من فساد الدين واستفراغ شعره بصفة الخمر، وهو أول من وصفها من شعراء الإسلام، فجعل وصفها وكده^(١) وقصده، ومن مشهور قوله : فيها ومختاره :

سقيت أبا المَطْرَحِ إذ أتاني وذو الرِّعْثات^(٢) منتصب يصيحُ
شراباً يهرب الذَّبَّانَ منه ويلشعُ حين يشربه الفصيحُ
[الوافر]

أبو نواس يسوق معاني أبي الهندي :

أخبرني علي بن سليمان الأخفش، قال : حدثني فضل اليزيدي، أنه :

سمع إسحاق الموصلي يوماً يقول وقد أنشد شعراً لأبي الهندي في صفة الخمر فاستحسنه وقرظه، فذكر عنده أبو نواس، فقال : ومن أين أخذ أبو نواس معانيه إلا من هذه الطبقة؟ وأنا أوجدكم سلخه هذه المعاني كلها في شعره، فجعل يُنشد بيتاً من شعر أبي الهندي، ثم يستخرج المعنى والموضع الذي سرقه أبو نواس منه، حتى أتى على الأبيات كلها من شعره واستخرجها .

شاعر آخر يأخذ معاني أبي الهندي :

أخبرني الحسن بن علي، قال : حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه، قال : حدثني عبد الله بن أبي سعد، قال :

(٢) ذو الرعثات : الديك .

(١) وكده : جهده، همّه .

حدثني شيخ من أهل البصرة، قال: كنا عند أبي عبيدة، فأنشد مُنشدٌ شعراً في صفة الخمر - أنسيه الشيخ - فضحك ثم قال: هذا أخذه من قول أبي الهندي:

سَيُغْنِي أَبَا الْهِنْدِيِّ عَنْ وَطْبٍ^(١) سَالِمٌ أَبَارِيقُ لَمْ يَغْلُقْ بِهَا وَضْرُ^(٢) الزُّبْدِ
مُفَدِّمَةٌ^(٣) قَزاً كَأَنَّ رِقَابَهَا رِقَابُ بَنَاتِ الْمَاءِ تَفْزَعُ لِلرَّعْدِ
جَلَّتْهَا الْجَوَالِي حِينَ طَابَ مِزَاجُهَا وَطِيَّبْنَهَا بِالْمَسْكِ وَالْعَنْبَرِ الْوَرْدِ
تَمْجُ^(٤) سَلَفاً^(٥) فِي الْأَبَارِيقِ خَالِصاً وَفِي كُلِّ كَأْسٍ مِنْ مَهَا^(٦) حَسَنُ الْقَدِّ
تَضَمَّنَهَا زِقُّ أَزْبٍ^(٧) كَأَنَّهُ صَرِيعٌ مِنَ السُّودَانِ ذُو شَعَرٍ جَعْدِ
[الطويل]

أبو الهندي في الحانة:

نسخت من كتاب ابن النطاح: حدثني بعض أصحابنا:

أن أبا الهندي انتهى الصبوح في الحانة ذات يوم، فأتى خماراً بسجستان في محلة يقال لها: كوه زيان، وتفسيره: جبل الخسران، يُباع فيها الخمر والفاحشة، ويأوي إليها كل خارب^(٨) وزان وبغيّة، فدخل إلى الخمار، وقال له: اسقني. وأعطاه ديناراً، فكال له، وجعل يشرب حتى سكر، وجاء قوم يسألون عنه، فصادفوه على تلك الحال، فقالوا للخمار: ألحقنا به، فسقامهم حتى سكروا. وانتبه أبو الهندي فسأل عنهم، فعرفه الخمار خبرهم، فقال له: هذا الآن وقت السكر والآن طاب، ألحقني بهم، فجعل يشرب حتى سكر، وانتبهوا فقالوا للخمار: ويحك هذا نائم بعد؟ فقال: لا، ولقد انتبه، فلما عرف خبركم شرب حتى سكر، فقالوا: ألحقنا به، فسقامهم حتى سكروا، وانتبه أبو الهندي فسأل عن خبرهم، فعرفه، فقال: واللّه لألحقن بهم، فشرب حتى سكر، ولم يزل ذلك دأبه ودأبهم ثلاثة أيام، لم يلتقوا وهم في موضع واحد، ثم تركوا هم الشرب عمداً حتى أفاق، فلقوه، وهذا الخبر بعينه يُحكى لوالبة بن الحباب مع أبي نواس، وقد ذكر في أخبار والبة، والصحيح أنه لأبي الهندي، وفي ذلك يقول:

(١) الوطب: سقاء اللبن. (٢) الوضر: وسخ الدسم.

(٣) مقدمة: غطيت بالفدام، والفدام مصفاة صغيرة توضع على فم الإبريق.

(٤) تمجّ: تقذف ما في فمها. (٥) السلاف، بضم السين: من أسماء الخمرة.

(٦) المها، الواحدة مهاة: البقرة الوحشية. (٧) الأزب: الكثير الشعر.

(٨) الخارب: الخليع الفاسد واللص.

ندامى بعد ثالثة تلاقوا
وقد باكرتها فتركت منها
وقالوا: أيها الخمار من ذا؟!
فقالوا: هاتِ راحك ألحقنا
فما إن لبثتهم إن رمتهم
وحان تنبهي فسألت عنهم
رأوك مجدلاً فاستخبروني
فقلت: بهم فألحقني فهبوا
فقال: نعم. فقالوا: ألحقنا
فما إن زال ذاك الدأب منا
نبيت معاً، وليس لنا لقاء

تضمهم بكوه زيان راح
قتيلاً ما أصابتني جراح
فقال: أخ تخونه اصطباح
به وتعللوا ثم استراحوا
بحد سلاحها ولها سلاح
فقال: أتاحهم قدر متاح
فحرّكهم إلى الشرب ارتياح
فقالوا: هل تنبه حين راخوا؟
به قد لاح للرائي صباح
ثلاثاً نستبيح وتُستباح
ببيت ما لنا فيه براح
[الوافر]

موت أبي الهندي:

أخبرني عمي الحسن بن محمد، والحسن بن أحمد، قالا: حدثنا الحسن بن عليل العنزي، قال: قال صدقة بن إبراهيم البكري:

كان أبو الهندي يشرب معاً بمرو، وكان إذا سكر يتقلب تقلباً قبيحاً في نومه، فكنّا كثيراً ما نشدّ رجله لثلا يسقط من السطح، فسكر ليلة وشددنا رجله بحبل، وطولنا فيه ليقدر على القيام للبول وغير ذلك من حوائجه، فتقلب وسقط من السطح، فأمسكه الحبل، فبقي منكساً^(١)، وتخنّق بما في جوفه من الشراب، فأصبحنا فوجدناه ميتاً، قال صدقة: فمررت بقبره بعد ذلك فوجدت عليه مكتوباً:

إجعلوا إن مت يوماً كفني
ورق الكرم وقبري معصرة
إنني أرجو من الله غداً
بعد شرب الراح حسن المغفرة
[الرم]

قال: فكان الفتيان بعد ذلك يجيئون إلى قبره ويشربون، ويصبون القدح إذا انتهى إليه على قبره.

قال حماد بن إسحاق عن أبيه في وفاة أبي الهندي: إنه خرج وهو سكران في

(١) منكساً: مقلوباً.

ليلة باردة من حانة خمار في كوه زيان فأصابه ثلج في طريقه فقتله، فوجد من غد ميتاً على الطريق.

نصر بن سيار يمنع أبا الهندي من الشرب في موسم الحج :

وروى حماد بن إسحاق عن أبيه، قال :

حج نصر بن سيار وأخرج أبا الهندي معه، فلما حضرت أيام الموسم قال له : يا أبا الهندي إنا بحيث ترى، وفد الله وزوار بيته، فهب لي النبذ في هذه الأيام واحتكم علي، فلولا ما ترى ما منعتك، فضمن له ذلك وأغلظ عليه الإحكام، ووكل به نصر بن سيار بعض نقبائه، فلما انقضى الأجل مضى في السحر قبل أن يلقي نصراً، فجلس على أكمة يشرف منها على فضاء واسع، فجلس عليها، ووضع بين يديه إداوة^(١) وأقبل يشرب ويبكي، ويقول :

أديرا علي الكأس إني فقدتها كما فقد المفطوم در المراضع
حليف مدام فارق الراح^(٢) روحه فظل عليها مُستهل المدامع
[الطويل]

يغفر الله له :

قال إسحاق : وعاتب قوم أبا الهندي على فسقه ومعاقرته الشراب فقال :

إذا صليتُ خمساً كل يوم فإن الله يغفر لي فسوقي
ولم أشرك برب الناس شيئاً فقد أمسكت بالدين الوثيق
وجاهدت العدو ونلت مالا يُبلّغني إلى البيت العتيق
فهذا الدين ليس به خفاء دعوني من بُنيّات الطريق^(٣)
[الوافر]

قال إسحاق : وشرب يوماً أبو الهندي بكوه زيان عند خمارة هناك، وكان عندها نسوة عواهر، ففجر بهن ولم يُعطهن شيئاً، فجعلن يطالبنه بجعل، فلم ينفعهن، فقال في ذلك :

ألى يميناً أبو الهندي كاذبة ليعطين زواني لست^(٤) ماشينا

(١) الإداوة: إناء صغير من جلد.

(٢) المدام والراح: الخمرة.

(٣) بنيّات الطريق: الطرق الضيقة المتفرقة من الجادة.

(٤) لست: موضع.

وغيرهن فلما أن قضى وطراً قال: ارتحلن فأخزى الله ذا ديننا [البسيط]

أسرع الناس جواباً:

أخبرني عمي عن عبيد الله بن عبد الله بن طاهر، عن أبي محلم قال: خطب أبو الهندي غالب بن عبد القدوس بن شعث بن ربيعة إلى رجل من بني تميم، فقال: لو كنت مثل أبيك لزوجتك، فقال له غالب: لكنك لو كنت مثل أبيك ما خطبت إليك!!

قال أبو محلم، ومرّ نصر بن سيار بأبي الهندي، وهو سكران يتمايل، فوقف عليه فعذله وسبه، وقال: ضيعت شرفك، وفضحت أسلافك. فلما طال عتابه التفت إليه فقال: لولا أنني ضيعت شرفي لم تكن أنت على خراسان!! فانصرف نصر خجلاً.

قال أبو محلم: وكان بسجستان رجل يُقال له برزين ناسكاً، وكان أبوه صلب في خرابة^(١)، فجلس إليه أبو الهندي فطفق يعذله ويُعرض له بالشراب، فقال له أبو الهندي: أحذكم يرى القذاة^(٢) في عين أخيه، ولا يرى الخشبة في است أبيه!! فأخجله.

قال أبو محلم: وكان أسرع الناس جواباً.

صوت

لقد قلت، حين قرب	ت العيس: يا نوار
قفوا فاربعوا قليلاً	فلم يربعوا وساروا
فنفسى لها حنين	وقلبي له انكسار
وصدري به غليل	ودمعي له انحدار

[المضارع]

الشعر لسعيد بن وهب، والغناء لسليم، رمل بالوسطى عن الهشامي، ومن جامع سليم ونسخة عمرو الثانية.

(١) الخرابة، بكسر الخاء: السرقة.

(٢) القذاة: ما يقع من تب أو غبار في العين.

أخبار سعيد بن وهب

اسمه ونسبه :

سعيد بن وهب أبو عثمان، مولى بني سامّة بن لؤيّ بن نصر، مولده ومنشؤه البصرة، ثم صار إلى بغداد فأقام بها، وكانت الكتابة صناعته، فتصرف مع البرامكة فاصطنعوه، ثم تقدّم عندهم، وكان شاعراً مطبوعاً، ومات في أيام المأمون، وأكثر شعره في الغزل والتشبيب بالمدح، وكان مشغولاً بالعلماء والشراب، ثم تنسك وتاب، وحجّ راجلاً على قدميه، ومات على توبة وإقلاع ومذهب جميل، ومات وأبو العتاهية حيّ، وكان صديقه فرثاه.

أبو العتاهية يرثيه :

فأخبرني عليّ بن سليمان الأخفش، عن محمد بن يزيد، قال: حدثت عن بعض أصحاب أبي العتاهية، قال:

جاء رجل إلى أبي العتاهية، ونحن عنده، فسارّه بشيء، فبكى أبو العتاهية، فقلنا له: ما قال لك هذا الرجل يا أبا إسحاق فأبكاك؟ فقال وهو يحدثنا لا يريد أن يقول شعراً:

قال لي: مات سعيد بن وهب رحم الله سعيد بن وهب
يا أبا عثمان أبكيت عيني يا أبا عثمان أوجعت قلبي
[المديد]

قال: فعجبنا من طبعه، وأنه تحدث فكان حديثه شعراً موزوناً.

توبة صادقة :

وأخبرني الحسن بن علي الخفاف، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني سيبويه أبو محمد، قال:

كان سعيد بن وهب الشاعر البصريّ مولى بني سامّة قد تاب وتزهد، وترك قول الشعر، وكان له عشرة من البنين، وعشر من البنات، فكان إذا وجد شيئاً من شعره خرّقه وأحرقه، وكان امرأ صدق كثير الصلاة، يزكي في كل سنة عن جميع ما عنده، حتى إنه ليزكي عن فضة كانت على امرأته.

سعيد يتوعد سعيداً:

أخبرني عمي قال: حدثني علي بن الحسين بن عبد الأعلى، قال: حدثني أبو عثمان الليثي، قال:

كان سعيد بن وهب يتعشق غلاماً يتشطر يُقال له سعيد، فبلغه أنه يتوعدة أن يجرحه، فقال فيه:

مَنْ عَذِيرِي مَنْ سَمِيّ؟ مَنْ عَذِيرِي مَنْ سَعِيدٍ؟
أَنَا بِاللَّحْمِ أَجَاهُ وَيَجَانِي بِالْحَدِيدِ^(١)
[مجزوء الرمل]

لفظ بلا معنى:

حدثني جحظة قال: حدثني ميمون بن هارون، قال:
نظر سعيد بن وهب إلى قوم من كتاب السلطان في أحوال جميلة، فأنشأ يقول:
مَنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا لَهُ شَارَةٌ فَنَحْنُ مِنْ نَظَارَةِ الدُّنْيَا
نَرْمُقُهَا مِنْ كَثْبٍ^(٢) حَسْرَةٌ كَأَنَّ الْفِظَ بِلَا مَعْنَى
يَعْلُو بِهَا النَّاسُ وَأَيَّامُنَا تَذْهَبُ فِي الْأَرْذَلِ وَالْأَدْنَى
[السريع]

غادة لولا شواربه:

أخبرني عمي، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني محمد بن عبد الله بن يعقوب بن داود قال:

حدثني عبد الله بن أبي العلاء المُنَغْنِي قال: نظر إلي سعيد بن وهب وأنا على باب ميمون بن إسماعيل حين اخضرّ شاربي، ومعه إسحاق بن إبراهيم الموصلي فسلمت على إسحاق، فأقبل عليه سعيد، وقال: من هذا الغلام؟ فتبسم، وقال: هذا ابن صديق لنا، فأقبل عليّ، وقال:

لَا تَخْرُجَنَّ مَعَ الْغَزِيِّ^(٣) لِمَغْنَمٍ إِنَّ الْعَزِيَّ يَرَاكَ أَفْضَلَ مَغْنَمٍ
فِي مِثْلِ وَجْهِكَ يَسْتَحِلُّ ذُووُ التَّقَى وَالذِّينَ وَالْعُلَمَاءُ كُلُّهُمْ مُحَرَّمٌ

(١) أجاه: أي أجؤه بمعنى أضربه، ويجاني بالحديد: يضربني بالسكين.

(٢) الكتب: القرب.

(٣) الغزي: الغزاة، المحاربين.

ما أنت إلا غادة ممكورة^(١) لولا شواربُك المطيفة بالفم^(٢)
[الكامل]

سعيد والكسائي و غلام جميل !!

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثني أحمد بن أبي طاهر، عن أبي دعامه، قال:

مرّ سعيد بن وهب والكسائي، فلقيا غلاماً جميلاً الوجه، فاستحسنه الكسائي، وأراد أن يستميله، فأخذ يذكره بالنحو ويتكلم به، فلم يمل إليه، وأخذ سعيد بن وهب في الشعر ينشده، فمال إليه الغلام، فبعث به إلى منزله، وبعث معه بالكسائي، وقال له: حدثه وأنسه إلى أن أجيء، وتشاغل بحاجة له، فمضى به الكسائي، فما زال يُداريه حتى قضى حاجته منه وأربه، ثم قال له: انصرف، وجاء سعيد فلم يره فقال:

أبو حسن لا يفي	فمن ذا يفي بعده؟
أثرت له شادناً ^(٣)	فصايدته وحده
وأظهر لي غدره	وأخلفني وعده
سأطلب ما ساءه	كما ساءني جهده

[مجزوء المتقارب]

سعيد يرثي ابنه:

أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال:

كان سعيد بن وهب لي صديقاً، وكان له ابن يُكنى أبا الخطاب، من أكيس الصبيان وأحسنهم وجهاً وأدباً، فكان لا يكاد يفارقه في كل حال، لشدة شغفه به ورقيقته عليه، فمات وله عشر سنين، فجزع عليه جزعاً شديداً، وانقطع عن لذاته، فدخلت إليه يوماً لأعاتبه على ذلك واستعطفه، فحين رأيته عرف ذلك في وجهي، ففاضت دموعه ثم انتحب حتى رحمته، وأنشدني لوقته يرثيه:

عين جودي على أبي الخطاب	إذ تولى غصاً بماء الشباب
لم يُقارِف ^(٤) ذنباً ولم يبلغ الحُلْد	مَ مُرجى مطهر الأثواب

(١) غادة ممكورة: ثقيلة الأرداف، متناسقة الجسد.

(٢) المطيفة بالفم: المحيطة.

(٣) الشادن: ولد الطيبة الذي استغنى عن أمه ونبت قرناه.

(٤) يُقارِف ذنباً: يرتكب معصية.

فقدته عيني إذا ما سعى أت
وإذا ما رأيت كتّابه
إن عداً موحشاً لداري فقد أض
أحمد الله يا حبيبي فإني
رأبه من جماعة الأتراب
لم أر فيه ريحانة الكتّاب
بح أنس الثرى وزين التراب
بك راج منه عظيم الثواب
[الخفيف]

ثم ناشدني ألا أذكره بشيء مما جئت إليه، فقلت ولم أخاطبه بحرف.
وقد رأيت هذه الأبيات بعينها بخط إسحاق في بعض دفاتره يقول فيه: أنشدني
سعيد بن وهب لنفسه يرثي ابناً له صغيراً. وهي على ما ذكره جعفر بن قدامة عن
حماد سواء.

حكم وأجر:

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق، قال: حدثني أبو هفان، قال: حدثني أبو
دعامة، قال:

كان سعيد بن وهب مألوفة لكل غلام أمرد، وفتى ظريف، وقينة محسنة،
فحدثني رجل كان يُعاشره، قال: دخل إليه يوماً وأنا عنده غلامان أمردان، فقالا له:
قد تحاكمنا إليك أيّنا أجمل وجهاً وأحسن جسماً، وجعلنا لك أجر حكمك أن تختار
أيّنا حكمت له فتقضي حاجتك منه، فحكم لأحدهما، وقام فقضى حاجته منه،
واحتبسهما، فشربا عنده نبيذاً، ثم مال على الآخر أيضاً، وقمت معه فداخلتها حتى
فعلت كفعله، فقال لي سعيد: هذا يوم الغارات في الخسارات ثم قال:

رئمان جاء فحكماني
هذا كشمس الضحى جمالاً
وفضل هذا كذا على ذا
قالا أشرب بيننا برأي
تبادلا ثم قمت حتّى
وكان عيباً بأن أراني
فكان مني ومن قريني
لا حكم قاض ولا أمير
وذا كبدر الدجى المنير
فضل خميس^(١) على عشير^(٢)
ونجعل الفضل للمشير
أخذت فضلي من الكبير
أحرم حظي من الصغير
إليهما وثبة المغير

(١) الخميس: الجزء من الخمسة.

(٢) العشير: الجزء من العشرة.

فمن رأى حاكماً كحكمي أعظم جوراً بلا نكير

[مخلع البسيط]

وقال: وشاعت الأبيات حتى بلغت الرشيد، فدعا به فاستنشده إياها، فتلكأ، فقال له: أنشد ولا بأس عليك، فأنشده، فقال له: ويلك اخترت الكبير سنناً أو قدراً؟ قال: بل الكبير قدراً. قال: لو قلت غير هذا لسقطت عندي واستخففت بك، ووصله.

بيتان منه ينوبان عن قصيدة:

أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدثني أبو العيناء، قال:

دخل سعيد بن وهب على الفضل بن يحيى في يوم قد جلس فيه للشعراء، فجعلوا ينشدونه ويأمر لهم بالجوائز، حتى لم يبق منهم أحد، فالتفت إلى سعيد بن وهب كالمستنطق، فقال له: أيها الوزير، إني ما كنت استعددت لهذه الحال، ولا تقدمت لها عندي مقدمة فأعرفها، ولكن قد حضرني بيتان أرجو أن ينوبا عن قصيدة، فقال: هاتهما، فرب قليل أبلغ من الكثير، فقال سعيد:

مدح الفضل نفسه بالفعال فعلا عن مديحنا بالمقال
أمروني بمدحه قلت: كلا كبر الفضل عن مديح الرجال

[الخفيف]

قال: فطرب الفضل وقال له: أحسنت والله وأجدت، ولئن قلّ القول ونزّر، لقد اتسع المعنى وكثر، ثم أمر له بمثل ما أعطاه كل من أنشده مديحاً يومئذ، وقال: لا خير فيما يجيء بعد بيتيك، وقام من المجلس، وخرج الناس يومئذ بالبيتين لا يتناشدون سواهما.

رأي جعفر بن يحيى في سعيد:

حدثني عمي قال: حدثني ميمون بن هارون، قال: حدثت عن الخريمي، قال:

كان الفضل بن يحيى يُنافس أخاه جعفرًا ويُنافسه جعفر، وكان أنس ابن أبي شيخ خاصاً بجعفر، يُنادمه ويأنس به في خلواته، وكان سعيد بن وهب بهذه المنزلة للفضل، فدخلت يوماً إلى جعفر، ودخل إليه سعيد بن وهب، فحدثه وأنشده وتنادر له، وحكى عن المتنادرين، وأتى بكل ما يسرّ ويُطرب ويُضحك، وجعفر ينظر إليه لا يزيد على ذلك، فلما خرج سعيد من عنده تجاهلت عليه وقلت له: من هذا الرجل الكثير الهذيان؟ قال: أو ما تعرفه؟ قلت: لا، قال: هذا سعيد بن وهب صديق أخي

أبي العباس وخلصائه وعشيقه، قلت: فأَي شيء رأى فيه؟ قال: لا شيء واللّه إلا القدر والبرد والغثاثة.

ثم دخلت بعد ذلك إلى الفضل، ودخل أنس بن أبي شيخ، فحدث وتنادر، وحكى عن المضحكين، وأتى بكل طريفة، فكانت قصة الفضل معه قصة جعفر مع سعيد، فقلت له بعد أن خرج من حضرته: من هذا المُبرم؟ قال: أو لا تعرفه؟ قلت: لا، قال: هذا أنس بن أبي شيخ صديق أخي أبي الفضل وعشيقه وخاصته، قلت: وأي شيء أعجبه فيه؟ قال: لا أدري واللّه إلا القدر والبرد وسوء الاختيار.

قال: وأنا واللّه أعرف بسعيد وأنس من الناس جميعاً، ولكني تجاهلت عليهما، وساعدتهما على هواهما.

أمانة سعيد بن وهب:

حدثني عمي قال: حدثني ميمون بن هارون، قال: قال إبراهيم بن العباس: قال لي الفضل بن الربيع ذات يوم: عَرَفْنَا أَيَّامَ النكبة من كنا نجعله من الناس، وذلك أنا احتجنا إلى أن نُودع أموالنا، وكان أمرها كثيراً منفرداً، فكنا نُلقِيها على الناس إلقاءً، ونُودِعُها الثقةَ وغيرَ الثقة، فكان ممن أودعته سعيد بن وهب، وكان رجلاً ضلوكاً لا مال له، إنما صَحِبنا على البطالة، فظننت أن ما أودعته ذاهبٌ، ثم طلبته منه بعد حين، فجاءني واللّه بخواتيمه، وأودعت عليّ بن الهيثم كاتبنا جملةً عظيمة، وكان عندي أوثق من أودعته، فلما أمنت طالبت بالوديعة فجحدنيها وبهتني^(١)، وحلف على ذلك، فصار سعيد عندي في السماء، وبلغت به كل مبلغ، وسقط عليّ بن الهيثم، فما يصل إلي ولا يلقيني.

غلامه يفحمه:

حدثني جحظة عن أبي العباس بن الفرات، قال: كان لسعيد بن وهب خادم يجن بعشقه جنوناً، فغضب عليه يوماً لشيء أنكره، فأمر به فبطح، وكشفت استه، وأخذ المقرعة وقام ليضربه، ثم قال له: إنما غرتك مني استك هذه، حتى اجتراءت عليّ، وسأريك هوانها عليّ، فقال له الخادم: طال ما غرتك هذه الاست حتى اجتراءت على ربك بما اجتراءت عليه من أجلها، وسترى

(١) بهتني: كذب علي افتراء.

هوانك عليه إذا لقيته. قال: فقال سعيد: فورد والله عليّ جوابٌ حيّرني حتى سقطت المقرعة من يدي، وكففت عنه.

أيهما أراد سعيد؟

أخبرني جعفر بن قدامة، قال: حدثني حماد بن إسحاق، عن أبيه قال: حدثني عمرو بن بانه، قال: كان في جواري رجل من البرامكة، وكانت له جارية شاعرة ظريفة أديبة يقال لها حسناء، يدخل إليها الشعراء، ويسألونها عن المعاني، فتأتي بكل مستحسن من الجواب، فدخل إليها سعيد بن وهب يوماً، وجلس إليها فحدثها طويلاً، ثم قال لها بعد ذلك:

وحاجيتك يا حسنا	ء في جنس من الشعر
وفيما طوله شبر	وقد يوفي على الشبر
له في رأسه شق	نطوف ^(١) بالندى يجري
إذا ما جف لم يجر	لدى بر ولا بحر
وإن بل أتى بالعـ	جب العاجب والسحر
أجيبني لم أرد فحشاً	ورب الشفع والوتر
ولكن صغت أبياتاً	لها حظ من الزجر

[الهج]

قال: فغضب مولاه وتغير لونه وقال: أئفحش على جاريتي وتخاطبها بالخن^(٢)؟ فقالت له: خفّض عليك، فما ذهب إلى ما ظننت، وإنما يعني القلم. فسري عنه، وضحك سعيد، وقال: هي أعلم منك بما سمعت.

صوت

داينت أروى والديون تقضى	فمطلت بعضاً وأدت بعضاً
يا ليت أروى إذ لوئك القرصا	جادت بقرض فشكرت القرصا

[الرجز]

الشعر لرؤبة بن العجاج، والغناء لعمرو بن بانه رمل بالوسطى.

(١) النطوف: هو من ينطف ويسيل قطره شيئاً فشيئاً.

(٢) الخن: الفاحشة قولاً وفعلاً.

أخبار رؤية ونسبه

اسمه ونسبه :

هو رُؤْبَةُ بن العَجَّاج، واسم العَجَّاج عبد الله بن رُؤْبَةُ بن حنيفَةَ، وهو أبو خُرَيْم بن مالك بن قُدَامَةَ بن أُسَامَةَ بن الحارث بن عوف بن مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم.

منزلته :

من رُجَّاز الإسلام وفُصَحائهم والمذكورين المقدمين منهم، بدوي نزل البصرة، وهو من مخضرمي الدولتين، مدح بني أمية ومدح بني العباس، ومات في أيام المنصور، وقد أخذ عنه وجوه أهل اللغة، وكانوا يقتدون به ويحتجون بشعره، ويجعلونه إماماً، ويكنى أبا الحَجَّاف وأبا العَجَّاج.

يونسُ يُدافع عن رؤية :

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، وأحمد بن عُبَيْد الله بن عمار واللفظ له، قالوا: حدثنا عمر بن شُبَّة قال: حدثنا خلاد بن يزيد، قال:

حدثني يونس بن حبيب، قال: كنت جالساً مع أبي عمرو بن العلاء، إذ مر بنا شبيل بن عذرة الضبي - قال أبو يزيد: وكان علامة - فقال: يا أبا عمرو، أشعرت أني سألت رؤية عن اسمه فلم يدر ما هو وما معناه؟ قال يونس: فقلت له: واللَّهِ لرؤية أفصح من معد بن عدنان، وأنا غلام رؤية، أفتعرف أنت رؤية وروبة وروبة وروبة؟ قال: فضرب بغلته وذهب، فما تكلم بشيء، قال يونس: فقال لي أبو عمرو: ما يسرني أنك نقصتني منها.

قال ابن عمار في خبره: والرؤية: اللبن الخائر، والرؤية: ماء الفحل، والرؤية: الساعة تمضي من الليل، والرؤية: الحاجة، والرؤية: شعب القدح. قال: وأنشد في بعض ذلك:

فَأَمَّا تَمِيمٌ تَمِيمٌ بَن مَّرٍّ فَأَلْقَاهُمُ الْقَوْمُ رَوْبِي^(١) نِيَامَا
[المتقارب]

(١) الروبي من الناس: الجماعة الذين أضناهم السير، فناموا نوماً عميقاً.

أخبرني ابن عمار، قال: حدثني عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني يحيى بن محمد بن أعين المروزي، قال:

حدثني أبو عبيدة، قال: شهدت شبيلاً الضبعي وأبا عمرو، فذكر نحوه.

رؤية أفصح عربي:

أخبرني أبو خليفة في كتابه إلي.

عن محمد بن سلام، قال: قلت ليونس: هل رأيت عربياً قط أفصح من رؤية، قال: لا، ما كان معدّ بن عدنان أفصح منه.

قال يونس: قال لي رؤية: حتى متى أزعرف لك كلام الشيطان، أما ترى الشيب قد بلغ في لحيتك؟

وقد روى رؤية بن العجاج الحديث المسند عن رسول الله ﷺ، ورواه أبوه أيضاً.

رؤية يؤمن بيوم الحساب:

أخبرنا عبد الله بن أبي داود السجستاني، قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن خلاد قال: حدثنا يعقوب بن محمد الزهري، قال: حدثنا محمد بن إبراهيم، عن يونس بن حبيب، عن رؤية بن العجاج عن أبيه، قال: أنشدت أبا هريرة:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي تَعَلَّتْ بِأَمْرِهِ السَّمَاءُ وَاسْتَقَلَّتْ
بِإِذْنِهِ الْأَرْضُ وَمَا تَغَيَّتْ^(١) أَرْسَى عَلَيْهَا بِالْجِبَالِ الثُّبَّتِ
الْبَاعَثِ النَّاسَ لِيَوْمِ الْمَوْقِتِ

[الرجز]

فقال أبو هريرة: أشهد أنك تؤمن بيوم الحساب.

رؤية يروي الحديث:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثنا عمر بن شبة قال: أخبرني أبو الحارث البابي - من آل الحجاج بن باب - قال: حدثني يونس بن حبيب.

عن رؤية بن العجاج، عن أبي الشعثاء، عن أبي هريرة، قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر، وحاد يحدو:

(١) تَغَيَّتْ: نصبت واستقرت.

طاف الخيالانِ فهاجا سَقَمًا خيالُ لبني وخیالُ تَكْتُمَا
قامت تُريك خَشِيَّةً أَنْ تَصْرِمَا^(١) ساقاً بخنداة وكعباً أَدْرِمَا^(٢)
[الرجز]

والنبي ﷺ يسمع ولا يُنكر.

أخبرنا محمد بن خلف وكيع، قال: حدثنا عبد الله بن عمرو عن محمد بن إسحاق المهلبّي، قال: حدثنا أبو عُبَيْدَةَ الحداد، قال: حدثنا رُؤْبَةُ بن العجاج، عن أبيه، قال: سمعت أبا هُرَيْرَةَ يقول: السواك يُذهب وضر^(٣) الطعام.

أبو مسلم يستنشد رؤية:

أخبرني عمّي، قال: حدثنا محمد بن سعد الكرانيّ، قال: حدثنا أبو حاتم والأشنادانيّ أبو عُثْمَانَ، عن أبي عُبَيْدَةَ.

عن رُؤْبَةَ بنِ العجاج، قال: بعث إليّ أبو مسلم لما أفضت الخلافة^(٤) إلى بني هاشم، فلما دخلت عليه رأى مني جزعاً، فقال: اسكن، فلا بأس عليك، ما هذا الجزعُ الذي ظهر منك؟ قلتُ: أخافك، قال: ولم؟ قلت: لأنّه بلغني أنّك تقتل الناس. قال: إنما أقتل من يُقاتلني ويُرِيد قتلي، أفأنت منهم؟ قلت: لا. قال: فهل ترى بأساً؟ قلت: لا، فأقبل على جلسائه ضاحكاً ثم قال: أمّا ابن العجاج فقد رخص لنا. ثم قال أنشدني قولك:

وقاتم الأعماقِ خاوي المخترقُ

فقلت: أو أنشدك أصلحك الله أحسن منه؟ قال: هات، فأنشدته:

قلتُ، ونسجي مستجِدُّ حَوْكَا لبّيك إذ دَعَوْتَنِي لبّيكَا
أَحْمَدُ رَبّاً ساقني إِيكَا

[الرجز]

قال: هات كلمتك الأولى، قلت أو أنشدك أحسن منها؟ قال: هات، فأنشدته:

ما زال يبني خُنْدَقاً ويهدِمُهُ ويستجيش عسكراً ويهزِمُهُ

(٢) الأدرم: المستقيم.

(١) تصرم: تقطع علاقتها بها.

(٣) وضر الطعام: وسخ دسمه.

(٤) أفضت الخلافة: تحوّلت، انتقلت.

ومغنماً يجمعه وتقسمه مرواً لما أن تهاوت أنجمه
وخانه في حكمه منجمه

[الرجز]

قال: دُع هذا وأنشدني:

وقاتم الأعماق. قلت: أو أحسن منه؟ قال: هات، فأنشدته:

رفعت بيتاً وخفضت بيتاً وشدت ركن الدين إذ بنيتاً
في الأكرمين من فريش بيتاً

[الرجز]

قال: هات ما سألتك عنه. فأنشدته:

ما زال يأتي الأمر من أقطاره على اليمين وعلى يساره
مشمراً لا يُصطلى بناره حتى أقر الملك في قراره
وفر مرواً على حماره

[الرجز]

قال: ويحك هات ما دعوتك له وأمرتك بإنشاده، ولا تُنشد شيئاً غيره فأنشدته:

وقاتم الأعماق خاوي المخترق

فلما صرت إلى قولي:

يرمي الجلاميد بجلمود^(١) مدق

قال: قاتلك الله، لشد ما استصليت الحافر، ثم قال: حسبك، أنا ذلك الجلمود

المدق.

قال: وجيء بمنديل فيه مال فوضع بين يديّ، فقال أبو مسلم، يا رؤبة إنك أتيتنا
والأموال مشفوهة وإن لك إلينا لعودة، وعلينا مَعولاً، والدهر أطرق مستتب فلا تجعل
بجنبك الأسد^(٢). قال رؤبة: فأخذت المنديل منه، وتالّه ما رأيت أعجمياً أفصح
منه، وما ظننت أن أحداً يعرف هذا الكلام غيري وغير أبي.

قال الكراني: قال أبو عثمان الأشناداني، خاصة:

(١) الجلمود: الصخر العظيم.

(٢) الأسد: أي تخيل الأسد في مواجهة المرء.

يقال: اشتف ما في الإناء وشفهه: إذا أتى عليه، وأنشد:

وكاد المال يشفهه عيالي وصادف عيلةً مَنْ لا أعولُ
[الوافر]

رؤية يأكل الفأر:

أخبرني علي بن سليمان الأخفش، قال: حدثني محمد بن يزيد. وأخبرني إبراهيم بن أيوب، قال: حدثني ابن قتيبة، قال:

كان رؤية بن العجاج يأكل الفأر، ف قيل له في ذلك وعوتب، فقال: هو والله أنظف من دواجنكم ودجاجكم اللواتي يأكلن القذر، وهل يأكل الفأر إلا نقي البر ولباب الطعام؟

الحجاج يبعث برؤية وأبيه للقاء عبد الملك:

أخبرني محمد بن الحسن بن ذرير، قال: حدثنا أبو حاتم، عن أبي عبيدة. عن رؤية، قال: لما ولي الوليد بن عبد الملك الخلافة بعث بي الحجاج مع أبي لنقاه، فاستقبلنا الشمال حتى صرنا بباب الفرديس، قال: وكان خروجنا في عام مخصب، وكنت أصلي الغداة، وأجتنى من الكمأة ما شئت، ثم لا أجاوز إلا قليلاً حتى أرى خيراً منها، فأرمي بها وأخذ الآخر، حتى نزلنا بعض المياه، فأهدي لنا حَمَلٌ مخرفج^(١)، ووطب^(٢) لبن غليظ، وزُبدة كأنها رأس نعجة حُوشية، فقطعنا الحَمَلَ آراباً، وكرنا عليه اللبن والزبدة، حتى إذا بلغ إناه انتشلنا اللحم بغير خبز، ثم شربت من مرقه شربة لم تزل لها ذفرياي ترشحان حتى رجعنا إلى حَجَر، فكان أول من لقينا من الشعراء جريراً، فاستعهدنا ألا نُعينَ عليه، فكان أول من أذن له من الشعراء أبي، ثم أنا، فأقبل الوليد على جرير، فقال له: ويلك ألا تكون مثل هذين؟ عَقدا الشفاه عن أعراض الناس، فقال: إني أظلم فأتتصر ولا أصبر، ثم لقينا بعد ذلك جريراً فقال: يا بني أم العجاج، والله لئن وضعتُ كلكلي^(٣) عليكما ما أغنت عنكما مُقَطَّعاتكما، فقلنا: لا والله ما بلغه عنا شيء، ولكنه حَسَدنا لما أذن لنا قبله واستشَدنا قبله.

(١) حمل مخرفج: مشوي جيداً.

(٢) الوطب: سقاء اللبن.

(٣) كلكلي: صدري.

جرير يهدد والعجاج يعتذر :

وقد أخبرني ببعض هذا الخبر الحسن بن عليّ، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثني أحمد بن الحارث الخراز، عن المدائنيّ، قال: قال روح بن فلان الكلبيّ: كنت عند عبد الملك بن بشر بن مروان، فدخل جرير، فلما رأى العجاج أقبل عليه ثم قال له: واللّه لئن سهرت لك ليلة ليقلنّ عنك نفعُ مقطعاتك هذه، فقال العجاج: يا أبا حَزرة: واللّه ما فعلتُ ما بلغك، وجعل يعتذر إليه ويحلف ويخضع، فلما خرج قال له رجلٌ: لشدّ ما اعتذرت إلى جرير، قال: واللّه لو علمتُ أنه لا ينفعني إلا السُّلاح^(١) لسلّحت.

لهجة رؤبة :

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ، قال: حدثنا عمر بن شُبّة، عن أحمد بن معاوية عن الأصمعيّ، عن سليمان بن أخضر. عن ابن عون، قال: ما شبّهت لهجة الحسن البصريّ، إلا بلهجة رؤبة، ولم يوجد له ولا لأبيه في شعرهما حرف مدغم قطّ.

أشعر الناس :

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد، قال: أخبرني عبد الرحمن بن أخي الأصمعيّ، عن عمه، قال: قيل ليونس: مَنْ أشعر الناس؟ قال: العجاج ورؤبة. فقليل له: لِمَ ولم نَعنِ الرّجّاز؟ فقال: هم أشعر من أهل القصيد، إنما الشعر كلام، فأجوده أشعره. قد قال العجاج:

قد جبرَ الدينَ الإلهُ فجبرَ

وهو نحوٌ من مائتي بيت موقوفةٍ القوافي، ولو أُطلقت قوافيها كانت كلها منصوبة، وكذلك عامة أراجيزهما.

تنحّ للعجوز :

أخبرني أبو خليفة في كتابه إليّ عن محمد بن سلام. عن أبي زيد الأنصاري والحكم بن قنبر قالا: كنا نقعد إلى رؤبة يوم الجمعة في

(١) السُّلاح، بضم السين: النجو الرقيق المائع.

رحبة بني تميم، فاجتمعنا يوماً فقطعنا الطريق، ومرت بنا عجوز، فلم تقدر على أن تجوز في طريقها، فقال رؤية بن العجاج:

تَنَحَّ للعجوز عن طريقها إذ أقبلت رائحة من سوقها
دعها فما النحوي من صديقها

[الرجز]

دار الظالمين:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وأحمد بن عبيد الله بن عمار قالا: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا أبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري النحوي قال:

دخل رؤية بن العجاج السوق وعليه برنكان^(١) أخضر، فجعل الصبيان يعبثون به ويغرزون شوك النخل في برنكانه، ويصيحون به: يا مردوم^(٢)، يا مردوم، فجاء إلى الوالي فقال: أرسل معي الوزعة^(٣)، فإن الصبيان قد حالوا بيني وبين دخول السوق. فأرسل معه أعواناً، فشدد على الصبيان، وهو يقول:

أنحى على أمك بالمردوم أعور جعد من بني تميم
شراب ألبان خلایا كُوم^(٤)

[الرجز]

قال: ففروا من بين يديه، فدخلوا داراً في الصيارفة، فقال له الشرط: أين هم؟ قال: دخلوا دار الظالمين. فسميت دار الظالمين إلى الآن لقول رؤية، وهي في صيارفة سوق البصرة.

أي العجاجين أنت؟

وذكر أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني، قال:

قدم البصرة راجز من أهل المدينة، فجلس إلى حلقة فيها الشعراء، فقال: أنا أرجز العرب، أنا الذي أقول:

مَروان يُعطي وسعيد يمنع مروان نبُع وسعيد خروغ

[الرجز]

(١) البرنكان: ضرب من الألبسة. فارسي معرب.

(٢) المردوم: المحموم.

(٣) الوزعة: الحرس الذين يردعون الأولاد عن رؤية.

(٤) الكوم، الواحدة كوما من الإبل: البعير الضخم السنام.

وَدِدْتُ أَنِّي رَامَيْتُ مَنْ أَحَبَّ فِي الرِّجْزِ يَدًا بِيَدٍ، لَأَنَا أَرْجُزُ مِنَ الْعَجَاجِ. فَلَيْتَ الْبَصْرَةَ جَمَعْتَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ. قَالَ وَالْعَجَاجُ حَاضِرُ وَابْنِهِ رُؤْيَا مَعَهُ، فَأَقْبَلَ رُؤْيَا عَلَى أَبِيهِ فَقَالَ: قَدْ وَاللَّهِ أَنْصَفَكَ الرَّجُلُ. فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ الْعَجَاجُ، فَقَالَ: هَا أَنَا ذَا الْعَجَاجِ فَهَلُمَّ، وَزَحَفْ إِلَيْهِ فَقَالَ: وَأَيُّ الْعَجَّاجِينَ أَنْتَ؟ قَالَ: مَا خِلْتُكَ تَعْنِي غَيْرِي أَنَا عَبْدُ اللَّهِ الطَّوِيلُ - وَكَانَ يُكْنَى بِذَلِكَ - فَقَالَ لَهُ الْمَدَنِي: مَا عَنِتُّكَ وَلَا أَرَدْتُكَ. فَقَالَ: وَكَيْفَ وَقَدْ هَتَفْتَ بِاسْمِي وَتَمَنَيْتَ أَنْ تَلْقَانِي وَأَنْ يَجْمَعَنِي وَإِيَّاكَ مَجْلِسًا؟ فَقَالَ: أَوْ مَا فِي الدُّنْيَا عَجَاجٌ سِوَاكَ؟ قَالَ: مَا عَلِمْتُ. قَالَ: لَكِنِّي أَعْلَمُ، وَإِيَّاهُ عَنِتُّ. قَالَ: فَهَذَا ابْنِي رُؤْيَا. فَقَالَ: اللَّهُمَّ غَفِرًا، مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمَا عَمَلٌ، وَإِنَّمَا مَرَادِي غَيْرُكُمَا، فَضَحِكُ أَهْلُ الْحَلْقَةِ مِنْهُ. وَكَفَّا عَنْهُ.

كَأَنَّهُ نَسَرَ:

أَخْبَرَنِي أَبُو خَلِيفَةَ فِي كِتَابِهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَامٍ.
عَنْ يُونُسَ، قَالَ: غَدَوْتُ يَوْمًا أَنَا وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْعَطَارْدِيِّ إِلَى رُؤْيَا، فَخَرَجَ إِلَيْنَا كَأَنَّهُ نَسَرَ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ نُوحٍ: يَا أَبَا الْجَحَافِ أَصْبَحْتَ وَاللَّهِ، كَقَوْلِكَ:
كَالْكُرْزِ^(١) الْمَشْدُودَ بَيْنَ الْأَوْتَادِ سَاقَطَ عَنْهُ الرِّيشُ كَرُّ الْأَبْرَادِ
[الرجز]
فَقَالَ لَهُ رُؤْيَا: وَاللَّهِ يَا ابْنَ نُوحٍ مَا زِلْتُ لَكَ مَاقِتًا. فَقُلْتُ لَهُ: بَلْ أَصْبَحْتُ يَا أَبَا الْجَحَافِ كَمَا قَالَ الْآخَرُ:
فَأَبْقَيْنَ مِنْهُ وَأَبْقَى الطَّرَا دُبْطُنًا خَمِيصًا^(٢) وَصُلْبًا سَمِينًا
[المقارب]
فَضَحِكُ وَقَالَ: هَاتِ حَاجَتَكَ.

الْأَذْرِيطُوسُ:

قَالَ ابْنُ سَلَامٍ: وَوَقَفَ رُؤْيَا عَلَى بَابِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ يَسْتَأْذِنُ، فَقِيلَ لَهُ: قَدْ أَخَذَ الْأَذْرِيطُوسُ - وَهُوَ اسْمُ دَوَاءٍ - فَقَالَ رُؤْيَا:
يَا مُنْزَلَ الْوَحْيِ عَلَى إِدْرِيسَ وَمُنْزَلَ اللَّعْنِ عَلَى إِبْلِيسَ
وَخَالِقَ الْإِثْنَيْنِ وَالْخَمِيصَ بَارِكْ لَهُ فِي شُرْبِ الْأَذْرِيطُوسِ
[الرجز]

(١) الْكُرْزُ؛ بَضْمُ الْكَافِ وَفَتْحُ الرَّاءِ: الْبَازِي سَقَطَ رِيْشُهُ.

(٢) الْبَطْنُ الْخَمِيصُ: الْفَارِغُ مِنَ الطَّعَامِ، الْجَائِعُ.

صفة خيل :

أخبرني الحسن بن يحيى، قال : قال حماد : أخبرني أبي عن الأصمعي، قال :
أنشد رؤبة سلم بن قتيبة في صفة خيل :

يَهْوِينَ شَتَّى وَيَقَعْنَ وَقْفَا

فقال له : أخطأت يا أبا الجحاف، جعلته مُقَيِّدًا. فقال : أذني أيها الأمير من
ذنب البعير أصفه لك كما يجب .

جاء الخوان فارفعوا حنّانة :

أخبرني أبو خليفة في كتابه إليّ، عن محمد بن سلام، عن عبد الرحمن بن
محمد، عن علقمة الضبيّ، قال : خرج شاهين بن عبد الله الثقيّ برؤية إلى أرضه،
فقدوا يلعبون بالنرد، فلما أتوا بالخوان، قال رؤبة :

يَا إِخْوَتِي جَاءَ الْخَوَانُ فَارْفَعُوا حَنَّانَةً كِعَابُهَا تَقْعَقُعُ
لَمْ أَدْرِ مَا ثَلَاثُهَا وَالْأَرْبَعُ

[الرجز]

قال : فضحكنا ورفعناها وقُدِّمَ الطعام .

الشعر واللغة والفصاحة :

أخبرني الحسن بن عليّ، قال : حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه، قال :
حدثنا عبد الله بن أبي سعد، عن محمد بن عبد الله بن مالك، عن أبيه :
عن يعقوب بن داود، قال : لقيت الخليل بن أحمد يوماً بالبصرة، فقال لي : يا
أبا عبد الله دفنّا الشعر واللغة والفصاحة اليوم . فقلت : وكيف ذاك؟ قال : هذا حين
انصرفت من جنازة رؤبة بن العجاج .

صوت

لعمري لقد صاح الغرابُ بينهم فأوجع قلبي بالحديث الذي يُبدي
فقلتُ له : أفصحت لا طُرّت بعدها بريش، فهل للبين ويحك من ردّ؟
[الطويل]

الشعر لقيس بن ذريح، وقد تقدمت أخباره . والغناء لعمرو بن أبي الكّثّات ثقيل
أول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى .

أخبار عمرو بن أبي الكنّات

اسمه ونسبه :

هو عمرو بن عثمان بن أبي الكنّات، مولى بني جُمَح، مكّي مغنٍ محسن موصوف بطيب الصوت من طبقة ابن جامع وأصحابه، وفيه يقول الشاعر:

أَحْسَنُ النَّاسِ فَعَلِمُوهُ غِنَاءً رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَبِي الْكَنَّاتِ
[الخفيف]

وله في هذا الشعر غناء مع أبيات قبله، لحنٌ ابتداؤه:

صوت

عَفَتِ الدَّارُ بِالْهَضَابِ اللّوَاتِي بِسَوَارِ فَمَلَّتْ قَى عَرَفَاتِ
فَالْجَرِيَّانِ أَوْحِشَا بَعْدَ أَنْسِ فِدْيَارٌ بِالرَّبْعِ ذِي السَّلَمَاتِ
إِنَّ بِالْبَيْنِ مَرَبْعاً مَنْ سُلَيْمِي فإِلَى مُحْضَرِينَ فَالْنِخْلَاتِ
[الخفيف]

وبعد البيت الأول المذكور، الغناء في هذا الشعر لعمرو بن أبي الكنّات، وطريقته من الرمل بالوسطى، وقيل: إنه لابن سريج، وقيل: بل لحن ابن سريج غير هذا اللحن، وليس فيه البيت الرابع الذي فيه: من بني أبي الكنّات.

كنيته :

ويُكنى عمرو بن أبي الكنّات أبا عثمان، وذكر ابن خردادبه أنه كان يكنى أبا مُعَاذ، وكان له ابن يُعْنِي أيضاً، يقال له رواح ليس بمشهور، ولا كثير الصنعة.

غناؤه يخرق السقف وتجيئه الحيطان :

فذكر هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات في الخبر الذي حكاه عنه من أخباره: أن محمد بن عبد الله المخزومي حدثه، قال:

حدثني محمد بن عبيد الله بن فروة، قال: قلت لإسماعيل بن جامع يوماً: هل غلبك أحد من المغنين قط؟ قال: نعم، كنت ليلةً ببغداد إذ جاءني رسول أمير

المؤمنين هارون الرشيد يأمرني بالركوب، فركبت حتى صرت إلى الدار، فإذا أنا بفضل بن الربيع معه زلزل العوَاد وبرصوما، فسلمت وجلست قليلاً، ثم طلع خادم فقال للفضل: هل جاء؟ قال: لا، قال: فابعث إليه، فبعث، ولم يزل المغنون يدخلون واحداً بعد واحد، حتى كنا ستة أو سبعة، ثم طلع الخادم فقال: هل جاء؟ فقال: لا، فقال: قُمْ فابعث في طلبه، فقام فغاب غير طويل، ثم إذا هو قد جاء بعمرو بن أبي الكنّات، فسلم وجلس إلى جنبي، فقال لي: مَنْ هؤلاء؟ قلت: مغنون، وهذا زلزل وهذا برصوما، فقال: واللّه لأغنيئك غناءً يخرق هذا السيف، وتُجيبه الحيطان، ولا يفهمون منه شيئاً. قال: ثم طلع الخصى بكراسي، وخرجت الجواري، فلما جلس قال الخادم للمغنين: سَوُوا فسووا عيدانهم ثم قال: يغني ابن جامع، فغنيت سبعة أو ثمانية أصوات، ثم قال: اسكت، وليغن إبراهيم الموصلي، فغنى مثل ذلك أو دونه، ثم سكت، ثم لم يزل يمرّ القوم كلهم واحداً واحداً حتى فرغوا، ثم قال لابن أبي الكنّات: غنّ، فقال لزلزل: شدّ طبقتك، فشدّ، ثم أخذ العود من يده فجسه^(١) حتى وقف على الموضع الذي يريده، ثم قال: على هذا، وابتدأ الصوت، وأوله: ألا، فواللّه لقد خيل إليّ أنّ الحيطان تُجاوبه، ثم رجّع النغم فيه، فطلع الخصى فقال له: اسكت لا تُتِمّ الصوت فسكت، ثم قال: يجلس عمرو بن أبي الكنّات، وينصرف باقي المغنين، فقمنا بأسوأ حال واكسف بال، لا واللّه، ما زال كل واحد منا يسأل صاحبه عن كل شعر يرويه من الغناء الذي أوله: ألا، طمعاً في أن يعرفه أو يوافق غناؤه، فما عرفه منا أحد، وبات عمرو ليلته عند الرشيد، ثم انصرف من عنده بجوازٍ وصلاتٍ وطُرفٍ سنية.

يغني فيركب الناس بعضهم بعضاً:

قال هارون: وأخبرني محمد بن عبد الله، قال: حدثني موسى بن أبي المهاجر، قال:

خرج ابن جامع وابن أبي الكنّات حين دفعا من عرفة، حتى إذا كانا بين المأزمين جلس عمرو على طرف الجبل ثم اندفع يُغني فوقفت القطارات وركب الناس بعضهم بعضاً، حتى صاحوا به واستغاثوا: يا هذا، اللّه اسكُت عنا يَجْز الناس، فضبط إسماعيل بن جامع بيده على فيه حتى مضى الناس إلى مُزدلفة.

(١) جسّ العود: فحصه وتحقق من فعاليته وحسن أدائه.

ابن أبي الكنّات وابن عائشة :

قال هارون: وحدثني عبد الرحمن بن سليمان، عن علي بن الجهم، قال: حدثني مَنْ أَثَقَ به، قال:

واقفت ابن أبي الكنّات المدينيّ على جسر بغداد أيام الرشيد، فحدثته بحديث اتصل بي عن ابن عائشة أنّه فعله أيام هشام، وهو أنّ بعض أصحابنا حدّثني، قال: وقف ابن عائشة في الموسم، فمرّ به بعض أصحابه، فقال له: ما تعمل؟ فقال: إني لأعرف رجلاً لو تكلم لحبس الناس، فلم يذهب أحد ولم يجيء، فقلت له: ومن هذا الرجل؟ قال أنا. ثم اندفع يُغني:

صوت

جَرَتْ سُنْحاً^(١) فقلت لها: أجيّزي نوى مشمولة^(٢) فمتى اللقاء؟
بنفسي مَنْ تذكّره سَقَامٌ أعالجه ومطلبه عَنَاءٌ
[الوافر]

قال: فحبس الناس، واضطربت المحامل، ومدّت الإبل أعناقها، وكادت الفتنة تقع، فأُتي به هشام فقال: يا عدوّ الله أردت أن تفتن الناس، فأمسك عنه - وكان تيّهاً - فقال له هشام: أرفق بتيهك. فقال ابن عائشة: حُقّ لمن كانت هذه قدرته على القلوب أن يكون تيّهاً، فضحك وأطلقه، قال: فبرق ابن أبي الكنّات وكان معجباً بنفسه وقال: أنا أفعل كما فعل، وقدرتي على القلوب أكثر من قدرته كانت، ثم اندفع فغنى في هذا الصوت ونحن على جسر بغداد، وكان إذ ذاك على دجلة ثلاثة جسور معقودة، فانقطعت الطرق، وامتلات الجسور بالناس، وازدحموا عليها، واضطربت حتى خيف عليها أن تنقطع لثقل مَنْ عليها من الناس، فأخذ فأتى به الرشيد، فقال: يا عدوّ الله، أردت أن تفتن الناس، فقال: لا والله يا أمير المؤمنين، ولكنه بلغني أن ابن عائشة فعل مثل هذا في أيام هشام، فأحببت أن يكون في أيامك مثله، فأعجب من قوله ذلك، وأمر له بمال، وأمره أن يُغني، فسمع شيئاً لم يُسمع مثله، فاحتبسه عنده شهراً يستزيده كل يوم يستأذنه فيه في الانصراف يوماً آخر حتى تمّ له شهر، قال هذا المخبر عنه. وكان ابن أبي الكنّات كثير الغشيان لي، فلما أبطأ توهّمته قد قُتل، فصار

(١) سُنْحاً، بالضم: بالكاد قد بدت وظهرت.

(٢) النوى المشمولة: البعد إلى جهة الشمال.

إليّ بعدَ شهرٍ بأموالٍ جسيمةٍ وحدثني بما جرى بينه وبين الرشيد .

وراء الصوت :

قال هارون : وأخبرني محمد بن عبد الله المخزوميّ ، قال : حدثنا عثمانُ بن موسى مولانا ، قال :

كنا يوماً باللاحجة ، ومعنا عمرو بن أبي الكنّات ، ونحن على شرابنا ، إذ قال لنا قبل طلوع الشمس : مَنْ تُحِبُّونَ أَنْ يَجِيئَكُمْ؟ قلنا : منصور الحجي ، فقال : أمهلوا حتى يكونَ الوقت الذي ينحدر فيه إلى سوق البقر ، فمكثنا ساعة ، ثم اندفع يغني :

أَحْسَنُ النَّاسِ فاعلموه غِنَاءً رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَبِي الْكَنَّاتِ
عَفَتِ الدَّارَ بِالْهَضَابِ اللّوَاتِي بِسَوَارِ فَمَلَّتْ قِي عِرْفَاتِ
[الخفيف]

فلم نلبث أن رأينا منصوراً من بُعدٍ قد أقبل يُركض دابته نحونا ، فلما جلس إلينا قلنا له : من أين علمت بنا؟ قال : سمعت صوت عمرو يُغني كذا وكذا وأنا في سوق البقر ، فخرجت أركضُ دابتي حتى صرت إليكم ، قال : وبيننا وبين ذلك الموضع ثلاثة أميال .

قال هارون : وأخبرني يحيى بن يعلى بن سعيد ، قال : بينا أنا ليلةً في منزلي بالرمضة أسفل مكة ، إذ سمعت صوت عمرو بن أبي الكنّات كأنه معي ، فأمرت الغلام فأسرج لي دابتي ، وخرجت أريده ، فلم أزل أتبع الصوت حتى وجدته جالساً على الكتيب العارض ببطن عرنة يغني :

صوت

خُذِي الْعَفْوَ مَنِي تَسْتَدِيمِي مَوَدَّتِي وَلَا تَنْطَقِي فِي سَوْرَتِي ^(١) حِينَ أَغْضِبُ
وَلَا تَنْقَرِينِي نَقْرَةَ الدُّفِّ مَرَّةً فَإِنَّكَ لَا تَدْرِينَ كَيْفَ الْمُغَيِّبُ
فإني وجدت الحب في الصدر والأذى إذا اجتمع لم يلبث الحب يذهب
[الطويل]

عروضه من الطويل ، ولحنه من الثقيل الثاني بالوسطى من رواية إسحاق ، والشعر لأسماء بن خازجة الفزاري ، وقد قيل : إنه لأبي الأسود الديلي ؛ وليس ذلك بصحيح ، والغناء لإبراهيم الموصلي ، وفيه لحن قديم للغريض من رواية حماد عن أبيه .

(١) السورة : شدة الانفعال والغضب .

أخبار أسماء بن خارجة وابنته هند

نصيحة أسماء لابنته هند :

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي، قال : حدثنا أحمد بن زهير، قال : حدثنا الزبير بن بكار، قال :

زوّج أسماء بنُ خارجةَ الفزاريّ بنتَه هنداً منَ الحجاج بن يوسف، فلما كانت ليلة أراد البناء^(١) بها قال لها أسماء: يا بنية، إن الأمهات يؤدّبن البنات وإن أمك هلكت وأنت صغيرة، فعليك بأطيب الطيب، الماء وأحسن الحُسن، الكحل، وإياك وكثرة المعاتبة فإنها مقطعة للودّ، وإياك والغيرة فإنها مفتاح الطلاق، وكُونِي لزوجك أمةً يكنُ لك عبداً، واعلمي أنّي القائل لأُمك :

خذي العفو مني تستديمي مودّتي ولا تنطقي في سورتني حين أغضب
[الطويل]

وذكر الأبيات، قال : وكانت هند امرأةً مُجربة، قد تزوجها جماعة من أمراء العراق . فقبلت من أبيها وصيته، فكان الحجاج يصفها في مجلسه بكل خير، وفيها يقول بعض الشعراء يُخاطب أباهَا :

جَزَاكَ اللَّهُ يَا أَسْمَاءَ خَيْراً	كَمَا أَرْضَيْتَ فَيْشَلَةَ ^(٢) الْأَمِيرِ
بِصَّدْعٍ ^(٣) قَدْ يَفُوحُ الْمَسْكُ مِنْهُ	عَلَيْهِ مِثْلُ كِرْكِرَةٍ ^(٤) الْبَعِيرِ
إِذَا أَخَذَ الْأَمِيرُ بِمَشْعَبِهَا	سَمِعْتَ لَهَا أَزِيزاً كَالصَّرِيرِ
إِذَا لَقَحَتْ بِأَزْوَاجِ تَرَاهَا	تُجِيدُ الرَّهْزَ مِنْ فَوْقِ السَّرِيرِ

[الوافر]

قال مؤلف هذا الكتاب : الشعر لعُقيّة الأسديّ .

(١) البناء بها : الزفاف والزواج .

(٢) الفيشلة : رأس ذكر الرجل .

(٣) الصّدع : الشقّ .

(٤) كِرْكِرَةُ البعير : حيزومه .

واحدة بواحدة:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر المهلبّي، قالوا: حدثنا عمر بن شَبَّه، قال:

لما قَدِمَ الحجاج الكوفةَ أشار عليه محمد بن عُمير بن عَطاردٍ أَنْ يَخْطُبَ إِلَى أَسْمَاءَ ابْنَتِهِ هِنْدًا، فخطبها فزَوَّجَهُ أَسْمَاءَ ابْنَتَهُ، فَأَقْبَلَ عليه محمد متمثلاً يقول:

أَمِنْ حذر الهُزال نكحتِ عبداً فصهرُ العبدِ أدنى للهْزالِ
[الوافر]

فاحتملها عليه أسماء، وسكت عن جوابه، ثم أقبل على الحجاج يوماً وهِنْدٌ جالسة، فقال: ما يمنعُكَ مِنَ الخُطْبَةِ إلى محمد بن عُمير ابْنَتِهِ، فَإِنْ مِنْ أَمْرٍهَا وشأنها كيت وكيت، فقال: أَتَقول هذا، وهند تسمع؟ فقال: موافقتك أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ رضا هِنْدٍ، فخطبها إلى محمد بن عُمير، فزوجه، فقال أسماء لمحمد بن عُمير، وضرب بيده على مكتبه:

ودونك ما أسديتَه يا ابنَ حاجِبٍ سواءَ كَغَيْنِ الديكِ أو قُذَةِ^(١) النسرِ
بقولك للحجاج، إن كنتَ ناكحاً: فلا تُعْذُ هِنْدًا مِنْ نساءِ بني بدرِ
فإن أباهَا لا يرى أنْ خاطباً كِفَاءً لَهَا إِلَّا المَتَوَّجُ مِنْ فِهْرِ
فزَوَّجْتُهَا الحَجَّاجَ لا متكارهاً ولا راغباً عنه ونعم أخو الصهرِ
أردتَ ضِراري فاعتمدتَ مسرَّتِي وقد يُحسِنُ الإنسانُ مِنْ حيثَ لا يدري
فإن ترها عاراً فقد جئتَ مثلها وإن ترها فخرأ فهل لك مِنْ شُكْرِ؟!
[الطويل]

جزع هند على زوجها عبید الله بن زياد:

قال المدائني: حدثني الحرمازي، قال: أخبرني الوليد بن هشام القحزمي - وكان كاتب خالد السريّ ويوسف بن عمر - .

أن هنداً بنتَ أَسْمَاءَ كانت تحتَ عُبيدِ الله بن زياد، هو أبو عُذرِها، فلما قُتِلَ - وكانت معه - لبست قَبَاءً، وتقلدت سيفاً، وركبت فرساً لعبيدِ الله كان يُقال له: الكامل، وخرجت حتى دخلت الكوفة، ليس معها دليل، ثم كانت بعد ذلك أشدَّ خلقِ الله جَزَعاً عليه، ولقد قالت يوماً: إني لأشتاق إلى القيامة لأرى وجه عُبيدِ الله بن زياد.

(١) القُذَة، بضم القاف: الأذن.

بشر بن مروان يتزوجها:

فلما قدم بشر بن مروان الكوفة دُلَّ عليها، فخطبها فزوّجها، فولدت له عبد الملك بن بشر، قال: وكان ينال من الشراب، ويكتم ذلك، وكان إذا صلى العصر خلا في ناحية من داره ليس معه أحد إلا أعين مولاة صاحب حمّام أعين بالكوفة، وأخذ في شأنه، فلم تزل هند تتجسس خبره حتى عرفت، فبعثت مولى لها فأحضرها أطيّب شراب وأحده وأشدّه وأرقه وأصفاه، وأحضرت له طعاماً علمت أنه يشتهي، وأرسلت إلى أخويها مالك وعيينة فأتياها، وبعثت إلى بشر واعتلت عليه بعلة فجاءها فوضعت بين يديه ما أعدته له، فأكل وشرب، وجعل مالك يسقيه وعيينة يُحدّثه وهند تُرتيه^(١) بوجهها، فلم يزل في ذلك حتى أمسى فقال: هل عندكم من هذا شيء نعود عليه غداً؟ فقالت: هذا دائم لك ما أردته، فلزمها، وبقي أعين يقع الذباب على وجهه ولا يرى بشراً إلى أن بحث عن أمره فعرفه، فعلم أنه ليس فيه حظ بعدها.

قال: ومات بشر عنها فلم تكثر جزعها عليه، فقال الفرزدق في ذلك:

فإلا تكن هند بكته فقد بكت عليه الثريّا في كواكبها الزهر
[الطويل]

الحجاج يخلف بشرًا على هند:

قال ثم خلف عليها الحجاج.

وكان السبب في ذلك، فيما ذكره المدائني، عن الحرمازي، عن القحذمي. وأخبرني به من هاهنا أحمد بن عبد العزيز، عن عمر بن شبة، عن عثمان بن عبد الوهاب، عن عبد الحميد الثقفي، قالوا:

كان السبب في ذلك أنه بعث أبا بردة بن أبي موسى الأشعري - وهو قاضيه - إلى أسماء يقول له: إن قبيحاً بي مع بلاء أمير المؤمنين عندي أن أقيم بموضع فيه ابنا أخيه بشر لا أضمهما إليّ وأتولى منهما مثل ما أتولى من ولدي، فاسأل هنداً أن تطيب نفساً عنهما - وقال عمر بن شبة في خبره - وأعلمها أنه لا بد من التفرقة بينهما وبينهما، حتى أودبهما. قال أبو بردة: فاستأذنت فأذن لي وهو يأكل، وهند معه، فما رأيت وجهاً قط أحسن من وجهها ولا كفّاً ولا ذراعاً قط أحسن من كفها وذراعها، وجعلت تتحفني وتضع بين يدي.

(١) ترتيه بوجهها: تشير إليه.

قال أبو زيد في خبره:

فدعاني إلى الطعام فلم أفعل. وجعلت تعبت بي وتضحك، فقلت: أما والله لو علمت ما جئت له لبكيت، فأمسكت يدها عن الطعام، فقال أسماء: قد منعها الأكل، فقل ما جئت له، فلما بلغت أسماء ما أرسلت به بكث، فلم أر والله دموعاً قط سائلة من محاجر أحسن من دموعها من محاجرهما، ثم قالت: نعم، أرسل بهما إليه، فلا أحد أحق بتأديبهما منه. وقال أسماء: أما عبد الملك فثمرة قلوبنا - يعني عبد الملك بن بشر - وقد أنسنا به، ولكن الأمير أمره طاعة. فأتيت الحجاج فأعلمته بردودها وما رأيت من جمالها وهيتها فقال: ارجع فاخطبها علي، فرجعت وهما على حالهما، فلما دخلت قلت: إني قد جئتك بغير الرسالة الأولى، قال: اذكر ما أحببت. قلت: إني قد جئت خاطباً. قال: أعلى نفسك؟ فما بنا عنك رغبة. قلت: لا، على من هو خير لها مني، وأعلمته ما أمرني به الحجاج، فقال: ها هي ذه تسمع ما أديت، فسكت، فقال أسماء: قد رضيت وقد زوجتها إياه.

جاء قاضياً ثم رجع دلالاً:

فقال أبو زيد في حديثه: فلما زوجها أبوها قامت مبادرة، وعليها مطرف^(١) خز أسود، فوالله لرأيته دخل بين ظهرها وعجيزتها ولم تستقل قائمة حتى انثنت ومالت لأحد شقيها من شحمها، فانصرفت بذلك إلى الحجاج، فبعث إليها بمائة ألف درهم وعشرين تختاً من ثياب، وقال: يا أبا بردة، إني أحب أن تسلمه إليها، ففعلت ذلك وأرسلت من سلمه إليها فأرسلت إلي: جئنا قاضياً، ثم رجعت دلالاً، وأرسلت إلي من المال بعشرين ألفاً، ومن الثياب تختين. فقلت: ما أقبل شيئاً حتى أستطلع رأي الأمير، ثم انصرفت إليه فأعلمته، فأمرني بقبضه ووصلني بمثله.

وقال أبو زيد في خبره: فأرسل إليها بثلاثين غلاماً، مع كل غلام عشرة آلاف درهم، وثلاثين جارية مع كل جارية تخت ثياب، وأمر لي أنا بثلاثين ألفاً وثياب لم يذكر عددها - فلما وصل ذلك إلى هند أمرت لي بمثل ما أمر لي به الحجاج، فأبيت قبوله وقلت: ليس الحجاج ممن يتعرض له بمثل هذا، وأتيت الحجاج فأخبرته، فقال: قد أحسنت، وأضعف الله لك ذلك. وأمر لي بستين ألفاً وبضعف تلك الثياب. فكان أول ما أصبته مع الحجاج، وأرسل إليها: إني أكره أن أبيت خلواً ولي زوجة،

(١) المطرف، بكسر الميم أو المطرف، بضم الميم: رداء من خز ذو أعلام.

فقالت: وما احتباسُ امرأةٍ عن زوجها، وقد ملكها وأتتها كرامتهُ وصداقها؟ فأصلحت من شأنها، وأتته ليلاً.

وأرختِ الستور:

قال المدائني: فسمعت أن ابن كناسة ذكر أن رجلاً من أهل العلم حدثه، عن امرأةٍ من أهله قالت: كنت فيمن زفها فدخلنا إليه، وهو في بيت عظيم، في أقصاه ستارة، وهو دون الستارة على فرشة، فلما دخلتُ سلّمتُ، فأولماً إليها بقضيب كان في يده، فجلست عند رجله، ومكثت ساعةً، وهو لا يتكلم، ونحن وقوف، فضربت بيدها على فخذه ثم قالت: ألم تبعُد من سوء الخلق؟ قال: فتبسم وأقبل عليها، واستوى جالساً، فدعونا له وخرجنا، وأرختِ الستور.

القصر الأحمر:

قال: ثم قدم الحجاج البصرة فحملها معه، فلما بنى قصره الذي هو دون المحدثه الذي يقال له قصر الحجاج اليوم، قال لها: هل رأيت قطُّ أحسن من هذا القصر؟ قالت: ما أحسنه. قال: أصدقيني. قالت: أما إذ أتيت فوالله ما رأيت أحسن من القصر الأحمر، وكان فيه عبيد الله بن زياد، وكان دار الإمارة بالبصرة، وكان ابن زياد بناه بطين أحمر. فطلّق هنداً غضباً مما قالته. وبعث إلى القصر فهدمه وبناه بلبن، ثم تعهده صالح بن عبد الرحمن في خلافة سليمان بن عبد الملك فبناه بالآجر، ثم هُدم بعد ذلك فأدخل في المسجد الجامع.

الحجاج يحن إليها:

قال القحذمي عن محمد بن عمرو بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي: فخرجنا مع الحجاج يوماً نعود عبد الملك بن بشر، فسلمنا عليه وعُدناه معه، ثم خرجنا وتخلّف الحجاج، فوقفنا ننتظره، فلما خرج التفت فرآني فقال: يا محمد، ويحك، رأيت هنداً الساعةً فما رأيتها قطُّ أجمل ولا أشبَّ منها حين رأيتها، وما بمُؤنس حتى أراجعها. فقلت: أصلح الأمير، امرأة طلقته على عتب^(١) يرى الناس أن نفسك تتبعها، وتكون لها الحجة عليك. قال: صدقت، الصبر أحجى.

قال محمد: والله ما كان مني ما كان نظراً له ولا نصيحة ولكنني أنفت لرجل من قريش أن تُداسَ أمه في كل وقت.

(١) العتب: اللوم.

الحياة المنطوية على صدر المرأة:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد، عن أبيه، عن المدائني.

عن جويرية بن أسماء، عن عمه، قال: حججت فيني لفي رفقة مع قوم إذ نزلنا منزلاً ومعنا امرأة، فنامت وانتبهت ومعها حية منطوية عليها، قد جمعت رأسها وذنبها بين ثدييها، فها لنا ذلك وارتحلنا، فلم تزل منطوية عليها لا تضيئها حتى دخلنا أنصاب الحرم، فانسابت، فدخلنا مكة وقضينا نُسكنا، فرأها الغريض فقال: أي شقية، ما فعلت حيتك؟ فقالت: في النار، قال: ستعلمين من أهل النار. ولم أفهم ما أراد، وظننت أنه مازحها، واشتقت إلى غنائها، ولم يكن بيني وبينه ما يوجب ذلك، فأتيت بعض أهله فسألته ذلك فقال: نعم، فوجه إليه أن اخرج بنا إلى موضع كذا، وقال لي: اركب بنا، فركبنا حتى سِرنا قدر ميل، فإذا الغريض هناك، فنزلنا فإذا طعام معد وموضع حسن، فأكلنا وشربنا، ثم قال: يا أبا زيد، هات بعض طرائفك، فاندفع يغني ويوقع بقضيب.

مرضت فلم تحفل عليّ جنوبُ وأدنف^(١) والممشى إليّ قريبُ
فلا يبعد الله الشبابَ وقولنا إذا ما صبونا صبوّةً سنتوبُ
[الطويل]

فلقد سمعت شيئاً ظننت أن الجبال التي حولنا تنطق معه شجي صوت وطيب غناء وقال لي: أتحب أن يزيدك؟ فقلت: إي والله، فقال: هذا ضيفك وضيفنا، وقد رغب إليك وإلينا فأسعفه بما يُريد، فاندفع يُغني بشعر مجنون بني عامر:

عفا الله عن ليلي الغداة فإنها إذا وليت حُكماً عليّ تجورُ
أترك ليلي ليس بيني وبينها سوى ليلةٍ إنني إذا لصبورُ
[الطويل]

فما عقلت لما غنى من حسنه إلا بقول صاحبي: تجور عليك يا أبا زيد. فقلت: وما معنك في ذلك؟ فقال: إن أبا يزيد عرّض بآني لما وليت الحكم عليه جُرت في سؤالي إياه أكثر من صوت واحد، فقلت له بعد ساعة سراً: جعلت فداك إني أريد المضي، وأصحابي يُريدون الرحلة، وقد أبطأت عليهم فإن رأيت أن تسأله - حاطه الله من سوء والمكروه - أن يُرودني لحناً واحداً، فقال له: يا أبا زيد، أتعلم ما أنهى إليّ ضيفنا؟ قال: نعم أراك على أن تكلمني في أن أغنيه. قلت: هو والله ذلك، فاندفع يُغني:

(١) أدنف: أشرفت على الموت لشدة مرضي.

خُذِي العفو مني تستديمي مودتي ولا تنطقي في سَوْرَتِي^(١) حينَ أَغْضِبُ
فإِنِّي رأيتَ الحبَّ في الصِّدرِ والأذَى إذا اجتمعَا لم يلبثِ الحبُّ يذهبُ
[الطويل]

فقلنا له: قد أخذنا العفو منك واستدمننا مودتك، ثم أقبل علينا فقال: ألا أحدثكم بحديث حسن؟ فقلنا: بلى، فقال: قال شيخ العلم وبقية الناس وصاحب علي بن أبي طالب عليه السلام، وخليفة عبد الله بن العباس على البصرة أبو الأسود الدؤلي لابنته ليلة البناء: أي بنية، إن النساء كن بوصيتك وتأديبك أحقَّ مني، ولكن لا بدَّ مما لا بدَّ منه، يا بنية، إن أطيب الطيب، الماء وإن أحسن الحسن، الكحل وأحلى الحلاوة، الدهن، يا بنية، لا تُكثري مباشرة زوجك فيملكك، ولا تباعدي عنه فيجفوك ويعتلَّ عليك، وكوني كما قلت لأملك:

خُذِي العفو مني تستديمي مودتي ولا تنطقي في سورتي حينَ أَغْضِبُ
[الطويل]

فقلت له: فدتك نفسي، ما أدري أيهما أحسن: أحديثك أم غناؤك؟ والسلامُ عليكم. ونهضت فركبت وتخلَّف الغريض وصاحبه في موضعهما، وأتيت أصحابي وقد أبطأت، فرحلنا منصرفين، حتى إذا كنا في المكان الذي كانت فيه الحيَّة المنطوية على صدر المرأة، ونحن ذاهبون، رأيت المرأة والحيَّة منطوية عليها، فلم ألبث أن صفرت الحيَّة، فإذا الوادي يسيل علينا حيَّات، فنهشنها حتى بقيت عظاماً، فطال تعجُّبنا من ذلك، ورأينا ما لم نر مثله قط، فقلت لجارية كانت معنا: ويحك أخبرينا عن هذه المرأة، قالت: نعم، بغت ثلاث مرات، كل مرة تلد ولداً، فإذا وضعته سَجَرَتْ^(٢) التنور، ثم ألقته فيه. فذكرت قول الغريض حين سألها عن الحية، فقالت في النار. فقال: ستعلمين من في النار.

نسبة ما في هذه الأصوات من الغناء

فمنها:

صوت

مرضتُ فلم تحفل عليَّ جنوبُ وأدنفَت والممشى إليَّ قريبُ
فلا يُبعدُ اللُّهُ الشبابَ وقولنا إذا ما صبونا صبوةً سنتوبُ
[الطويل]

(٢) سَجَرَتْ التنور: أشعلته.

(١) سورتي: شدة انفعالي وغضبي.

عروضه من الشعر الطويل، لحُميد بن ثور الهلالي، والغناء للغريض من رواية حماد عن أبيه، وفيه لعلويه ثقل أول بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانه.

ومنها:

صوت

عفا الله عن ليلي الغداة، فإنها إذا وليت حُكماً عليّ تجورُ
أترك ليلي ليس بيني وبينها سوى ليلةٍ إنني إذا لَصَبورُ
[الطويل]

عروضه من الطويل، والشعر فيما يقال: لأبي دهب الجمحي، ويقال: إنه لمجنون بني عامر، ويقال: أنه لعمر بن أبي ربيعة.

والغناء لابن سريج خفيف رمل بالوسطى عن عمرو بن بانه، وفيه للغريض ثاني ثقل بالوسطى، وفي الثاني والأول خفيف ثقل أول بالبنصر مجهول.

غداوات سليمان:

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء، قال: حدثنا الزبير، قال: حدثني محمد بن الضحاك عن أبيه، قال:
قال أبو دهب:

أترك ليلي ليس بيني وبينها سوى ليلةٍ إنني إذا لَصَبورُ
هبوني أمراً منكم أضلّ بغيره له ذمّة إن الذمام كـبـيرُ
وللصاحب المتروك أعظم حرمة على صاحب من أن يضلّ بغيرُ
[الطويل]

قال الزبير، وقال عمي: هذه الأبيات لمجنون بني عامر.

وقال أحمد بن الحارث الخراز، عن المدائني، عن أبي محمد الشيباني قال:

قال عبد الملك بن مروان لعمر بن أبي ربيعة: أنت القائل:

أترك ليلي ليس بيني وبينها سوى ليلةٍ إنني إذا لَصَبورُ
[الطويل]

قال: نعم، قال: فبئس المحبُّ أنت، تركتها وبينها وبينك غدوة. قال: يا أمير

المؤمنين إنها من غدوات سليمان، غدوها شهرٌ ورواحها شهر.

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي، قال: حدثنا أحمد بن يحيى وأحمد بن زهير، قالا: حدثنا الزبير بن بكار، قال:

حدثني عمرو بن القاسم بن المعتمر الزهري، قال: قلت لأبي السائب المخزومي: أما أحسن الذي يقول:

أترك ليلي ليس بيني وبينها سوى ليلةٍ إنني إذا لصبورُ
هبوني أمراً منكم أضلَّ بعيره له ذمّةٌ إن الذمام كبيرُ
وللصاحب المتروك أعظم حرمه على صاحبٍ من أن يضلَّ بعيرُ
[الطويل]

قال: فقال لي: بأبي أنت، كنت والله أُجنبك وتثقل عليّ فأنا الآن أحبُّك وتخف عليّ حيث تعرف مثل هذا.

صوت

من الخفرات لم تفضح أخاها ولم ترفع لوالدها شئارا
كأن مجامع الأرداف منها نقا درجت عليه الريح هارا
يعافُ وصال ذات البذل قلبي ويتبع المُمَنّعة النوارا
[الوافر]

عروضه من الوافر. الخفرة: الحية، والخفر الحياء، والشنار: العار، والنقا: الكتيب من الرمل، درجت عليه الريح: مرت عليه، هار: انتثر وتهافت، قال الله تبارك وتعالى: ﴿عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ﴾ [التوبة: ١٠٩] ويعاف: يكره، والنوار: الصعبة الشديدة الإباء.

الشعر للسُّليك بن السُّلَكة، والغناء لابن سُرّيج، رمل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق، وفيه لابن الهريذ لحن من رواية بذل، ولم يذكر طريقته، وفيه لابن طنبورة لحن ذكره إبراهيم في كتابه ولم يجنسه.

أخبار السليك بن السلكة ونسبه

اسمه ونسبه :

هو السُّلَيْك بن عمرو، وقيل : بل ابن عُمَيْر بن يَثْرِبِيٍّ، أحد بني مقاعس، وهو الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، والسلُكَةُ أُمُّه، وهي أمة سوداء، وهو أحد صعاليك العرب العدنانيين الذين كانوا لا يُلْحَقُونَ ولا تَعْلُقُ بِهِم الخيل إذا عَدُوا، وهم : السليك بن السلكة، والشَّنْفَرى، وتَأَبَّطُ شَرًّا، وعمرو بن بَرَّاق، ونُفَيْل بن بَرَّاق، وأخبارهم تذكر على تواليها هاهنا إن شاء الله تعالى في أشعار لهم يُغْنَى فيها لتتصل أحاديثهم.

فأما السُّلَيْك فأخبرني عليّ بن سُلَيْمَانَ الأَخْفَش، قال : حدثنا أبو سعيد السكريّ، عن محمد بن حبيب، عن ابن الأعرابيّ، قال : وقرئ لي خبره وشعره على محمد بن الحسن الأَحول، عن الأَثَرَم، عن أَبِي عُبَيْدَةَ. وأخبرني ببعضه محمد بن العباس اليزيديّ، قال : حدثنا عُبيد الله عن ابن حبيب، عن ابن الأعرابيّ، عن المفضل. وقد جمعت رواياتهم، فإذا اختلفت نسبت كل مَرَوِيٍّ إلى راويه.

أدل من قِطَاة :

قال أبو عُبَيْدَةَ : حدثني المنتجعُ بنُ نِهَاَن، قال :

كان السليك بن عُمَيْر السعديّ إذا كان الشتاء استودع ببيض النعام ماء السماء، ثم دفنه، فإذا كان الصيف وانقطعت إغارة الخيل أغار، وكان أدلّ من قِطَاة يجيء يقف على البيضة، وكان لا يُغَيِّرُ على مُضَرٍّ، وإنما يُغَيِّرُ على اليمَن، فإذا لم يمكنه ذلك أغار على ربيعة.

سليك المقانب :

وقال المفضل في روايته :

وكان السليك من أشدّ رجال العرب وأنكرهم وأشعرهم، وكانت العرب تدعوه : سُلَيْك المَقَانِب^(١)، وكان أدلّ الناس بالأرض وأعلمهم بمسالكها، وأشدّهم عدوًّا على

(١) المقانب، جمع مقنب : الجماعة من الفرسان يجتمعون للغارة.

رجليه، لا تعلق به الخيل، وكان يقول: اللّهم إنك تهبي ما تشاء لمن تشاء إذا شئت، اللّهم إني لو كنت ضعيفاً كنت عبداً، ولو كنت امرأة كنت أمة، اللّهم إني أعوذ بك من الخيبة، فأما الهيبة فلا هيبة.

فذكروا أنه أَمَلَقَ^(١) حتى لم يبق له شيء، فخرج على رجليه رجاء أن يُصيب غرّة من بعض من يمرّ به، فيذهب بأبله، حتى أَمَسَى في ليلة من ليالي الشتاء باردة مقمرة، فاشتمل الصّماء ثم نام - واشتمال الصّماء أن يَرُدَّ فضل ثوبه على عَضُدِهِ اليمنى ثم ينام عليها - فبينما هو نائم إذ جثم رجل فقعد على جنبه وقال له: استأسِرْ، فرفع السُّليكَ إليه رأسه وقال: «الليل طويل وأنت مقمر» فأرسلها مثلاً، فجعل الرجل يَلْهَزه^(٢) ويقول: يا خبيث استأسِر. فلما آذاه بذلك أخرج السُّليكَ يده فضمَّ الرجل إليه ضمةً ضرط منها، وهو فوقه، فقال السُّليكَ: أَضْطاً وأنت الأعلى؟ فأرسلها مثلاً، ثم قال له السُّليكَ: من أنت؟ فقال: أنا رجل افتقرت، فقلت: لأخرجن فلا أُرْجع إلى أهلي حتى استغني، فأتيهم وأنا غني، قال: فانطلق معي، فوجدا رجلاً قصته مثل قصتهما، فاصطحبوا جميعاً حتى أتوا الخوف خوف مُراد، فلما أشرفوا عليه إذا فيه نَعَم قد ملأ كل شيء من كثرته، فهابوا أن يغيروا فيطردوا بعضها فيلحقهم الطلب، فقال لهما سليك: كونا قريباً مني حتى آتي الرّعاء، فأعلم لكما علم الحيّ أقرب أم بعيد، فإن كانوا قريباً رجعت إليكما، وإن كانوا بعيداً قلت لكما قولاً أومئ إليكما به فأغيرا. فانطلق حتى أتى الرّعاء، فلم يزل يتسقطهم^(٣) حتى أخبروه بمكان الحيّ، فإذا هم بعيد إن طلبوا لم يدركوا، فقال السُّليكَ للرّعاء: ألا أغنيكم؟ فقالوا: بلى غننا، فرفع عقبرته وغنى:

يا صاحبيّ ألا لا حيّ بالوادي سوى عبيدٍ وآم^(٤) بين أذواد^(٥)
أتنظران قريباً ريث غفلتهم أم تغدوان فإنّ الرّيح^(٦) للغادي

[البسيط]

فلما سمعا ذلك أتيا السليك فاطردوا الإبل فذهبوا بها، ولم يبلغ الصريخ الحيّ حتى فاتوهم بالإبل.

(١) أَمَلَقَ: افتقر.

(٢) يلهزه: يلكره.

(٣) يتسقطهم: يستطلع أخبارهم ويترصد لهم.

(٤) الآم من الإماء: ما كان دون عشر، فإن كن أكثر من ذلك فهن إماء.

(٥) الأزواد، جمع ذود من الإبل: ما كان فوق العشر حتى الثلاثين.

(٦) الرّيح: النصر والغلبة.

سُليكَ يُغَيِّرُ عَلَى حَيِّ بَنِي شَيْبَانَ :

قال المفضل : وزعموا أن سُليكَاً خرج ومعه رجلان من بني الحارث بن امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم، يقال لهما : عمرو وعاصم، وهو يريد الغارة، فمرَّ على حي بني شيبان في ربيع، والناس مُخَصَّبُونَ في عَشِيَّةٍ فيها ضباب ومطر، فإذا هو ببيت قد انفرد من البيوت، وقد أَمْسَى، فقال لأصحابه : كونوا بمكان كذا حتى آتِي أَهْلَ هذا البيت، فلعلي أُصِيبَ لكم خيراً أو آتِيَكُم بطعام، قالوا : نعم فافعل، فانطلق وقد أَمْسَى وَجَنَّ^(١) عليه الليلُ فإذا البيت بيت رُويم، وهو جدَّ حَوْشَب بن يَزِيد بن رُويم، وإذا الشيخ وامراته بفناء البيت^(٢)، فأَتَى السُّليكَ البيت من مؤخِّره فدخله، فلم يلبث أن راح ابنُه بإبله، فلما أراحها غَضِبَ الشَّيْخُ، وقال لابنه : هَلَّا كُنْتَ عَشِيَّتَها سَاعَةً من الليل؟ فقال له ابنه : إنها أَبَتِ العشاء. فقال : «العاشِيَةُ تَهْجِجُ الآبِيَةَ» فأرسلها مثلاً، ثم غضب الشيخ ونقض ثوبه في وجهها، فرجعت إلى مراتعها ومعها الشيخ، حتى مالت بأدنى رَوْضَةٍ فترعت، وجلس الشيخ عندها لتتَعَشَّى، وغطى وجهه بثوبه من البرد، وتبعه سُليكَ، فلما وجد الشيخ مُفْتَرَأً خْتَلَه^(٣) من ورائه فضربه فأطار رأسه، وصاح بالإبل فطردوها، فلم يشعر صاحباه وقد ساء ظنهما وتخوفاً عليه، حتى إذا هُما بالسُّليكَ يطردوها، فطرداها معه، وقال سُلَيْكُ في ذلك :

وعاشِيَةٌ راحَتْ بِطاناً ذَعَرْتُها^(٤) بسوطٍ قَتِيلٍ وَسَطَها يَتَسَيِّفُ^(٥)
كَأَنَّ عَلَيْهِ لَوْنٌ بُرْدٌ مُحَبَّرٌ إذا ما أَتاه صارمٌ يَتَلَهَّفُ
فبات له أَهْلٌ خَلَاةٌ فِناؤُهُم ومَرَّتْ بِهِمْ طَيْرٌ فلم يَتَعَيَّفُوا
وباتوا يَظُنُّونَ الظَّنَّونَ وَصُحْبَتِي إذا ما عَلَوْا نَشْراً^(٦) أَهْلُوا وَأَوْجَفُوا
وما نِلْتُها حتى تصعلكت^(٧) حِقْبَةً وكَدَتْ لَأَسبابِ المَنِيَّةِ أَعْرَفُ
وحَتَّى رَأَيْتَ الجَوَعَ بالصيفِ ضَرَنِي إذا قَمْتُ تَغْشاني ظِلالُ فأسْدِفُ^(٨)

[الطويل]

(١) جنَّ الليل : أظلم وخيَّمت ظلمته .

(٢) فناء البيت ، بكسر الفاء : فسحة من الأرض أمام البيت .

(٣) ختله : خدعه . (٤) ذعرتها : أرعبتها ، أخفقتها .

(٥) يتسيف : يضرب بالسيف . (٦) النشز : المرتفع من الأرض .

(٧) تصعلك : قام بما يقوم به الصعاليك من الشطارة والإغارة على القبائل .

(٨) أسدِف : يقال أسدِفَ الليل أي أظلم، وأسدِفَ الرجل أي نام أو أظلمت عيناه من جوع أو كِبَرٍ ودخل في السدفة أي في الظلمة .

السُّليكَ في عكاظ :

وقال الأثرم في روايته عن أبي عُبيدة :

خرج السُّليكَ في الشهر الحرام، حتى أتى عكاظ، فلما اجتمع الناس ألقى ثيابه، ثم خرج متفضلاً مترجلاً، فجعل يطوف بين الناس، ويقول: من يصف لي منازل قومه وأصف له منازل قومي، فلقيه قيس بن المكشوح المرادي، فقال: أنا أصف لك منازل قومي، ووصف لي منازل قومك. فتوافقا وتعاهدا ألا يتكاذبا، فقال قيس بن المكشوح: خذ بين مهب الجنوب والصبأ ثم سِرْ حتى لا تدري أين ظلَّ الشجرة، فإذا انقطعت المياه فسرَّ أربعاً حتى تبدو لك رملة.

وُقِفَّ^(١)، بينها الطريق، فإنك ترد على قومي مراد وخشعهم، فقال له السُّليكَ: خذ بين مطلع سُهيل ويد الجوزاء اليُسرَى العاقد لها من أفق السماء، فثم منازل قومي بني سعد بن زيد مناة بن تميم.

فانطلق قيس إلى قومه فأخبرهم الخبر، فقال أبوه المكشوح: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ، هل تدري مَنْ لقيت؟ قال: لقيت رجلاً فُضْلاً^(٢) كأنما خرج من أهله، فقال: هو والله سُليكَ بني سعد.

ناقة صُرد :

فاستعلق واستعوى^(٣) السُّليكَ قومه، فخرج في فتيان من بني سعد وبني عبد شمس، وكان في الربيع يعمد إلى بيض النعام فيملؤه بالماء ويدفنه في طريق اليمن في المفاوز، فإذا غزا في الصيف مرَّ به فاستثاره، فمر بأصحابه حتى إذا انقطعت عنهم المياه، قالوا: يا سُلَيْكُ، أهلكتنا ويحك، قال: قد بلغتُ الماء ما أقربكم منه، حتى إذا انتهى إلى قريب من المكان الذي خبأ الماء فيه طلبه فلم يجده، وجعل يتردد في طلبه، فقال بعض أصحابه لبعض: أين يقودكم هذا العبد؟ قد والله هلكتم. وسمع ذلك ثم أصاب الماء بعد ما ساء ظنهم، فهمَّ السُّليكَ بقتل بعضهم ثم أمسك، فانصرف عنه بنو عبد شمس في طوائف من بني سعد، قال: ومضى السُّليكَ في بني مقاعس، ومعه رجل من بني حرام، يقال له: صُرد، فلما رأى أصحابه قد انصرفوا بكى، ومضى به السُّليكَ، حتى إذا دنوا من بلاد خثعم ضلَّت ناقة صُرد في جوف

(١) القُفَّ، بضم القاف: المرتفع من الأرض.

(٢) رجلاً فُضْلاً: من ارتدى ثوباً خلعاً يبتدل فيه.

(٣) استعوى: قلَّد عواء الكلاب.

الليل، فخرج في طلبها، فأصابه أناس حين أصبح، فإذا هم مُراد وختعم، فأسروه ولحقوا السُّليك فاقتتلوا قتالاً شديداً، فكان أول مَنْ لقيه قيس بن المكشوح، فأسره السُّليك بعد أن ضربه ضربةً أشرفت على نفسه، وأصاب من نعمهم ما عجز عنه هو وأصحابه، وأصاب أمَّ حارث، بنت عوف بن يربوع الخثعمية يومئذٍ، واستنقذ صُرَد من أيدي خثعم، ثم انصرف مسرعاً، فلحق بأصحابه الذين انصرفوا عنه قبل أن يصلوا إلى الحي، وهم أكثر من الذين شهدوا معه، فقسمها بينهم على سهام الذين شهدوا، وقال السُّليك في ذلك:

بكى صُرَدُ لما رأى الحيَّ أعرَضْتُ مهامه^(١) رملٍ دونهم وسهُوبُ^(٢)
 وخوفه ريبُ الزمان وفقره بلادَ عدوٍّ حاضرٍ وجدوبُ^(٣)
 ونأْي^(٤) بعيدٌ عن بلادِ مقاعس وأن مخاريقَ الأمور تُريبُ
 فقلت له: لا تبك عينك إنها قضيةٌ ما يُقضى لها فتنبُ
 سيكفيك فقد الحيَّ لحمٌ مُغرَضُ^(٥) وماءٌ قدور في الجفان مشوبُ
 ألم ترَّ أنَّ الدهرَ لنوانٍ لونه وطوران بشراً مرةً وكذوبُ
 فما خيرٌ من لا يَرتجي خيراً أوبةً ويُخشى عليه سريةٌ وحروبُ
 رددتُ عليه نفسه فكأنما تلاقى عليه منسر^(٦) وسرُوب^(٧)
 فما ذرَّ قرنُ الشمس حتى أريته قِصار المنايا، والفؤاد يذوبُ
 وضاربت عنه القومَ حتى كأنه يُصعد في آثارهم وَيُصوبُ
 وقلت له: خذْ هجمةً حميريةً وأهلاً ولا يبعد عليك شروبُ
 وليلة جابان^(٨) كررتُ عليهم على ساعة فيها الإياب حبيبُ
 عشيّة ضلَّت للحرامي ناقةً بحيّهما يدعو بها فتجيبُ
 فضاربتُ أولى الخيل حتى كأنما أميلَ عليها أيدعُ وصبيبُ
 [الطويل]

(١) المهامه: مفردها المهمة، أو المهمة: المفازة لا أنيس فيها ولا ماء.

(٢) السهوب، الواحد سهب: السهول الواسعة المنبسطة العظيمة.

(٣) الجدوب، الواحد جذب: الأرض الماحلة التي لا نبات فيها.

(٤) النأي: البعد. (٥) لحم مُغرَض: طري.

(٦) المنسر، بكسر الميم: الكتيبة من الجيش.

(٧) السروب، الواحد سرب: الجماعات من الخيول أو الظباء.

(٨) ليلة جابان: موضع حصل في ليلته غزو السليك لساكنيه.

الأيديع دم الأخوين، والصَّبِيب: الحناء.

أنذر قومه فكذبوه:

قال أبو عُبَيْدَةَ:

وبلغني أن السَّليكَ بن السلَكة رَأَتْهُ طلائع جيش لبكر بن وائل، وكانوا جازوا
منحدرين ليغيروا على بني تميم، ولا يعلم بهم أحد، فقالوا: إن علم السَّليكَ بنا أنذر
قومه، فبعثوا إليه فارسين على جوادين فلما هاجاه خرج يَمَحْصُ^(١) كأنه ظبي،
وطارده^(٢) سحابةً يومه ثم، قال: إذا كان الليل أعياء، ثم سقط أو قَصَرَ عن العدو،
فناخذه. فلما أصبحا، وجدا أثره قد عثر بأصل شجرة فنزا عنها وندرت^(٣) قوسه
فانحطمت فوجدا قِصْدَةً^(٤) منها قد ارتزت^(٥) بالأرض، فقالا: ما له أخزاه الله، ما
أشده، وهماً بالرجوع، ثم قال: لعل هذا كان من أول الليل، ثم فتر، فتبعاه، فإذا
أثره متفاجئاً قد بال في الأرض قرعاً يخذها. فقالا: ما له قاتله الله ما أشدَّ مَتْنُهُ، والله
لا نتبعه أبداً، فانصرفا، وتمَّ إلى قومه فأنذرهم فكذبوه لُبْعَد الغاية، فأنشأ يقول:

يُكْذِبُنِي العِمْرَانُ عمرو بن جُنْدَب وعمر بن سعد والمُكْذِبُ أَكْذِبُ
ثَكَلْتُكُمْ إِن لَّمْ أَكُنْ قَدْ رَأَيْتُهَا كَرَادِيسُ^(٦) يَهْدِيهَا إِلَى الْحَيِّ مَوْكِبُ
كَرَادِيسَ فِيهَا الْحَوْفُزَانُ وَقَوْمُهُ فَوَارِسُ هَمَّامٍ مَتَى يَدْعُ يَرْكَبُوا
[الطويل]

يعني الحوفزان بن شريك الشيباني.

تفادتم هل أنكرن مغيرةً مع الصبح يهديهن أشقر مُغْرِبُ
[الطويل]

تفادتم: يدعو عليهم بالتفاقد. قال: وجاء الجيش فأغاروا على جمعهم.

قال:

وكان يقال للسَّليكَ: سليك المقناب، وقد قال في ذلك قران الأَسَدِيِّ، وكان قد
وجد قوماً يتحدثون إلى امرأته من بني عمها ف ضربها بالسيف، فطلبه بنو عمها فهرب
ولم يقدروا عليه فقال في ذلك:

- (١) يمحّص: يسرع.
(٢) طارده: لاحقه.
(٣) ندرت: سقطت.
(٤) القِصْدَةُ، بكسر القاف: القطعة.
(٥) ارتزت: أثبتت.
(٦) الكراديس، الواحد كردوس: الطائفة العظيمة من الخيل.

لِزَوَارٍ لَيْلَى مِنْكُمْ آلَ بُرْثَنٍ عَلَى الْهَوَلِ أَمْضَى مِنْ سُلَيْكِ الْمُقَانِبِ
يُزَوِّرُونَهَا وَلَا أَزُورُ نِسَاءَهُمْ أَلْهَفِي لِأَوْلَادِ الْإِمَاءِ الْحَوَاطِبِ^(١)
[الطويل]

السليك يستجير بفكيهة:

وقال أبو عبيدة: أغار السُّليكَ على بني عَوَارَةَ بطن من بني مالك بن ضبيعة، فلم يظفر منهم بفائدة، وأرادوا مُساوَرَتَهُ^(٢)، فقال شيخ منهم: إنه إذا عدا لم يتعلّق به شيء، فدَعَوْهُ حتى يرد الماء، فإذا شرب ثقل فلم يستطع العَدُوّ وظفرت به، فأَمْهَلُوهُ حتى ورد الماء، فشرب، ثم بادروه، فلما علم أنه مأخوذ خاتلهم^(٣) وقصد لأدنى بيوتهم، حتى ولج على امرأة منهم يقال لها: فكيهة. فاستجار بها، فمَنَعَتْهُ وجعلته تحت دِرْعِهَا، واخترطت^(٤) السيف وقامت دونه، فكاثروها فكشفت خمارها عن شعرها وصاحت بإخوتها، فجأؤوها ودفَعُوا عَنْهُ، حتى نجا من القتل، فقال السُّليكَ في ذلك:

لِعَمْرٍ أْبَيْكَ وَالْأَنْبَاءَ تَنْمَى لِنِعْمِ الْجَارِ أُخْتُ بَنِي عَوَارَا
مَنْ الْخَفَرَاتِ^(٥) لَمْ تَفْضَحْ أَبَاهَا وَلَمْ تَرْفَعْ لِأَخَوْتِهَا شَنْارَا^(٦)
كَأَنَّ مَجَامِعَ الْأُرْدَافِ مِنْهَا نَقَاً^(٧) دَرَجْتَ عَلَيْهِ الرِّيحُ هَارَا
يَعَافُ وَصَالَ ذَاتَ الْبَذْلِ قَلْبِي وَيَتَّبِعُ الْمَمْنَعَةَ النَّوَارَا
وَمَا عَجَزَتْ فَكِيهَةٌ يَوْمَ قَامَتْ بِنَصْلِ السَّيْفِ وَاسْتَلْبُوا الْخِمَارَا
[الوافر]

النعمان بن عقبان يحفظ له الجميل:

أخبرني علي بن سُلَيْمَانَ الْأَخْفَشُ، قال: حدثنا السَّكْرِيُّ عَنْ أَبِي حَاتِمٍ، عَنِ الْأَصْمَعِيِّ:

أَنَّ السُّلَيْكَ أَخَذَ رَجُلًا مِنْ بَنِي كِنَانَةَ بْنِ تَيْمٍ بْنِ أُسَامَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ بَكْرِ بْنِ حَبِيبِ بْنِ عَمْرِو بْنِ غَنَمِ بْنِ تَغْلِبَ، يُقَالُ لَهُ: النِّعْمَانُ بْنُ عَقْبَانَ، ثُمَّ أَطْلَقَهُ، وَقَالَ:

- (١) الحَوَاطِبُ: الشَّدِيدَاتُ الْهَزَالُ. (٢) مَسَاوَرَتُهُ: مَنَاجَزَتُهُ، نِزَالُهُ.
(٣) خَاتَلَهُمْ: خَادَعَهُمْ. (٤) اخْتَرَطَ السَّيْفُ: جَرَّدَهُ مِنْ غَمَدِهِ.
(٥) الْخَفَرَاتُ: الْحَيَّاتُ. (٦) الشَّنَارُ: الْعَارُ.
(٧) النَّقَا: الْكُثِيبُ الْمَجْتَمِعُ الْأَبْيَضُ الَّذِي لَا يَنْبَتُ شَيْئًا.

سمعت بجمعهم فرضخت فيهم^(١) بنعمان بن عقبان بن عمرو
 فإن تكفر فإنني لأبالي وإن تشكر فإنني لست أدري
 [الوافر]

قال: ثم قدم بعد ذلك على بني كنانة، وهو شيخ كبير، وهم بماء لهم يقال له: قباقب خلف البشر، فأتاه نعمان بابنيه الحكم وعثمان، وهما سيدا بني كنانة ونائلة ابنته. فقال: هذان وهذه لك، وما ملك غيرهم، فقالوا: صدق، فقال: قد شكرت لك، وقد رددتهم عليك، فجمعت له بنو كنانة إبلاً عظيمة، فدفعوها إليه، ثم قالوا له: إن رأيت أن تُرينا بعض ما بقي من إحضارك^(٢) فقال: نعم ابغوني أربعين شاباً، وابغوني درعاً ثقيلاً، فأتوه بذلك، فلبس الدرع، وقال للشبان: الحقوا بي إن شئتم، وعداً فلا تَ العدو لوثاً^(٣) وعدوا جنبتيه فلم يلحقوه إلا قليلاً، ثم غاب عنهم وكر راجعاً حتى عاد إلى الحيّ هو وحده يُحضر والدرعُ في عنقه تضطرب كأنها خرقة من شدة إحضاره.

مقتل السُّليكَ:

أخبرني هاشم بن محمد عن عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ عن عمه فذكر فيه نحو ما تقدم. قال أبو عُبَيْدَة: وحدثني المنتجع بن نبهان، قال:

كان السُّليكَ يُعطي عبد الملك بن مويلاك الخثعميّ إتاوةً من غنائمه، على أن يُجيرَه، فيتجاوز بلاد خثعم إلى من وراءهم من أهل اليمن، فيُغير عليهم، فمرّ قافلاً من غزاة له، فإذا بيت من خثعم أهله خُلف، وفيه امرأة شابة بضّة، فسألها عن الحيّ فأخبرته، فتسّمها - أي علاها - ثم جلس حجرة فبادرته، ثم التقم المحجة فبادرت إلى الماء فأخبرت القوم فركب أنس بن مدرك الخثعميّ في طلبه فلحقه فقتله، فقال عبد الملك: واللّه لأقتلن قاتله أو ليدينه، فقال أنس: واللّه لا أديه ولا كرامة، ولو طلب في ديتِه عِقْلاً لما أعطيته، وقال في ذلك:

إنني وقتلي سُلَيْكاً ثم أعقله كالثور يضرب لما عافى البقرُ
 غضبت للمرء إذ نيكَت حليلته وإذ يشدّ على وجعائها^(٤) الثفر^(٥)

(١) رضخت فيهم: رحّت أَمعن فيهم طعنًا وضرباً.

(٢) الإحضار: شدّة العدو.

(٣) لاث العدو لوثاً: طواه طويلاً.

(٤) الوجعاء: الشديد الإيلام.

(٥) الثفر: السير من الجلد.

إني لتارك هاماتٍ بمجزرة لا يزدهيني سواد الليل والقمرُ
أَغشى الحروب وسِرْبالي^(١) مضاعفة تغشى البنان وسيفي صارم ذكرُ
[البسيط]

وقال السكريّ في خبر مقتله: إنه لقي رجلاً من خثعم في أرض يُقال لها: قمة بين أرض عقيل وسعد تميم، وكان يُقال للرجل: مالك بن عمرو بن أبي ذراع بن جثم بن عوف، فأخدموا معه امرأة له من خفاجة يُقال لها النوار، فقال له الخثعمي: أنا أفدي نفسي منك، فقال له السليك: ذلك لك، على ألا تخيس^(٢) بي ولا تطع عليّ أحداً من خثعم، فحالفه على ذلك، ورجع إلى قومه. وخلف امرأته رهينة معه، فنكحها السُّليك، وجعلت تقول: احذر خثعماً، فإنني أخافهم عليك، فأنشأ يقول:

تُهدّدي كي أحذر العام خثعماً وقد علمتُ أني امرؤ غير مُسلم
وما خثعم إلا لئام أرقّة إلى الذل فالإسحاق تنمي وتنتمي
[الطويل]

قال: وبلغ ذلك شبيل بن قُلاه بن عمرو بن سعد وأنس بن مدرك الخثعميين. فخالفا إلى السليك فلم يشعر إلا وقد طرقاه في الخيل فأنشأ يقول:

من مبلغُ حرمي أني مقتول ياربّ نهب قد حويت عثكول^(٣)
وربّ قرن قد تركت مجدول وربّ زوج قد نكحت عُطبول^(٤)
وربّ عان^(٥) قد فككتُ مكبول^(٦) وربّ وادٍ قد قطعتُ مسيول^(٧)
[الرجز]

فقال أنس لشبيل: إن شئت كفيتك القوم واكفني الرجل، وإن شئت اكفني القوم أكفك الرجل، قال: بل أكفيك القوم، فشد أنس على السُّليك فقتله، وقتل شبيل وأصحابه من كان معه، وكاد الشر يتفاقم بين أنس وبين عبد الملك لأنه كان أجاره، حتى وداه^(٨) أنس لما خاف أن يخرج الأمر من يده، وقال:

كم من أخ كريم قد فُجعت به ثم بقيت كأني بعده حَجَرُ

(١) سِرْبالي: درعي.

(٢) تخيس: تغدر.

(٣) العثكول: ما علق من زينة متذبذب في الهواء.

(٤) العطبول: الظبية الطويلة العنق، والمرأة الفتية الطويلة العنق.

(٥) العاني: الأسير المقيّد بالسلاسل.

(٦) مكبول: مقيّد.

(٧) المسيول: الشديد السيل.

(٨) وداه: دفع ديته.

لا أَسْتَكِينُ عَلَى رِيبِ الزَّمَانِ وَلَا
مِرْدَى حُرُوبِ أَدِيرِ الْأَمْرِ جَائِلَةً
قَدْ أَطْعَنَ الطَّعْنَةَ النِّجْلَاءُ أَتْبَعُهَا
وَيَوْمَ حَمْضَةٍ مَطْلُوبٍ دَلَفْتُ لَهُ
أُغْضِي عَلَى الْأَمْرِ يَأْتِي دُونَهُ الْقَدَرُ
إِذْ بَعْضُهُمْ لَأُمُورٍ تَعْتَرِي جَزْرُ
طَرْفًا شَدِيدًا إِذَا مَا يَشْخَصُ الْبَصْرُ
بِذَاتٍ وَدَقِينَ^(١) لَمَّا يُعْفِهَا الْمَطَرُ
[البسيط]

وذكر باقي الأبيات التي تتلو هذه .

إني وقتلي سُلَيْكًا ثم أعقله .

كما ذكر من رويناه ذلك عنه .

لم تفضح أباهما :

أخبرني ابن أبي الأزهري ، قال : حدثني حماد بن إسحاق ، عن أبيه .

عن فُلَيْحِ بْنِ أَبِي الْعَوَاءِ ، قَالَ : كَانَ لِي صَدِيقٌ بِمَكَّةَ ، وَكُنَّا لَا نَفْتَرِقُ ، وَلَا يَكْتُمُ أَحَدُنَا صَاحِبَهُ سِرًّا ، فَقَالَ لِي ذَاتَ يَوْمٍ : يَا فُلَيْحُ إِنِّي أَهْوَى ابْنَةَ عَمَةٍ لِي ، وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَيْهَا قَطُّ ، وَقَدْ زَارْتَنِي الْيَوْمَ ، فَأَحَبُّ أَنْ تَسَرَّنَا بِنَفْسِكَ ، فَإِنِّي لَا أَحْتَشِمُكَ^(٢) ، فَقُلْتُ : أَفْعَلُ ، وَصَرْتُ إِلَيْهِمَا ، وَأَضِرَّ الطَّعَامَ فَأَكْلُنَا ، وَوَضِعَ النَّبِيذَ فَشَرَبْنَا أَقْدَاحًا ، ثُمَّ سَأَلَنِي أَنْ أَغْنِيَهُمَا ، فَكَأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْسَانِي الْغِنَاءَ كُلَّهُ إِلَّا هَذَا الصَّوْتُ :

مَنْ الْخَفَرَاتِ لَمْ تَفْضَحِ أَبَاهَا وَلَمْ تُلْحَقْ بِإِخْوَتِهَا شَنَارًا
[الوافر]

فَلَمَّا سَمِعْتَهُ الْجَارِيَةَ قَالَتْ : أَحْسَنْتَ يَا أَخِي ، أَعِدْ ، فَأَعَدْتَهُ ، فَوَثِبَتْ وَقَالَتْ : أَنَا إِلَى اللَّهِ تَائِبَةٌ ، وَاللَّهِ ، مَا كُنْتُ لَأَفْضَحَ أَبِي ، وَلَا لَأَرْفَعَ لِإِخْوَتِي شَنَارًا ، فَجْهَدَ الْفَتَى فِي رَجُوعِهَا فَأَبَتْ وَخَرَجَتْ ، فَقَالَ لِي : وَيْحَكَ ، مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ ؟ فَقُلْتُ : وَاللَّهِ مَا هُوَ شَيْءٌ اعْتَمَدْتَهُ ، وَلَكِنَّهُ أُلْفِيَ عَلَى لِسَانِي ، لِأَمْرِ أُرِيدُ بِكَ وَبِهَا .

هكذا في الخبر المذكور .

وقد رواه غير من ذكرنا أيضاً عن فُلَيْحِ بْنِ أَبِي الْعَوَاءِ ، وأخبرني اليزيدي عن عمه عبيد الله ، قال :

كَانَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدَانَ يُؤَدِّبُ وَلَدَ عَلِيِّ بْنِ هِشَامٍ ، وَكَانَ يُغْنِي بِالْعُودِ تَأْدِبًا

(١) بذات ودقين : اسم موضع .

(٢) احتشمك : أخجلك .

ولعباً، قال: فوجه إليّ يوماً عليّ بن هشام يدعوني، فدخلت، فإذا بين يديه امرأة مكشوفة الرأس تُلاعبه بالنرد، فرجعتُ عجباً، فصاح بي: ادخل، فدخلت، فإذا بين أيديهما نبيذ يشربان منه، فقال لي: خذ عودك وغنّ لنا، ففعلت، ثم غنيت في وسط غنائي:

من الخفرات لم تفضح أباهـا ولم ترفع لإخوتها شناراً
[الوافر]

فوثبت من بين يديه وغطت رأسها وقالت: إني أشهد الله أنني تائبة إليه، ولا أفضح أبي ولا أرفع لإخوتي شناراً، ففتر عليّ بن هشام ولم ينطق، وخرجت من حضرته، فقال لي: ويلك، من أين صَبَّك الله عليّ؟ هذه مغنية بغداد، وأنا في طلبها منذ سنة، لم أقدر عليها إلا اليوم، فجئتني بهذا الصوت حتى هربت، فقلت: والله ما اعتمدتُ مساءتك، ولكنه شيء خطر على غير تعمد.

صوت

أَمْسَلُمُ إني يا ابن كل خليفة ويا جبل الدنيا ويا ملك الأرض
شكرْتُك إن الشكر حظُّ من التُّقى وما كلُّ من أوليته نعمةً يقضي
[الطويل]

الشعر لأبي نُخيلة الحمانيّ، والغناء لابن سريج ثاني ثقليل بالوسطى عن يحيى المكي.

أخبار أبي نُخَيْلة ونسبه

اسمه ونسبه :

أبو نُخَيْلة اسمه لا كنيته، وَيُكْنَى أبا الجُنَيْد، ذكر الأصمعيّ ذلك وأبو عمرو الشيبانيّ وابن حبيب، لا يُعرف له اسم غيره، وكان له كنيّتان: أبو الجُنَيْد وأبو العُزْماس، وهو ابن حزن بن زائدة بن لقيط بن هرم بن يثربي - وقيل ابن أثربي - بن ظالم بن مجاشع بن حماد بن عبد العُزَي بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم.

أبوه ينفيه عن نفسه فيخرج إلى الشام :

وكان عاقاً بأبيه، فنفاه أبوه عن نفسه، فخرج إلى الشام، فأقام هناك إلى أن مات أبوه، ثم عاد وبقي مشكوكاً في نسبه مطعوناً عليه، وكان الأغلبُ عليه الرجز، وله قصيد ليس بالكبير، ولما خرج إلى الشام اتصل بمسلمة بن عبد الملك، فاصطنعه وأحسن إليه، وأوصله إلى الخلفاء واحداً بعد واحد، واستماحهم له، فأغنوه، وكان بعد ذلك قليل الوفاء لهم، انقطع إلى بني هاشم، ولقب نفسه شاعر بني هاشم، فمدح الخلفاء من بني العباس، وهجا بني أمية فأكثر، وكان طامعاً بطناً فحمله ذلك على أن قال في المنصور أرجوزة يُغريه فيها بخلع عيسى بن موسى وبعقد العهد لابنه محمد المهديّ، فوصله أبو جعفر المنصور بألفي درهم، وأمره أن يُنشدها بحضرة عيسى بن موسى ففعل، فطلبه عيسى فهرب منه، وبعث في طلبه مولياً له، فأدركه في طريق خُراسان، فذبحه وسلخ جلده.

جبة شبيب :

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ، قال: حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ، عن عمه، قال:

رأى أبو نُخَيْلة على شبيب جبةً فأعجبته، فسأله إياها فوعده ومطله فقال فيه:

يا قومُ لا تسوّدوا شبيبا الخائن ابن الخائن الكذوبا
هل تلد الذيبة إلا الذيبا؟

[الرجز]

قال: فبلغه ذلك فبعث إليه بها فقال:

إذا غدت سعداً على شبيبِها على فتاها وعلى خطيبِها
من مطلع الشمس إلى مغيبِها عجبْتُ من كثرتها وطيبيها
[الرجز]

أبو نخيلة يخشى ابن صفوان:

حدثني حبيب بن نصر المهلبِي، قال: حدثنا عمرُ بنُ شَبَّة، قال: حدثني
الرعْل بن الخطاب، قال:

بنى أبو نخيلة داره، فمر به خالد بن صفوان وكان بينهما مداعبة قديمة، ومودة
وكيدة، فوقف عليه، فقال أبو نخيلة: يا ابن صفوان، كيف ترى داري؟ قال: رأيْتُكَ
سألت فيها إلحافاً، وأنفقت ما جمعت لها إسرافاً، جعلت إحدى يديك سطحاً، وملأت
الأخرى سَلْحاً^(١)، فقلت: من وضع في سطحي وإلا ملأته بسلحي. ثم ولَّى وتركه، فقبل
له ألا تهجوه؟ فقال: إذن واللَّهِ يركب بَغْلته ويطوف في مجالس البصرة ويصف أبنتي بما
يعيبها، وما عسى أن يضرَّ الإنسان صفهُ أبنته بما يعيبها سنة ثم لا يعيد فيها كلمة.

أبو نخيلة عند مسلمة بن عبد الملك:

أخبرني الحسن بن علي الخفاف، قال: حدثني ابن مَهْرويه، قال: حدثني أبو
مسلم المستملي، عن الجِرمَازي، عن يحيى بن نجيم، قال:

لما انتفى أبو أبي نخيلة منه خرج يطلب الرزق لنفسه، فتأدَّب بالبادية، حتى شَعَر
وقال رجزاً كثيراً، وقصيداً صالحاً، وشهر بهما، وسار شعره في البدو والحضر،
ورواه الناس، ثم وفد إلى مسلمة بن عبد الملك فرفع منه وأعطاه وأوصله إلى
الوليد بن عبد الملك فمدحه ولم يزل به حتى أغناه. وقال يحيى بن نجيم: فحدثني
أبو نخيلة، قال: وفدت على مسلمة فمدحته وقلت له:

أُمْسَلِمُ إني يا ابنَ كل خليفة ويا فارسَ الهيجا ويا جبلَ الأرضِ
شكرتكَ إن الشكر حبل من التَّقَى وما كل من أقرضته نعمةً يقضي
وألقيتَ لما أن أتيتكَ زائراً عليّ إلحافاً سابغَ الطول والعرضِ
وأحييت لي ذكرى وما كان خاملاً ولكنَّ بعضَ الذكرِ أنبهُ من بعضِ
[الطويل]

(١) السِّلح: النجو الرقيق المائع.

قال: فقال لي مسلمة: ممن أنت؟ فقلت: من بني سعد، فقال: ما لكم يا بني سعد والقصيد؟ وإنما حظكم في الرجز، قال: فقلت له: أنا والله أرجز العرب، قال: فأنشدني من رجزك، فكأنني والله لما قال لي ذلك لم أقل رجزاً قط، أنسانيه الله كله، فما ذكرت منه ولا من غيره شيئاً إلا أرجوزة لرؤبة قد كان قالها في تلك السنة، فظننت أنها لم تبلغ مسلمة، فأنشدته إياها فنكس رأسه وتتعنت، فرفع رأسه إليّ، وقال: لا تُتعب نفسك فإنني أروى لها منك. قال: فانصرفت وأنا أكذب الناس عنده وأخزاهم عند نفسي، حتى استضلعت^(١) بعد ذلك ومدحته برجز كثير، فعرفني وقربني، وما رأيت ذلك منه يرحمه الله، ولا قرعني به حتى افترقنا.

وحدثني أبو نخيلة قال: لما انصرف مسلمة من حرب يزيد بن المهلب تلقيته، فلما عاينته صحت به:

مَسْلَمُ يَا مَسْلَمَةَ الْحُرُوبِ أَنْتِ الْمَصْقَى مِنْ أَدَى الْعُيُوبِ
مُصَاصَةٌ^(٢) مِنْ كَرَمٍ وَطِيبٍ^(٣) لَوْلَا ثِقَافٌ^(٤) لَيْسَ بِالتَّدْرِيبِ
تَفْرِي بِهِ عَنْ حُجْبِ الْقُلُوبِ لَأَمْسَتْ الْأُمَّةُ شَاءَ الذَّيْبِ
[الرجز]

فضحك وضممني إليه وأجزل صلتني.

الغلام السعدي أشعر من الشيخ العجلي:

حدثني هاشم بن محمد الخُزاعي، قال: حدثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي، عن عمه، وأخبرني بهذا الخبر أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حدثنا علي بن محمد النوفلي عن أبيه. وقد جمعت روايتهما وأكثر اللفظ للأصمعي، قال:

قال أبو نخيلة: وفدت على هشام بن عبد الملك، فصادفت مسلمة، وقد مات، وكنت بأخلاق هشام غراً^(٥) وأنا غريب، فسألت عن أخص الناس به، فذكر لي رجلان أحدهما من قيس والآخر من اليمن، فعدلت إلى القيسي بالتؤدة فقلت: هو أقربهما إليّ وأجدرهما بما أحب، فجلست إليه، ثم وضعت يدي على ذراعه، وقلت له: إني

(١) استضلع: استجمعت قواي وشدت من عزمي.

(٢) المُصَاصَةُ من كل شيء: خلاصته.

(٣) الطيب: طيب المحتد والأصل.

(٤) الثِفاف: الآلة تتقف بها الرماح.

(٥) الغرّ من الفتيان: من لم يجزّب الأيام وتبدل أحوالها.

مَسَسْتُكَ^(١) لَتَمْسِنِي رَحْمَكِ، أَنَا رَجُلٌ غَرِيبٌ شَاعِرٌ مِنْ عَشِيرَتِكَ، وَأَنَا غَيْرُ عَارِفٍ بِأَخْلَاقِ هَذَا الْخَلِيفَةِ، وَأَحْبَبْتُ أَنْ تُرْشِدَنِي إِلَى مَا بِهِ أَعْمَلُ فَيَنْفَعَنِي عِنْدَهُ، وَعَلَى أَنْ تَشْفَعَ لِي وَتُوصِلَنِي إِلَيْهِ، فَقَالَ: ذَلِكَ كُلُّهُ لَكَ عَلَيَّ، وَفِي الرَّجُلِ شِدَّةٌ لَيْسَ كَمَنْ عَاهَدْتَ مِنْ أَهْلِهِ، وَإِذَا مَدَحَ وَخُلِطَ مَدَحُهُ بِطَلَبِ حَرَمِ الطَّالِبِ، فَأَخْلَصَ لَهُ الْمَدْحَ، فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ يَنْفَعَكَ، وَاعْدُ إِلَيْهِ غَدًا، فَإِنِّي مَنْتَظِرُكَ بِالْبَابِ حَتَّى أَوْصِلَكَ، وَاللَّهِ يُعِينُكَ، فَصَرْتُ مِنْ غَدٍ إِلَى بَابِ هِشَامٍ، فَإِذَا بِالرَّجُلِ مَنْتَظِرٌ لِي، فَأَدْخَلَنِي مَعَهُ، وَإِذَا بِأَبِي النِّجْمِ قَدْ سَبَقَنِي، فَبَدَأَ فَأَنْشَدَهُ قَوْلَهُ:

إِلَى هِشَامٍ وَإِلَى مَرَوَانَ بَيْتَانِ مَا مَثَلُهُمَا بَيْتَانِ
كَفَّاكَ بِالْجُودِ تَبَارِيانِ كَمَا تَبَارَى فَرَسًا رِهَانِ
مَالَ عَلَيَّ حَدَثُ الزَّمَانِ وَبِيعَ مَا يَغْلُو مِنَ الْغِلْمَانِ
بِالْثَمَنِ الْوَكْسِ^(٢) مِنَ الْأَثْمَانِ وَالْمَهْرُ بَعْدَ الْمُهْرِ وَالْحَصَانِ

[الرجز]

قال: فأطال فيها وأكثر المسألة حتى ضجر هشام، وتبينت الكراهة في وجهه، ثم استأذنت في الإنشاد فأذن لي فأنشده:

لَمَّا أَتَنِي نَغِيَّةٌ كَالشَّهَدِ^(٣) وَالْعَسَلِ الْمَمْزُوجِ بَعْدَ الرَّقْدِ
يَا بَرْدَهَا الْمُسْتَفِ بِالْبَرْدِ رَفَعْتَ مِنْ أَطْمَارِ مُسْتَعَدٍّ
وَقُلْتَ لِلْعَيْسِ^(٤) اعْتَلِي وَجِدِّي فَهِيَ تَخْدِي^(٥) أَحْسَنَ التَّخْدِي
كَمْ قَدْ تَعَسَفْتَ بِهَا مِنْ نَجْدٍ وَمُجْرَهْدٍ^(٦) بَعْدَ مُجْرَهْدٍ
قَدْ أَدْرَعَنْ فِي مَسِيرِ سَمْدٍ^(٧) لِيَلَّا كُلُّونَ الطَّيْلِسانِ الْجَرْدِ
إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُجْدِي رَبِّ مَعَدٍّ وَسَوَى مَعَدٍّ
مِمَّنْ دَعَا مِنْ أَصِيدٍ وَنَجْدٍ ذِي الْمَجْدِ وَالتَّشْرِيفِ بَعْدَ الْمَجْدِ
فِي وَجْهِهِ بَدْرٌ بَدَا بِالسَّعْدِ أَنْتَ الْهُمَامُ الْقَرْمُ^(٨) عَقْدُ الْجَدِّ
طَوَّقَتْهَا مُجْتَمِعَ الْأَشْدِّ فَانْهَلَّ لِمَا قَمَتِ صَوْبُ الرَّعْدِ

[الرجز]

(١) مسستك: أمسكت بك.

(٣) الشهد: العسل.

(٥) تخدي: تسرع في عدوها.

(٧) السمد: السير السريع.

(٢) الثمن الوكس: الزهيد، النجس.

(٤) العيس من الإبل: البيضاء الكريمة.

(٦) المجرهد: الوعر.

(٨) القرم: السيد الشجاع الكريم.

قال: حتى أتيت عليها، وهممت أن أسأله فيها، ثم عزفت^(١) نفسي وقلت: قد استنصحت رجلاً فأخشى أن أخالفه فأخطئ، وحانت مني التفاتة فرأيت وجه هشام منطلقاً، فلما فرغت أقبل على جلسائه، فقال: الغلام السعدي أشهر من الشيخ العجلي، وخرجت، فلما كان بعد أيام أتتني جائزته، ثم دخلت عليه بعد ذلك وقد مدحته بقصيدة فأنشدته إياها، فألقى عليّ جبة خز من جبابه مبطنة بسمور، ثم دخلت عليه يوماً آخر فكساني دواجاً كان عليه من خز أحمر مبطن بسمور، ثم دخلت عليه يوماً ثالثاً فلم يأمر لي بشيء، فحملتني نفسي على أن قلت له:

كسوتنيها فهي كالتجفاف^(٢) من خزك المصونة الكثاف
كأنني فيها وفي اللحاف من عبد شمس أو بني مناف
والخز مُشتاق إلى الأفواف

[الرجز]

قال: فضحك وأدخل يده فيها ونزعها ورمى بها إلي، وقال: خذها فلا بارك الله لك فيها.

قال هاشم بن محمد خاصة في خبره: فلما أفضت الخلافة إلى السفاح نقلها إليه وغيرها، وجعلها فيه، يعني الأرجوزة الدالية، فهي الآن في شعره منسوبة إلى السفاح.

الفرزدق يفضل السجن على شفاعة أبي نخيلة:

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: حدثني أحمد بن الهيثم بن فiras، قال: حدثني أبو عمر الخصاف، عن العتيبي، قال: لما حبس عمر بن هبيرة، الفرزدق، وهو أمير العراق أبي أن يُشفع فيه أحداً، فدخل أبو نخيلة في يوم فطر، فوقف بين يديه وأنشأ يقول:

أطلقت بالأمس أسير بكر
من سبب أو حجة أو عذر
من حلق القيد الثقال السمر
ذا حسبٍ يُعلي وعقلٍ يُزري
فهل فداك نفري^(٣) ووَفري
يُنجي التميمي القليل الشكر
ما زال مجنوناً على است الدهر
هَبْهُ لأخوالك يوم الفطر

[الرجز]

(١) عزفت نفسي: منعتها عن القيام بما فكرت به.

(٢) التجفاف: آلة حربية يتقى بها، كالمجن.

(٣) نفر: جماعة الرجال من ثلاثة إلى عشرة، القوم الذين ينفرون معك.

قال: فأمر بإطلاقه، وكان قد أطلق قبله رجلاً من عجل، جيء به من عين التمر، قد أفسد، فشفت فيه بكر بن وائل فأطلقه، وإياه عنى أبو نخيلة.

فلما أخرج الفرزدق سأل عمن شفع له، فأخبر فرجع إلى الحبس وقال: لا أريمه ولو مت، أ يطلق قبلي بكري، وأطلق بشفاعة دعي، والله لا أخرج هكذا ولو من النار. فأخبر ابن هبيرة بذلك فضحك ودعا به فأطلقه، وقال: قد وهبتك لنفسك. وكان قد هجاه فحبسه لذلك، فلما عزل ابن هبيرة وحبس مدحه الفرزدق، فكان يقول: ما رأيت أكرم منه. هجاني أميراً ومدحني أسيراً.

وجدت هذا الخبر بخط القاسم بن يوسف، فذكر أن أبا القاسم الحضرمي حدثه: أن هذه القصة كانت لأبي نخيلة مع يزيد بن عمر بن هبيرة، وأنه أتى بأسيرين من الشراة، أخذوا بعين التمر أحدهما ابن النجم بن بسطام بن ضرار بن القعقاع بن معبد بن زرارة، والآخر رجل من بكر بن وائل، فتكلم في البكري قومه فأطلقه، ولم يتكلم في التميمي أحد، فدخل عليه أبو نخيلة فأنشده:

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ وَلِيِّ الْأَمْرِ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ كُلَّ غُمْرٍ
وَكُلَّ عَوَارٍ وَكُلَّ وَغْرٍ^(١) مِنْ كُلِّ ذِي قَلْبٍ نَقِيٍّ الصِّدْرِ
لَمَّا أَتَتْ مِنْ نَحْوِ عَيْنِ التَّمْرِ سِتْ أَثَافٍ لَا أَثَافِي الْقِدْرِ
فَظَلَّتْ الْقَضْبَانُ فِيهِمْ تَجْرِي هَبْرًا^(٢) هُوَ الْهَبْرُ وَفَوْقَ الْهَبْرِ
إِنِّي لِمَهْدِي لِلْأَمَامِ الْغُمْرِ^(٣) شِعْرِي وَنُصَحَ الْحَبِّ بَعْدَ الشَّعْرِ
[الرجز]

ثم ذكر باقي الأبيات مثل ما ذكرنا في الخبر المتقدم.

أبو نخيلة يهجو ضيفه:

أخبرني أبو الحسن الأسدي أحمد بن محمد، قال: حدثني محمد بن صالح بن النطاح قال: ذكر عن العتبي:

أن أبا نخيلة حجَّ ومعه جريب من سويق قد حلاه بقند^(٤)، فنزل منزلاً في طريقه، فأتاه أعرابي من بني تميم، وهو يقلب ذلك السويق^(٥) فاستحيا منه فعرض

(١) الوغر: الحقد المستتر في القلب. (٢) الهبر، بسكون الباء: القطع بالسيوف.

(٣) الإمام الغمر: الكريم الواسع الصدر والخلق.

(٤) القند: عسل قصب السكر إذا جمد.

(٥) السويق: دقيق القمح والشعير.

عليه، فتناول ما أعطاه، فأتى عليه، ثم قال: زدني يا ابن أخي فقال أبو نُخَيْلة:
لما نزلنا منزلاً ممقوتاً نريد أن نرحل أو نبیتا
جئت ولم ندر من أين جيتا إذا سقيت المزد السحيتا^(١)
قلت: ألا زدني وقد رويتا

[الرجز]

فقام الأعرابي، وهو يسبّه. وأخبرني بهذا الخبر هاشم بن محمد أبو دُلف
الخزاعي، قال: حدثنا أبو غسان دماذ، عن أبي عُبيدة، قال:

كان أبو نُخَيْلة، إذا نزل به ضيف هجاه، فنزل به يوماً رجل من عشيرته، فسقاه
سويقاً قد حلاه، فقال له: زدني، فزاده، فلما رحل هجاه. وذكر الأبيات بعينها. وقال
في الخبر: قال أبو عُبيدة: السحيت: السويق وأظن السحيت بالماء والرقاق.

كفر هذا ذاك:

أخبرني محمد بن يحيى الصولي، قال: حدثنا محمد بن زكريا العلابي، قال:
حدثني ابن عائشة، قال:

دخل أبو نُخَيْلة على أبي العباس السفاح، فسلم عليه واستأذن في الإنشاد فقال
له أبو العباس: لا حاجة لنا في شعرك، إنما تشدنا فضلات بني مروان. فقال: يا أمير
المؤمنين:

كنا أناساً نرهب الأملاك إن ركبوا الأعناق والأوراكا
قد ارتجينا زمناً أباك ثم ارتجينا بعده أخاك
ثم ارتجينا بعده إياك فكان ما قلت لمن سواك
زوراً فقد كفر هذا ذاك

[الرجز]

فضحك أبو العباس وأجازه جائزة سنية، وقال: أجل، إن التوبة لتكفر ما قبلها،
وقد كفر هذا ذاك.

وأخبرنا أبو الفياض سوار بن أبي شُراعة، قال: حدثني أبي عن عبد الصمد
المعذل عن أبيه، قال:

دخل أبو نُخَيْلة على أبي العباس، قال: وكان لا يجترئ عليه مع ما يعرفه به من

(١) السحيت: السويق القليل الدسم الكثير الماء، الشيء القليل.

اصطناع مسلمة إياه، وكثرة مديحه لبني مروان، حتى علم أنه قد عفا عن أكبر مُحلاً من القوم وأعظم جرماً منه، فلما وقف بين يديه سلم عليه ودعا له وأثنى عليه، ثم استأذنه في الإنشاد، فقال له: ومن أنت؟ قال: عبدك يا أمير المؤمنين أبو نخيلة الحماني. فقال له: لا حياك الله ولا قرب دارك، يا نضو^(١) السوء، ألسنت القائل في مسلمة بن عبد الملك بالأمس:

أَمْسَلُ يا من ساد كل خليفة ويا فارس الهيجا ويا قمر الأرض؟
[الطويل]
أما والله لولا أنني قد آمنت نظراءك لما ارتدَّ إليك طرفك حتى أخضبك بدمك،
فقال له أبو نخيلة:

كُنَّا أَنْسَاءَ نَرْهَبُ الْأَمْلَاكَ

وذكر باقي الأبيات المتقدمة كلها مثل ما مضى من ذكرها، فتبسم أبو العباس ثم قال له: أنت شاعر وطالب خير. ما زال الناس يمدحون الملوك في دولهم، والتوبة تكفر الخطيئة، والظفر يُزيل الحقد، وقد عفونا عنك، واستأنفنا الصنيعة لك، وأنت الآن شاعرنا فتسم بذلك ليزول عنك ميسم بني مروان، فقد كفر هذا ذاك كما قلت، ثم التفت إلى أبي الخصيب، فقال: يا مرزوق، أدخله دار الرقيق، فخيره جارية يأخذها لنفسه، ففعل. واختار جارية وطفاء كثيرة اللحم، فلم يحمدها، فلما كان من الغد دخل إلى أبي العباس، وكان على رأسه وصيفة حسناء تذبّ عنه، فقال له: قد عرفت خبر الجارية التي أخذتها وهي كذاكونه فاحتفظ بها فأنشأ يقول:

إِنِّي وَجَدْتُ الْكَذْنَ اذْنَوْكَ غَيْرَ مَنِيكَ فَاْبَغْنِي مُنَيَّكَ
حَتَّى إِذَا حَرَّكَتْهُ تَحَرَّكَ

[الرجز]

فضحك أبو العباس، وقال: خذ هذه الوصيفة، فإنك إذا خلوت بها تحرّك من غير أن تحرّكه.

هربه من ماعز البقال:

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي، قال: حدثنا أبو غسان دماذ، عن أبي عبيدة، قال:

أدان أبو نخيلة من بقال، يقال له: ماعز الكلابي كان باليمامة، وكان يأخذ منه

(١) النضو: السهم فسد من كثرة ما رمي به.

أولاً، حتى كثر ما عليه، وثقل، فطالبه ماعز فمطله، ثم بلغه أنه قد استعدى عليه عامل اليمامة، فارتحل يُريدُ الموصل، وخرج عن اليمامة ليلاً، فلم يعلم به ماعز إلا بعد ثلاث، وقد نجا فقال أبو نخيلة في ذلك:

يا ماعز الكراث قد خزيتا لقد خدعت ولقد هجيتا
كنت تخصينا فقد خصيتا وكنت ذا حظ فقد مُجيتا
ويحك لم تعلم بمن صليت ولا بأي حجر رُميتا
إذا رأيت المُزبد المبهوتا يركب شذقاً شذقاً هريتاً^(١)
طرّ بجنّاحك فقد أثيتا حرّان حرّان فهيتاً هيتا
والموصل الموصل أو تكريت حيث تبيع التبط البيوتا
ويأكلون العدس المريتاً^(٢)

[الرجز]

وقال أيضاً لماعز هذا:

يا ماعز القمل وبيت الذلّ بثنا وبات البغل في الإصطبل
وبات شيطان القوافي يُملي على امرئ فحل وغير فحل
لا خير في علمي ولا في جهلي لو كان يدري ماعز محلي
ما زال يقليني وعيمي^(٣) يقلي حتى إذا الغيم رمى بالحفل
طبقت تطبيق الجراز النصل^(٤)

[الرجز]

يمدح الربيع وسائسه:

نسخت من كتاب اليوسفي، حدثني المنمق بن جمّاع عن أبيه قال: كان أبو نخيلة ندلاً يُرضيه القليل ويُسخطه، وكان الربيع ينزله عنده، ويأمر سائساً له يتفقد فرسه، فمدح الربيع بأرجوزة ومدح فيها معه سائسه فقال:

لولا أبو الفضل ولولا فضله ما أسطيع باب لا يُمنى فُله

(١) الهريت: الواسع.

(٢) المريت: المهروس.

(٣) العيم: يقال عام عيماً وعيمة أي كان به عيمة وهي شهوة اللبن الشديدة، أو خيار المال.

(٤) الجراز النصل: السيف القاطع.

وَمِنْ صَلاَحِ رَاشِدٍ إِصْطَبَلَهُ نِعَمَ الْفَتَى وَخَيْرُ فَعْلٍ فَعَلَهُ
يَسْمَنْ مِنْهُ طَرْفُهُ^(١) وَبَغْلُهُ

[الرجز]

فضحك الربيع، وقال: يا أبا نخيلة، أترضى أن تقرن بي السائس في مديح؟
كأنك لو لم تمدحه معي كان يضيع فرسك.

قال: ونزل أبو نخيلة بسليمان بن صعصعة، فأمر غلامه بتعهده، فكان يُغاديه
ويُراوِحه في كل يوم بالخبز واللحم، فقال أبو نخيلة يمدح خباز سليمان بن صعصعة:

بَارَكَ رَبِّي فِيكَ مِنْ خَبَّازٍ مَا زِلْتَ مَذَكَنْتَ عَلَيَّ أَوْفَازَ^(٢)
تَنْصُبُ بِاللَّحْمِ أَنْصَابَ الْبَازِي

[الرجز]

قوله في أرض له:

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي، قال: حدثنا عيسى بن إسماعيل تينة قال:
حدثنا أحمد بن المعدل.

عن علي بن أبي نخيلة الحماني، قال: دخلت مع أبي إلى أرض له، وقد قدم
من مكة، فرآها وقد أضرب بها جفاء القيم عليها وتهاوئ بها، وكلما رآه الذين يسقونها
زادوا في العمل والعمارة، حتى سمعت نقيض الليف، فقلت: الساعة يقول في هذا
شعراً، فلم ألبث أن التفت إليّ، وقال:

شَاهِدَ مَا لَأَرْبُ مَا لِفَسَاسِهِ
أَقَامَ بِهَا الْعَصْرَيْنِ حِيناً وَلَمْ يَكُنْ
كَأَنَّ نَقِيضَ الْلَيْفِ عَنْ سَعَفَاتِهَا
وَأَضَحَّتْ تَعَالَى بِالنَّبَاتِ كَأَنَّهَا
وَمَا الْأَصْلَ مَا رَوَيْتَ ضَرْبَ عُرُوقِهِ
سِيَاسَةَ شَهْمِ حَازِمٍ وَابْنِ حَازِمٍ
كَمَنْ ضَنَّ عَنْ عَمْرَانِهَا بِالدَّرَاهِمِ
نَقِيضَ رِحَالِ الْمَيْسِ^(٣) فَوْقَ الْعِيَاهِمِ^(٤)
عَلَى مَتْنِ شَيْخٍ مِنْ شِيُوخِ الْأَعَاجِمِ
مَنْ الْمَاءِ عَنْ إِصْلَاحِ فَرْعِ بَنَائِمِ
[الطويل]

(١) الطرف: الفرس الكريم.

(٢) الأوفاز، الواحد وفز: المرتفعات.

(٣) الميس من الشجر: عظيم يتخذ منه أخشاب الرحل.

(٤) العياهم: الإبل.

يهجو شبيباً ثم يمدحه :

أخبرني بهذا الخبر محمد بن مزيد، عن أبي الأزهر البوشنجي، قال: حدثنا حماد بن إسحاق الموصلي، عن النضر بن حديد، عن أبي محضة .
عن الأزرق بن مخيس بن أرطاة - وهو ابن أخت أبي نُخَيْلَة - فذكر قريباً مما ذكر في الخبر الذي قبله .

حدثني عيسى بن الحسين الوراق المروزي، قال: حدثنا علي بن محمد النوفلي، قال: حدثني أبي، قال:

ابتاع أبو نُخَيْلَة داراً في بني حمان ليصحح بها نسبه، وسأل في بنائها، فأعطاه الناس اتقاءً للسانه وشره، فسأل شبيب بن شَبَّة، فلم يُعْطه شيئاً واعتذر إليه، فقال:
يا قوم لا تسودوا شبيباً المَلْذَن الخائن الكذوبا
هل تلد الذببة إلا الذيباً؟

[الرجز]

فقال شبيب: ما كنت لأُعْطِيَه على هذا القول شيئاً، فإنه قد جعل إحدى يديه سطحاً، وملاً الأخرى سلاحاً. وقال: من وضع شيئاً في سطحي وإلا ملأته بسلحي، من أجل دار يُريد أن يصحح بها نسبه. فسفر بينهما^(١) مشايخ الحي حتى يُعْطِيَه، فأبى شبيب أن يُعْطِيَه شيئاً، وحلف أبو نُخَيْلَة ألا يكف عن عرضه أو يأخذ منه شيئاً يستعين به، فلما رأى شبيب ذلك خافه، فبعث إليه بما سأل، وغدا أبو نُخَيْلَة عليه وهو جالس في مجلسه مع قومه، فوقف عليهم ثم أنشأ يقول:

إذا غدت سعد على شبيبها على فتاها وعلى خطيبها
من مطلع الشمس إلى مغيبها عجت من كثرتها وطيبتها

[الرجز]

أبو نُخَيْلَة حسنة من حسنات رؤبة :

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد، قال: حدثنا أبو حاتم، عن أبي عُبَيْدَة، قال:

دخل أبو نُخَيْلَة على عمر بن هُبَيْرَة، وعنده رؤبة وقد قام من مجلسه فاضطجع خلف ستر، فأنشده أبو نُخَيْلَة مديحه له، ثم قال ابن هُبَيْرَة له: يا أبا نُخَيْلَة، أي شيء

(١) سفر بينهما: سعى بينهما كسفير ينقل آراء الفريقين .

أحدثت بعدنا؟ فاندفع يُشده أرجوزة لرؤبة، فلما توسطها كشف رؤبة الست وأخرج رأسه من تحته، فقال له: كيف أنت يا أبا نخيلة فقطع إنشاده، وقال: بخير يا أبا العجاج، المعذرة إليك، ما علمت مكانك، فقال له: يا أبا نخيلة ألم أنهك أن تعرض لشعري إذا كنت حاضراً فأما إذا غبت فشأنك به؟ فضحك أبو نخيلة، وقال: هل أنا إلا حسنة من حسناتك وتابع لك، وحامل عنك؟. فعاد رؤبة إلى موضعه فاضطجع، ولم يراجعهُ حرفاً.

صلة المديح وصلة الشبه:

أخبرني هاشم بن محمد، قال: حدثنا دماذ، عن أبي عبيدة: أن أبا نخيلة قدم على المهاجر بن عبد الله الكلابي، وقد كان أبو نخيلة أشبه خلق الله به وجهاً وجسماً وقامة، لا يكاد الناظر إلى أحدهما أن يفرق بينه وبين الآخر، فدخل عليه فأنشده قوله فيه:

على التنائي من مقام وانعمي
بالوحي أو كيف بأن تُجمجمي^(١)
يا أبتا إنك يوماً مؤتممي
أنى لميقات كتاب مُحكم
أو في السماء أرتقي بسلم
إنني وربّ الراقصات الرُسم
لأوتين الخير عند مقامي
على ابن عبد الله قرم الأقرم^(٢)
لم أدر ما مهاجر التكرم
مهاجر يا ذا النوال الخضم^(٣)
مشارك النائل جم الأنعم

يا دار أم مالك ألا اسلمي
كيف أنا إن أنت لم تكلّمي
تقول بنتي، من ملام اللوم:
فقلت: كلا فأعلمي ثم اعلمي
لو كنت في ظلمة شغب مظلم
لأنصب مقداراً إلى مجرثمي^(٤)
وربّ حوض زمزم وزمزم
وعند ترحالي عن مخيمي
فإنني، والعلم ذو ترسم
حتى تبينت قضايا العشم
أنت إذا انتجعت^(٥) خير مغنم

(١) تجمجم: يقال تجمجم الرجل الكلام أي لم يبيّنه وأخفاه في صدره.

(٢) مجرثمي: ساقط من علو إلى أسفل.

(٣) الأقرم: السيد الشجاع الهمام.

(٤) الخضم، بكسر الخاء: الكثير الجم.

(٥) انتجعت: طلبت المعروف.

ولتميم منك خيرٌ مقسمٍ إذا التقوا ستاً معاً كالهيم^(١)
 قد علم الشام وكلُّ موسمٍ أنك تحلولي لحُلِّو المَعْجَمِ
 طوراً وطوراً أنت مثل العلقمِ

[الرجز]

قال: فأمر له المهاجر بناقة، فتركها ومضى مغضباً، وقال يهجوهُ:

إن الكلابيَّ اللئيم الأثرماً أعطى على مدحيهِ ناباً عَزَزَماً^(٢)
 ما جبرَ العظمَ ولكن تَمَّماً

[الرجز]

فبلغ ذلك المهاجر، فبعث فترضاه، وقام في أمره بما يُحبّ ووصله، فقال له أبو نُخَيْلَة: هذه صِلَة المديح، فأين صِلَة الشَّبه؟ فإن التشابه في الناس نَسَب. فوصله حتى أَرْضاه، فلم يزل يمدحه بعد ذلك حتى مات. ورثاه بعد وفاته فقال:

خليليَّ مالي باليمامة مَقْعَدٌ ولا قُرَّةً للعين بعد المُهاجرِ
 مضى ما مضى من صالح العيش فاربعاً على ابن سبيل مُزْمَع البين عابرِ
 فإن تكُ في ملحودة^(٣) يا ابن وائلٍ فقد كنت زين الوفد زين المنابرِ
 وقد كنت لولا سلَّك السيف لم يَنَمِ مُقيم ولم تأمنُ سبيلُ المسافرِ
 لعزَّ على الحيَّين قيس وخندفِ بمبكي عليٍّ والوليد وجابرِ
 هوى قمرٍ من بينهم فكأنما هوى البدرُ من بين النجوم الزواهرِ

[الطويل]

بين أبي نُخَيْلَة وأخته:

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي، قال، حدثنا دماذ، عن أبي عُبيدة قال:
 تزوجت أخت أبي نُخَيْلَة برجل، يُقال له: سيار، وكان أبو نُخَيْلَة يقوم بمالها مع
 ماله، ويرعى سوامها^(٤) مع سوامه، ويستبدُّ عليها بأكثرِ منافعها، فخاصمته يوماً من
 وراء خدرها^(٥) في ذلك، فأنشأ يقول:

أظُلُّ أرعى وتراً هزينا مُلَمَلماً^(٦) ترى له غُضونا

(١) الهيم: الأسد.

(٢) الملحودة: القبر.

(٣) الخدر، بكسر الخاء: المخدع.

(٤) العرزم: من أوصاف الإبل القوية.

(٥) السوم: الأنعام، من إبل وشياه.

(٦) ململماً: مجموعاً بعضه إلى بعض.

ذالبن مقدماً عثنونا^(١) يطعن طعنأ يقضب الوتينا
ويهتك الأعفاج^(٢) والرُبينا يذهب سيار وتقعدينا
وتُفسدين أو تبذرينا وتمنحين استك آخرينا
أير الحمار في است هذا دينا

[الرجز]

يُطلق زوجته لأنها ولدت بنتاً ثم يُراجعها :

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي، قال : حدثنا دماذ، عن أبي عُبيدة، قال :
تزوج أبو نخيلة امرأة من عشيرته، فولدت له بنتاً، فغمّه ذلك فطلقها تطليقة، ثم
ندم، وعاتبه قومه، فراجعها، فبينما هو في بيته يوماً إذ سمع صوت ابنته وأمها تُلاعبها،
فحركه ذلك ورق لها، فقام إليها فأخذها، وجعل يُزَيِّها^(٣) ويقول :

يا بنت مَنْ لم يك يهوى بنتاً ما كنتِ إلا خمسة أو ستاً
حتّى هلكت في الحشى وحتّى فئت في القلب جوى فانفتاً
لأنت خير من غلام أنتى^(٤) يُصبح مخموراً ويمسي سبتاً^(٥)

[الرجز]

أبو الشيزم يحب التي وصفها أبو نخيلة :

أخبرني جعفر بن قدامة، قال : حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات
قال : حدثنا أبو هفان، قال : حدثني أصحابنا الأهميون، قالوا :

دخل عقال بن شبة المجاشعي على المهدي، فقال له : يا أبا الشيزم، ما بقي
من حُبك؟ قال : بنات آدم. قال : وما يُعجبك منهن؟ هل التي عُصبت^(٦) عصب
الجان، وجُدتل جَدل العنان واهتزت اهتزاز البان؟ أم التي بدُنت فعظمت وكملت
فتمّت؟ فقال : يا أمير المؤمنين، أحبهما إليّ التي وصفها أبو نخيلة، فإنه كانت له
جارية صغيرة وهبها له عمك أبو العباس السفاح، فكان إذا غشيها صُغرت عنه وقلّت
تحته، فقال :

(١) العثنون : الفاسد من الطعام .

(٢) الأعفاج : واحد العفج، ما ينتقل الطعام إليه بعد المعدة .

(٣) يُزَيِّها : يُسرّع إليها ويرفعها .

(٤) أنتى : تأخر .

(٥) السبت : النوم .

(٦) عُصبت : جُبلت جسداً قوياً متناسقاً .

إني وجدت الكدَّ ناذنوكا غيرَ منيك فابغني مُنيكا
حتى إذا حرَّكته تحرَّكا

[الرجز]

قال: فوهب له المهديّ جاريةً كاملةً فائقةً متأدبةً بارعة^(١)، فلما أصبح عقال غداً على المهديّ متشكراً، فخرج المهديّ وفي يده مشط يسرح به لحيته، وهو يضحك، فدعا له عقال، وقال له: يا أمير المؤمنين، مم تضحك؟ أدام الله سرورك، قال: يا أبا الشيطان، إني اغتسلت أنفاً من شيء إذا حركته تحرك ثم ذكرتُ قولك الآن لما رأيتك فضحكت.

أبو نُخَيْلَةَ يرثي الجنيد المَرِّيَّ:

أخبرني محمد بن جعفر النحويّ صهر المبرد، قال: حدثني أحمد بن القاسم العجليّ البرتيّ، قال: حدثني أبو هفان، قال: حدثني رقية بنت جميل عن أبيها، قالت:

كان أبو نُخَيْلَةَ مداحاً للجنيد بن عبد الرحمن المَرِّيّ، وكان الجنيدُ له محباً يُكثر رِفده ويُقرّب مجلسه، ويحنّ إليه، فلما مات الجنيد بمرّو قال أبو نُخَيْلَةَ يرثيه:

لعمري لئن ركب الجنيد تحمّلوا إلى الشام من مَرّو وراحت كتائبه
لقد غادر الركبُ الشّامون خلفهم فتى غطفانياً تعلل جادبه^(٢)
فتى كان يسري للعدو كأنما عجاج^(٣) القطافي كل يوم كتائبه
وكان كأن البدر تحت لوائه إذا راح في جيش وراحت عصائبه
[الطويل]

امراته تؤنّبه:

أخبرني محمد بن جعفر، قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: حدثني أبو هفان، عن عبد الله بن داود.

عن عليّ بن أبي نُخَيْلَةَ، قال: كان أبي معجباً بي شديد الرقة عليّ والمحبة لي، فكان إذا أكل خَصّني بأطيب طعامه وإذا نام أضجعني إلى جنبه، فعاظ ذلك امرأته أمّ

(١) بارعة: أي فائقة جمالاً وعلماً.

(٢) الجادب: من انقطع عليه المطر.

(٣) عجاج القطا: صياحها، غبارها.

حماد الحنفية، فجعلت تعذله^(١) وتؤنّبه، وتقول: قد أقمت في منزلك، وعكفت على هذا الصبي، وتركت الطلب لولدك وعيالك، فقال أبي في ذلك:

ولولا شهوتي شفتي عليّ ربعت على الصحابة والركاب
ولكن الوسائل من عليّ خلصن إلى الفؤاد من الحجاب
[الوافر]

قال: فازدادت غضباً، فقال لها:

وليس كأُم حمادٍ خليلٍ إذا ما الأمر جلّ عن الخطاب
منعمة أرى فتقر عيني وتكفيني خلائقها عتابي
[الوافر]

فرضيت وأمسكت عني.

لولا أبانٌ هلكت نُمير:

حدثني عمّي، قال: حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك، قال: حدثني سهل بن زكريا، قال: حدثني عبد الله بن أحمد الباهلي، قال: قال أبان بن عبد الله النميري يوماً، لجلسائه وفيهم أبو نخيلة: والله لوددت أنه قيل فيّ ما قيل في جرير بن عبد الله:

لولا جريرٌ هلكت بجيلة
وأُنني أثبت على ذلك كله، فقال له أبو نخيلة: هلمّ الثوب، فقد حضرني من ذلك ما تُريد، فأمر له بدراهم، فقال: اسمع يا طالب ما يجزيه:
لولا أبانٌ هلكت نُمير نعم الفتى وليس فيهم خير
[الرجز]

أبو نخيلة على باب أبي جعفر:

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي، قال: حدثنا الحسن بن عليل العنزي، قال: حدثنا سلمة بن خالد المازني، عن أبي عبيدة، قال: وقف أبو نخيلة على باب أبي جعفر، واستأذن، فلم يصل، وأقبلت الخراسانية تدخل وتخرج فتَهزأ به، يرون شيخاً أعرابياً جلفاً، فيعبتون به، فقال له رجل عرفه: كيف أنت يا أبا نخيلة؟ فأنشأ يقول:

(١) تعذله: تلومه.

أَصْبَحْتُ لَا يَمْلِكُ بَعْضِي بَعْضًا أَشْكُو الْعُرُوقَ الْآبِضَاتِ أَبْضًا
كَمَا تَشْكِي الْأَزْجِيَّ^(١) الْعَرَضًا^(٢) كَأَنَّمَا كَانَ شَبَابِي قَرَضًا

[الرجز]

فقال له الرجل : وكيف ترى ما أنت فيه في هذه الدولة؟ فقال :

أَكْثَرَ خَلَقَ اللَّهُ مِنْ لَا يُدْرَى مِنْ أَيِّ خَلَقَ اللَّهُ حِينَ يُلْقَى
وَحَلَّةٌ تُنْشَرُ ثُمَّ تُطْوَى وَطِيلَسَانٌ يُشْتَرَى فَيُغْلَى
لِعَبْدِ عَبْدِ اللَّهِ أَوْ لِمَوْلَى يَا وَيْحَ بَيْتِ الْمَالِ مَاذَا يُلْقَى

[الرجز]

ثوب لجلدي وحرٌّ لأيري :

وبهذا الإسناد عن أبي عبيدة أن أبا نُخَيْلَةَ قدم على أَبَانِ بْنِ الْوَلِيدِ، فامتدحه، فكساه ووهب له جارية جميلة، فخرج يوماً من عنده، فلقى رجل من قومه، فقيل له : كيف وجدت أَبَانَ بْنَ الْوَلِيدِ يَا أبا نُخَيْلَةَ؟ فقال :

أَكْثَرَ وَاللَّهِ أَبَانٌ مَيْرِي وَمِنْ أَبَانِ الْخَيْرِ كُلِّ خَيْرِي
ثُوبٌ لَجَلْدِي وَحِرٌّ لِأَيْرِي

[الرجز]

أبو نُخَيْلَةَ يُتَخَمُّ مِنْ كَثْرَةِ الْأَكْلِ :

نسخت من كتاب اليوسفي : حدثني خالد بن جميل ، عن أبي عمرو الشيباني ، قال :

أَقَحَمْتُ السَّنَةَ أَبَا نُخَيْلَةَ، فَأَتَى الْقَعْقَاعَ بْنَ ضِرَارٍ، وَهُوَ يَوْمئِذٍ عَلَى شُرْطَةِ الْكُوفَةِ، فَمَدَحَهُ، وَأَنْزَلَهُ الْقَعْقَاعَ بْنَ ضِرَارٍ وَابْنِيهِ وَعَبْدِيهِ وَرُكَابَهُمْ فِي دَارٍ، وَأَقَامَ لَهُمُ الْإِنْزَالَ، وَلِرُكَابَهُمُ الْعُلُوفَةَ، وَكَانَ طَبَاخُ الْقَعْقَاعِ يَجِيئُهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ بِأَرْبَعِ قِصَاعٍ، فِيهَا أَلْوَانٌ مَطْبُوخَةٌ مِنْ لَحُومِ الْغَنَمِ، وَيَأْتِيهِمْ بَتَمْرٌ وَزَبْدٌ، فَقَالَ لَهُ الْقَعْقَاعُ يَوْمًا: كَيْفَ مَنْزِلُكَ أَبَا نُخَيْلَةَ؟ فَقَالَ :

مَا زَالَ عَنَّا قِصَعَاتٌ أَرْبَعُ شَهْرَيْنِ دَأْبًا ذُوْدٌ وَرَجْعُ
عَبْدَايَ وَابْنَايَ وَشَيْخُ يَرْكُعُ كَمَا يَقُومُ الْجَمَلُ الْمُطْبَعُ^(٣)

[الرجز]

(١) الأزجي : هو من ينسب إلى الأزج، وهو البيت .

(٢) العَرَضُ، بسكون الراء : شعبة في الوادي غير كاملة .

(٣) المطبع : السهل القياد .

قال: وكان أبو نخيلة يُكثر الأكل فأصابته تُخمة، فدخل على القعقاع، فسأله: كيف أصبحت أبا نخيلة؟ فقال: أصبحت واللّه بشماً، أمرت خبازك فأتاني بهذا الرقاق الذي كأنه الثياب المبلولة، قد غمسه في الشحم غمساً، وأتبعه بزبد كرأس النعجة العوسية^(١)، وتمر كأنه عنز رابضة، إذا أخذت التمرة من موضعها تبعها من الرُب^(٢) كالسلوك الممدودة، فأمنت^(٣) في ذلك وأعجبني حتى بشمت، فهل من أقداح جِداد؟ وبين يدي القعقاع حجام واقف وسفرة موضوعة فيها المواسي، فإذا أتني بشارب النبيذ حلق رؤوسهم ولحاهم، فقال له القعقاع: أطلب مني النبيذ وأنت ترى ما أصنع بشربه؟ عليك بالعسل والماء البارد، فوثب ثم قال:

قد علم المَظْلُ والمبيثُ أني من القعقاع فيما شئتُ
إذا أتت مائدة أُنِيثُ بِبِدَعٍ ليست بها غُذِيثُ
وُلِيْتُ فاستشفعت واستُعديتُ كأنني كنت الذي وُلِيْتُ
ولو تمنيتُ الذي أُعْطِيْتُ ما ازددت شيئاً فوق ما لقيتُ
أيا ابن بيتٍ دونه البيوتُ أقصرُ فقد فوق القرى قُريْتُ
ما من شرابي عسلٍ منعوتُ ولا فرات صَرْدٍ^(٤) بَيُوتُ
لكنني في النوم قد أُرِيْتُ رَطل نبيذٍ مُخْفِسٍ^(٥) سَقِيْتُ
صُلْباً إذا جاذبته رَوِيْتُ

[الرجز]

فغمزه على إسماعيل ابن أخيه، وأوماً إلى إسماعيل، فأخذ بيده ومضى به إلى منزله، فسقاه حتى صلح.

يمدح العباس ولا يعطيه شيئاً:

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي، قال: حدثنا قعنب بن المحرز وأبو عمرو الباهليّ قالا: حدثنا الأصمعيّ، قال:

دخل أبو نخيلة على أبي العباس السفاح، وعنده أبو صفوان إسحاق بن مسلم العقيليّ فأنشده قوله يمدحه:

(١) العوسية من النعاج: البيضاء المنسوبة إلى عوس ويقال للكباش عوسي.

(٢) الرُب: ما يُطبخ من تمر، وسواه.

(٣) أمنت في ذلك: أي أكثر في الأكل.

(٤) الصرد: الشديد البرود. (٥) مُخْفِس: سريع الإسكار.

صَادَتْكَ يَوْمَ الرَّمْلَتَيْنِ شَعْفَرُ^(١)
يا صورةً حَسَنَهَا الْمُصَوِّرُ
يقول فيها في مدح أبي العباس:

حتى إذا ما الأوصياء عَسَكروا
ومن بني العباس نبع أصغرُ
أقبل بالناس الهوى المستبهرُ^(٢)
أنا الذي لو قيل إنني أشعرُ
لما مضت لي أشهرٌ وأشهرُ
لا يستخفَّنك ركبٌ يَصْدُرُ
وخالفني الأنبياءُ فهني المحشرُ
مني فإنني كلَّ جَنحٍ^(٣) أحضرُ
والغيث يُرجى، والديار تنضُرُ
حتى زهاها مسجداً ومنبرُ
لا غائبٌ ولا أناسٌ حُضِرُ
وأمسَّتِ الأنبار داراً تُعَمَرُ
حمصٌ وباب التين والموقرُ
وواسطٌ لم يبق إلا القَرقرُ^(٤)
أين أبو الورد وأين الكوثرُ

وقام من تبر النبيّ الجَوهَرُ
يَنميه فرع طيِّبٌ وعنصرُ
وصاح في الليل نهاراً أنورُ
جلّى الضبابَ الرَّجْزُ المخبرُ
قلت لنفس تزدهي فتصبرُ:
لا مُنْجِدٌ يمضي ولا مُعَوِّرُ
أو يسمع الخليفة المطهرُ
وإنّ بالأنبار غيثاً يهْمُرُ
ما كان إلا أن أتاه العسكرُ
لم يبق من مروان عينٌ تنظرُ
هيهات^(٥) أودى المنعمُ المَعْقُرُ^(٦)
وخربت من الشام أدورُ
ودمّرت بعد امتناع تدمرُ
منها وإلا الديدبان الأخضرُ
وأين مروان وأين الأشقرُ؟

[الرجز]

أبو الورد الهذيل بن زفر، وكوثر بن الأسود صاحب شرطة مروان.

وَأَيْنَ فَلٌ لَمْ يَفُتْ مُحَيَّرُ

(١) الشعفر من النساء: التي تثير حبّها في قلب الرجل.

(٢) المزعفر: المصبوغ بالزعفران. والزعفران: نبات بصلي زهره أحمر إلى الصفرة.

(٣) المستبهر من النساء: التي تُثير انبهار الرجل لجمالها أحمر إلى الصفرة.

(٤) الجَنح، بكسر الجيم: الطائفة من الليل.

(٥) هيهات: اسم فعل ماضٍ بمعنى بُعد.

(٦) المعقر: من يعقر النياقَ للأضياف لشدة كرمه.

(٧) القرقر: الأرض المنبسطة الممتدة.

وَأَيْنَ عَادِيكُمْ الْمَجْمَهْرُ وَعَامِرٌ وَعَامِرٌ وَأَعَصْرُ
[الرجز]

قال: يعني عامر بن صعصعة، وعامر بن ربيعة، وأعصر باهلة وغني، قال: فغضب إسحاق بن مسلم، وقال: هؤلاء كلهم في جر أمك أبا نخيلة، فأنكر الخليفة عليه ذلك، فقال: إني والله يا أمير المؤمنين قد سمعت منه فيكم شراً من هذا في مجالس بني مروان، وما له عهد ولا هو بوفٍ ولا كريم، فبان ذلك في وجه أبي العباس، وقال له قولاً ضعيفاً: إن التوبة تغسل الحوبة^(١)، والحسنات يذهبن السيئات، وهذا شاعر بني هاشم، وقام فدخل، وانصرف الناس، ولم يعط أبا نخيلة شيئاً.

قصيدته في خلع موسى بن عيسى وتولية المهديّ العهد:

وأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار الثقفي، حدثنا علي بن محمد بن سليمان النوفلي، قال: حدثني أبي.

عن عبد الله بن أبي سليم مولى عبد الله بن الحارث، قال: بينا أنا أسير مع أبي الفضل - يعني سليمان بن عبد الله - وحدي بين الحيرة والكوفة، وهو يريد أبا جعفر المنصور، وقد همّ بتولية المهديّ العهد، وخلع عيسى بن موسى، وهو يروض ذلك، إذا هو بأبي نخيلة الشاعر، ومعه ابنان له وعبد، وهم يحملون متاعه، فقال له: يا أبا نخيلة، ما هذا الذي أرى؟ قال: كنت نازلاً على القعقاع بن معبد أحد ولد معبد بن زرارة، فقلت شعراً فيما عزم عليه أمير المؤمنين، من تولية المهديّ العهد، ونزع عيسى بن موسى، فسألني التحوّل عنه، لئلا يناله مكروه من عيسى، إذ كان صنيعته، فقال سليمان: يا عبد الله، اذهب بأبي نخيلة فأنزله منزلاً، وأحسن نزله وردّه، ففعلت، ودخل سليمان إلى المنصور فأخبره الخبر، فلما كان يوم البيعة جاء بأبي نخيلة، فأدخله على المنصور، فقام فأنشد الشعر على رؤوس الناس وهي قصيدته التي يقول فيها:

ليس وليّ عهدنا بالأسعدِ عيسى فزحلقها إلى محمدٍ
من عند عيسى مُعهداً عن مُعهدٍ حتى تُؤدّي من يد إلى يدٍ
[الرجز]

قال: فأعطاه المنصور عشرة آلاف درهم، قال: وباع لمحمد بالعهد، فانصرف عيسى بن موسى إلى منزله.

(١) الحوبة: الذنب، الإثم.

قال: فحدثني داود بن عيسى بن موسى، قال: جمعنا أبي، فقال: يا بني، قد رأيتم تأخري، فأیما أحب إليكم: أن يُقال لكم يا بني المخلوع أو يقال لكم يا بني المفقود؟ فقلنا: لا بل يا بني المخلوع، فقال: وفقكم الله. وأول هذه القصيدة الأرجوزة التي هذه الأبيات منها:

لم يُنسني يا بنّة آل معبدٍ ذكراكِ تكرارُ الليالي العُودِ
ولا ذواتُ العصب المورّدِ ولو طلبن الودّ بالتودّدِ
ورُحن في الدّر وفي الزّبرجدِ هيهاتَ منهن وإن لم تعهدِ
نجدية ذات معانٍ مُنجدِ كأن رياها بُعيد المرقّدِ
ريّا الخزامى في ثرى جعدٍ ندي كيف التصابي فعل من لا يهتدي
وقد علتني ذُرّة^(١) بادي بدي رثيثة تنهض في تشدّدِ
بعد انتهاضي في الشباب الأملدِ

[الرجز]

يقول فيها:

إلى أمير المؤمنين فاعمدِ إلى الذي يندى ولا يندى ندي
سيرى إلى بحر البحار المُزبدِ إلى الذي إن نفدت لم ينقّدِ
إذ أثمدت^(٢) أشراعها^(٣) لم يثمدِ

[الرجز]

ويقول في ذكر البيعة لمحمد بعد الأبيات التي مضت في صدر الخبر:

فقد رضينا بالغلام الأمردِ وقد فرغنا غير أن لم نشهدِ
وغير أن العقد لم يؤكّدِ فلو سمعنا قولك امددْ امددِ
كانت لنا ككرعة الورد الصّدي فنادٍ للبيعة جمعاً واحشُدِ
في يومنا الحاضر هذا أو غدِ واصنع كما شئت وزدّه يزددِ
ورده منك رداء يرتدي فهو رداء السابق المقلّدِ
وكان يُروى أنها كأن قد عادت ولو قد نقلت لم تُرددِ

(١) الذرّة: بياض الشيب أول ما يبدو في الفودين.

(٢) أثمدت: فثيت.

(٣) الأشراع، الواحد شرع: الموارد.

أَقُولُ فِي كَرِّي أَحَادِيثَ الْغَدِّ لَلَّهِ دَرِّي مِنْ أَخٍ وَمُنْشَدٍ
لَوْ نَلْتُ حَظَّ الْحَبَشِيِّ الْأَسْوَدِ

[الرجز]

يعني أبا دُلَامَةَ .

قصيدته يرويهما الخدم والخاصة :

فأخبرني عبد الله بن محمد الرازي، قال : حدثنا أحمد بن الحارث، قال :
حدثنا المدائني :

أن أبا نُخَيْلَةَ أظهر هذه القصيدة وأشاعها حتى رواها الخدم والخاصة، وتناشدتها العامة، فبلغت المنصور فدعا به، وعيسى بن موسى عنده جالس عن يمينه، فأنشده إياها، وأنصت له حتى سمعها إلى آخرها. قال أبو نُخَيْلَةَ : فجعلت أرى فيه السرور، ثم قال لعيسى بن موسى : ولئن كان هذا عن رأيك لقد سررت عمك وبلغت من مرضاته أقصى ما يبلغه الولد البار السار، فقال عيسى : ﴿ قَدْ ضَلَكْتَ إِذَا وَمَا أَنَا مِنْ الْمُهْتَرِينَ ﴾ [الأنعام: ٥]، قال أبو نُخَيْلَةَ : فلما خرجت لحقني عقال بن شَبَّةَ فقال : أمّا أنت فقد سررت أمير المؤمنين ولئن تمّ الأمر فلعمري لتصيبن خيراً، ولئن لم يتم فابتغِ نفقاً في الأرض أو سلماً في السماء، فقلت له :

عَلِقت معالقها وصَرَ الجُنْدُبُ

أبو جعفر يصله بألفي درهم :

قال المدائني : وحدثني بعض موالي المنصور، قال : لما أراد المنصور أن يعقد للمهديّ أحب أن تقول الشعراء في ذلك، فحدثني عبد الجبار بن عبيد الله الحماني، قال :

حدثني أبو نُخَيْلَةَ، قال : قدمت على أبي جعفر، فأقمت ببابه شهراً لا أصل إليه، فقال لي عبد الله بن الربيع الحارثي : يا أبا نُخَيْلَةَ، إن أمير المؤمنين يُريد أن يقدم المهديّ بين يدي عيسى بن موسى، فلو قلت شيئاً تحثّه على ما يُريد، فقلت :

ماذا على شحط النوى ^(١) عَشَاكَ أم ما مَرى دمعك ^(٢) من ذكراكا؟
وقد تبكّيت فما أبكاكا

[الرجز]

(١) شحط النوى : شدة البعد.

(٢) مَرى دمعك : درّ بغزارة.

وذكر أَرْجوزة طويلة يقول فيها:

خليفةَ الله وأنت ذاكا أسند إلى محمد عصاكا
فأحفظُ الناس لها أدناكا وابئُك ما استكفيته كفাকা
وكُلُّنا منتظرٌ لذاكا لو قلت: هاتوا قبل هاك هاكا
[الرجز]

قال: فَأَنشدته إِيَّاهَا، فوصلني بألفي درهم، وقال لي: إِحذر عيسى بن موسى، فَإني أَخافه عليك أَن يَغْتالِكَ.

قطري يقتل أبا نُخَيْلةَ ويسلخ وجهه:

قال المدائني: وخلع أبو جعفر عيسى بن موسى، فبعث عيسى في طلب أبي نُخَيْلةَ، فهرب منه وخرج يُريد خُرَاسَانَ، فبلغ عيسى خبره، فجردَّ خلفه مولًى له يُقال له: قطري، معه عدة من مواليه، وقال له: نَفْسُكَ نَفْسُكَ أَن يفوتكَ أبو نُخَيْلةَ. فخرج في طلبه مُغذًا للسير، فلحقه في طريقه إلى خُرَاسَانَ، فقتله وسلخ وجهه.

ونسخت من كتاب القاسم بن يُوسُفَ عن خالد بن جميل:

أَنَّ عليَّ بن أبي نُخَيْلةَ حدثه: أَنَّ المنصور أمر أبا نُخَيْلةَ أَن يهرب إلى خُرَاسَانَ ويكتب له كتابًا. فوجه عيسى بن موسى قطريًا مولاه في جمع فلحقوه في طريق خُرَاسَانَ فأخذه قطري وكتفه فأضجعه، فلما وضع السكين على أوداجه، قال له: إِيه يا ابن اللِّخْناء أَلست القائل:

علقت معالقها وصرَّ الجندبُ؟

الآن صرَّ جندبُكَ. فقال: لعن الله ذلك جندبًا، ما كان أشأمه، ثم ذبحه قطري وسلخ جلدة وجهه وألقى جسمه إلى النُصور، وأقسم لا يَريم مكانه حتى تمزق السباع والطيور لحمه، فأقام حتى لم يبق منه إلا عظامه، ثم انصرف.

أخبرنا جعفر بن قُدَامة، قال: حدثنا أبو حاتم السجستاني، قال: حدثني الأصمعي.

عن سعيد بن سلم عن أبيه، قال: قال لي ابن الأبرش: أَمات أبو نُخَيْلةَ حتف أنفه؟ قلت: لا، بل اغتيل فقتل. فقال: الحمد لله الذي قطع قلبه، وقبض روحه، وسفك دمه، وأراحني منه، وأحيانِي بعده.

وكان أبو نُخَيْلةَ يُهاجي الأبرش فغلبه أبو نُخَيْلة.

صوت

ولقد دخلتُ على الفتا ة الخِدرَ في اليوم المطيرِ
 فدفعتهَا فتدافعَتْ مَشْيَ القطاةِ على الغديرِ
 فلثمتها فتَنفَّستُ كتَنفُّسِ الظَّبيِّ البَهِيرِ^(١)

[مجزوء الكامل]

الشعر للمنخل اليشكريّ، والغناء لإبراهيم ثاني ثقل بالوسطى عن عمرو وأحمد المكيّ.

(١) البهير: الذي انقطع نفسه لشدة سعيه وإسراعه.

فهرس المحتويات

٥	 أخبار أبي نُواس وجنان خاصة
٥	 إذ كانت أخباره قد أُفردت خاصة
٥	 نسب جنان وحب أبي نُواس لها
٥	 أبو نُواس يحجّ من أجلها
٥	 أبو نُواس يلبيّ بشعر ويحدو به ويطرب
٦	 أبو نواس يذكر جنان
٦	 حسبوها العروس حين رأوها
٧	 جنان تخيب أمل أبي نُواس
٧	 أبو نواس يُعاتب جنان حتى يستميلها
٨	 أبو نُواس يسرّ لأن جنان ذكرته
٨	 رسالة جنان إلى أبي نُواس
٩	 القاضي لا يتعرّض للشعراء
٩	 قوله في أبي عثمان وأبي أمية
١٠	 عبث خرج منه
١٠	 أبو نُواس يأخذ معنى النابغة الجعديّ
١١	 أبو نُواس يذكر مأتماً حضرته جنان
١١	 جنان تلطم . . . وأبو نُواس يتغرّل!!
١١	 سفيان بن عُيينة يعجب من قول أبي نواس
١٢	 بنت المبارك لا جنان
١٢	 جنان تطلب من أبي نُواس أن يقطع زيارته لها أياماً
١٣	 أبو نُواس يكتب إلى جنان من بغداد
١٣	 جنان تشتم أبا نُواس وتذكره أقبح الذكر
١٤	 جنان تطلب الصلح فيرفض أبو نُواس
١٤	 لأبي نُواس في جنان
١٥	 رجل من البصرة يشتري جنان ويرحل بها

- ١٥ تقبيلة من بعيد
- ١٧ نسب ابن أبي عُيْنَةَ وأخباره
- ١٧ اسمه ونسبه
- ١٧ الأزد يستلحقون المهلب
- ١٧ أبو صُفْرَةَ ليس عربياً
- ١٨ أبو صُفْرَةَ يجلس على جفنة ليختن
- ١٨ قول زياد الأعجم في ذلك
- ١٨ كتاب المثلث
- ١٩ عبد الملك يحرق كتاب المثلث
- ١٩ غزل هجاء
- ١٩ أبو أبي عُيْنَةَ يتولى الري ثم يُقبض عليه
- ٢٠ ابن أبي عُيْنَةَ يهوى فاطمة ويقول الشعر في دنيا
- ٢١ لو كان له علم أخيه لكان أشعر منه
- ٢١ أيهما أشجع يزيد بن خالد أم عمر بن حفص؟
- ٢١ من التي كان يحبها؟
- ٢٢ محمد بن جعفر بن موسى الهادي يحب نيران
- ٢٣ زرياب تغني والواثق يردد
- ٢٤ زوج فاطمة أول من جمع السماد وباعه
- ٢٤ عبد الله بن محمد بن أبي عُيْنَةَ يهجو عيسى
- ٢٤ أخوه أشعر منه
- ٢٥ قرابته لفاطمة
- ٢٥ رق قلبه وأبى قلبها
- ٢٦ كل مملوك له حرّ إذا قصّر عن هواها
- ٢٦ هلا انتظرت وقت المساء!!
- ٢٦ البحري يأخذ منه هذا المعنى
- ٢٧ شهر من فرس أبلق
- ٢٧ ذكريات
- ٢٨ ليالي الهوى!
- ٢٩ وصفه لقصر كانوا فيه

- ٢٩ الفضل بن الربيع يقول أشعر أهل زماننا أبو عُيَيْنَةَ
- ٣٠ الطلاق أو الفناء
- ٣٠ أبو عُيَيْنَةَ يُعَاتِبُ إِسْحَاقَ
- ٣١ أبو عُيَيْنَةَ يَقُولُ حِكْمًا
- ٣١ ابن الربيع يفضل أبا عُيَيْنَةَ على أبي نُوَاسٍ
- ٣١ حسده لمن أهديت إليه دنيا
- ٣٢ دنيا هي فاطمة بنت عمر
- ٣٣ جار ثقیل
- ٣٣ ابن أبي عُيَيْنَةَ يطلب عزل أمير البصرة، فيعزل
- ٣٤ انتقام ابن أبي عُيَيْنَةَ من إسماعيل والي البصرة
- ٣٥ فأجابه طاهر
- ٣٦ ابن زعبل يهجو ابن أبي عُيَيْنَةَ
- ٣٧ المأمون ينذر دمه
- ٣٨ ابن أبي عُيَيْنَةَ يشبّب بوهبة ودنيا
- ٣٨ دليل على أنه كان يُكَنَّى عن فاطمة بدنيا
- ٣٩ رثاؤه لأخيه داود
- ٣٩ حبه لقينة في الكوفة
- ٤٠ شعره في ضيعة له
- ٤١ أخوه عبد الله يُعَاتِبُ مُحَمَّدَ بْنَ يَحْيَى بْنَ خَالِدِ الْبَرْمَكِيِّ
- ٤١ هجاء ومدح
- ٤٢ حبه للجارية بُسْتَان
- ٤٢ هجاؤه لعيسى بن سُليمان
- ٤٣ خالد يتشاغل عنه ويجفوه
- ٤٤ أخوه داود يعرس وهو غائب في جرجان
- ٤٦ ابن أبي عُيَيْنَةَ يفضح خالدًا
- ٤٧ دُعِبِلَ يستنشده شعره في خالد
- ٤٨ قتله قتله والله
- ٤٨ من مختار ما قاله في خالد
- ٤٩ من مشهور شعره في خالد

- يهجو خالدًا ويمدح أباه في بيت واحد ٥٠
- يتوعد خالدًا ٥٠
- أهجي المحدثين ٥١
- ابن أبي عُيْنَةَ يكتب إلى الهادي فيصله ويسحبه من جيش خالد ٥١
- أخبار دِعبِل بن عليّ ونسبه ٥٤
- اسمه ونسبه ٥٤
- تعصّبه على النزارية للقحطانية ٥٤
- يحمل خشبته على كتفه ٥٥
- أبوه يقول الشعر ٥٥
- ما معنى دِعبِل؟ ٥٦
- رده على الكُميت يحطّ من شأنه ٥٧
- يظن اللقب شتمًا ٥٧
- يصاح بالمجنون دِعبِل، فيفيق!! ٥٧
- سبب خروجه من الكوفة ٥٧
- الهجاء خير من المديح ٥٨
- البيت الذي عرف به ٥٨
- دِعبِل يسرق المعنى من مسلم ٥٩
- يسمع شعراً قاله منذ سبعين سنة ٦٠
- (نسبة هذا الغناء) ٦٠
- يسرق من قول الحسين بن مطير الأسدي ٦٠
- ديك دِعبِل ٦١
- يعدّ الهجاء قبل أن يعرف صاحبه ٦٢
- يمدح أبا نضير فلا يُرضيه فيهجوه ٦٢
- أبو تمام يهجوّه ويتوعدّه ٦٢
- الخاركي البصريّ يهجوّه ٦٣
- أجسر الناس وأقدمهم ٦٣
- دِعبِل يرثي ابن عمه ٦٤
- دِعبِل يُعيرُ إسماعيلَ بن جعفر ٦٤
- دِعبِل يتشطر ٦٥

- ٦٥ يتطير من عمير الكاتب
- ٦٥ يمدح عبد الرحمن بن خاقان ويطلب منه برذوناً
- ٦٦ يهجو الفضل بن العباس بن جعفر
- ٦٦ بلاء
- ٦٧ تعبت بدعل فيفضحها
- ٦٧ ضربه ثلاثمائة سوط
- ٦٨ يدور الدنيا كلها ويرجع
- ٦٨ البحرّي يفضله على مسلم
- ٦٨ شعره في حويّ بن عمرو السكسكي
- ٦٩ دِعل والثلج
- ٦٩ هجاؤه صالح بن عطية الأضجم
- ٧٠ هجاؤه بني مكلم الذئب
- ٧٠ قوله في محمد بن عبد الملك الزيات
- ٧١ أشعث والصناع ينالان نصيبهما من هجائه
- ٧١ الفضل بن مروان يقبل نصحه!!
- ٧٢ حكمه على شاعر
- ٧٢ المأمون يضحك من شعر دِعل في أبي عباد
- ٧٢ الجن تُنشد شعره
- ٧٣ حيلة
- ٧٤ هجاؤه بني بسام
- ٧٤ هجاؤه أحمد بن أبي خالد
- ٧٥ هجاؤه المعتصم
- ٧٥ الزيات يرثي المعتصم ودِعل يعارضه
- ٧٦ إبراهيم بن المهدي يُغري به المعتصم
- ٧٦ دِعل موسوم بهجاء الخلفاء والتشيع
- ٧٧ يرمي المتوكل بالأبنة
- ٧٧ لا حزن ولا فرح
- ٧٧ يمدح الحسن بن وهب ثم يرجع في مدحه
- ٧٨ يغضب على أبي نصر فيهجو أباه

- ٧٨ العيش في منادمة الإخوان
- ٧٩ عليّ بن موسى الرضا يُعَدِّقُ عليه
- ٨٠ أَهْلُ قُمْ يَشْتَرُونَ مِنْهُ جَبَّةَ الرِّضَا بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ
- ٨٠ خليفة مصحفه البربط
- ٨١ صديق متخلف
- ٨١ دَعْبِلُ يَسْتَدِلُّ بِحَدِيثِ الرَّسُولِ
- ٨١ دَعْبِلُ يَحْسُدُ بَكَرًا عَلَى قَوْلِهِ
- ٨٢ يقول الشعر كل يوم
- ٨٢ صديق خفيف الروح
- ٨٢ المأمون يسأل عن شعر دَعْبِلُ ويحفظ له
- ٨٣ المكاربي يتغنى بشعر دَعْبِلُ ويسببه
- ٨٤ لو أجاب الجاحظ هذا الجواب لكان كثيراً منه
- ٨٤ (نسبة هذا الصوت)
- ٨٥ هجاء بالجملة
- ٨٦ ينحرف عن الطاهرية مع أياديهم عنده
- ٨٦ وجه الأضجم جيش من الطاعون
- ٨٧ دَعْبِلُ يعرض شعره على مسلم
- ٨٧ دَعْبِلُ ومسلم يتهاجران
- ٨٨ دَعْبِلُ خُزَاعَةُ كُلِّهَا
- ٨٨ من مكة إلى مصر
- ٩٠ المطلب يولي دَعْبِلُ أسوان ثم يعزله
- ٩١ قوله في عبد المطلب والي مصر
- ٩٢ يهجو المطلب ويُعيرُه بغلامين
- ٩٢ سبب سخطه على المطلب
- ٩٣ سبب مناقضته أبا سعد المخزومي
- ٩٣ أول الأسباب في مهاجاته لأبي سعد
- ٩٤ أبو سعد يَجُودُ الشعر فلا يُروى، ودَعْبِلُ يَرِذْلُ فيُروى
- ٩٥ أبو سعد المخزومي يدس بيتاً في شعر دَعْبِلُ
- ٩٦ يصطلحان ثم يعودان إلى التهاجي

- بنو مخزوم يُنكرون انتساب أبي سعد إليهم ٩٧
- ابن دَعْبِل أشعر من أبي سعد ٩٨
- أبو سعد العبدُ ابن العبد ١٠٠
- ابن أبي الشيص ودَعْبِل يهجوَانِ أبا سعد ١٠٠
- يحرص الصبيان عليه ١٠١
- المأمون يأبى قتل دَعْبِل ١٠١
- يرى سلعته فيتذكر هجاء أبي سعد ١٠٢
- هجاؤه لأبي سعد يلعب به الصبيان والإماء ١٠٢
- قصيدة أبي سعد في هجاء دَعْبِل ١٠٢
- دعِيّ على دعِيّ ١٠٤
- عبد الله بن طاهر يخاف من دَعْبِل ١٠٤
- الرشيد أول من حرّضه على قول الشعر ١٠٥
- دَعْبِل يهجو الرشيد ١٠٥
- يهجو المأمون بعد صفحه عنه وإحسانه إليه ١٠٦
- أخلف ظنه ١٠٧
- أجهل منه من ولّاه ١٠٨
- العيش في منادمة الإخوان ١٠٨
- دَعْبِل ومالك بن طوق ١٠٩
- عبد الله بن طاهر يُعطيه ألف درهم ١٠٩
- هجاء مالك بن طوق ١١٠
- مالك بن طوق يُعذبه ويبعث إليه من اغتاله ١١٠
- أخبار جُعيفران ونسبه ١١٣
- اسمه ونسبه ١١٣
- أبوه يحرمه من الميراث ١١٣
- جُعيفرانُ المجنون ١١٤
- المجنون العريان يدافع عن نفسه ١١٦
- ليت عينيه سواء ١١٧
- جُعيفرانُ يمدح أبا دُلف ١١٧
- انقطاعه عن أبي دُلف ثم عودته إليه ١١٨

- ١١٩ خبيث اللسان هجاء
- ١٢٠ تذهب لتشتري البطيخ فتخلو بسائس
- ١٢١ أخبار السري ونسبه
- ١٢١ اسمه ونسبه
- ١٢١ منزلته
- ١٢١ يهجو نصيباً فلا يردّ عليه
- ١٢٢ يتنكر في ثياب الرعاة ليرى زينب
- ١٢٢ المهديّ يحفظ شعر السريّ
- ١٢٣ يشربون النبيذ وتقبل شهادتهم
- ١٢٣ خالد بن أبي أيوب الأنصاريّ يشرب
- ١٢٤ هرة تلاعب فرداً
- ١٢٥ أمة الحميد وأمة الواحد
- ١٢٥ يتمنى أن يكون مؤذناً ليرى من في السطوح
- ١٢٥ عمر بن عمرو بن عثمان يعطيه أرضاً
- ١٢٦ معبد يغني فيرق له الأسود
- ١٢٨ أخبار مسكين ونسبه
- ١٢٨ اسمه ونسبه
- ١٢٨ لماذا لُقّب مسكيناً؟
- ١٢٩ مسكين يرثي زياداً فيعارضه الفرزدق
- ١٣٠ الفرزدق ينجو من مهاجمة مسكين
- ١٣٠ أشعر ما قيل في الغيرة
- ١٣٠ معاوية يأبى أن يفرض له
- ١٣١ معاوية يفرض لمسكين وقومه
- ١٣٢ معاوية يعتذر إلى اليمن
- ١٣٢ بشر بن مروان يستحسن شعر مسكين
- ١٣٣ الفرزدق يخشى مهاجمة مسكين
- ١٣٣ كراهته لسواد لونه وقلة ماله
- ١٣٤ مسكين يدعو إلى مبايعة يزيد بن معاوية بعد أبيه
- ١٣٥ أمير المؤمنين عقيد

- بين مسكين وامرأته ١٣٥
- أخبار أبي محمد ونسبه ١٣٧
- اسمه ونسبه ١٣٧
- أبو محمد وبنوه علماء باللغة ١٣٧
- في مجلس الرشيد ١٣٨
- أبو محمد يهجو حمويه ١٣٨
- البادي أظلم ١٣٩
- سلم الخاسر يجني على نفسه ١٣٩
- هجاؤه أبا حنش الشاعر ١٤٠
- علم وأدب ١٤١
- أبو محمد يسخر من قتيبة ١٤٢
- صداقته للخليل بن أحمد ١٤٢
- يجمع بين ابن المقفع والخليل بن أحمد ١٤٣
- بين الكسائي وأبي محمد ١٤٣
- المهدي يطلب منهما أن يتناظرا في غير هذا ١٤٤
- أعرابي يقضي بين عالمين ١٤٤
- أبو محمد يهجو شيبة بن الوليد العبسي ١٤٥
- أبو محمد يهجو خلفاً الأحمر ١٤٥
- عاصم العساني لا يقضي حاجة لأبي محمد ١٤٥
- يحيى بن خالد يبعث إليه ليطلب مؤدباً لابن الرشيد ١٤٦
- جعفر يقضي له حاجته ١٤٧
- أبو محمد يسخر من أبي عبيدة ١٤٨
- يزيد بن منصور يجفوه ثم يصله ١٤٩
- خلف الأحمر يعبث بأبي محمد ١٤٩
- أبو محمد يغضب من خلف ١٥٢
- أبو محمد يهجو مواليه بني عدي ١٥٢
- الرشيد يعطيه خمسين ألف درهم لقصيدته في المأمون ١٥٣
- فرحته بالعودة ١٥٤
- فمنهم محمد بن أبي محمد ١٥٦

- أبو ظبية العُكْلِيُّ يلتمس الجدا من أبي محمد ١٥٦
- العباس بن الأحنف يتمنى بيتين لمحمد بن أبي محمد ١٥٧
- محمد بن أبي محمد يسرق من مسلم بن الوليد ١٥٨
- محمد بن أبي محمد يعتب على يونس بن الربيع ١٥٨
- محمد بن أبي محمد يقول في قنفذ ١٥٩
- محمد بن أبي محمد عند المأمون ١٥٩
- المعتصم يُعطي محمد بن أبي محمد أربعمئة دينار ١٦٠
- المأمون يحكم لمحمد بن أبي محمد بثلاثة آلاف دينار ١٦٠
- قصته مع عليا ١٦١
- عشرة آلاف درهم من المأمون لمحمد ١٦٢
- أحسن ما قيل في قديم الشراب ١٦٢
- فمن أخبار إبراهيم ١٦٥
- إبراهيم بن أبي محمد يقول في البرق ١٦٥
- شعره في سيحان ١٦٥
- يدعو ابن أخيه على شرب وغناء ١٦٦
- إلى بعض إخوانه ١٦٧
- يُعربد في مجلس المأمون ١٦٧
- هارون بن المأمون يحجبه عنه ١٦٨
- إبراهيم يكتب إلى ابنه إسحاق في غلام يألفه ١٦٨
- فضل اليزيدي يكتب إلى عمه إبراهيم فيرد عليه ١٦٩
- قوله في يحيى بن أكثم وعبادة المخنث ١٧٠
- المأمون يأمر خادمه أن يتعرض ليحيى ١٧٠
- سلعوس ١٧١
- أحمد بن محمد ١٧١
- أبو جعفر مع عريب ١٧٢
- شمس على شمس ١٧٣
- أبو جعفر يكتب رداً إلى بعض إخوانه ١٧٣
- أبو جعفر يُنشد في مجلس المأمون ١٧٣
- المأمون يغضب عليه ثم يسكن ١٧٤

- المعتصم يعشق غلامه سيما التركي ١٧٥
- ينظم ما نثره الخليفة ١٧٦
- أخبار خالد الكاتب ١٧٧
- اسمه وكنيته ١٧٧
- موسوس ١٧٧
- أول ما قيل في بناء سُرٍّ من رأى ١٧٧
- دِعبِل ينصح خالدًا ١٧٩
- خالد يهجو الحلبي الشاعر ١٧٩
- إبراهيمُ بنُ المهدي يُعْطيه ثمن منزل ١٨٠
- شعره عزيز عليه ١٨١
- سالمٌ . . . فحورب ١٨١
- غرامه بالغلّمان المرد ١٨٢
- جدّ الأدب وهزّله جدّ ١٨٣
- يا خالدُ يا باردُ ١٨٣
- يُعطى ثياباً فيخلعُها على غلام يُحبه ١٨٣
- يقول عن نفسه إنه مجنون ١٨٤
- تتنسب الشمس إلى جوهره ١٨٥
- لا يهتضم حقه ١٨٥
- شعره في صديقه العليل ١٨٦
- عندَ علي بن المعتصم ١٨٦
- ما يُبالي إذا شرب ما قال ولا من هتك ١٨٧
- لو كان ميتاً ونادته للباها ١٨٨
- أخبار المسدود ١٨٩
- اسمه وكنيته ١٨٩
- الواثق ينفيه ثم يستدعيه ١٨٩
- منَ المسدود في الأنف إلى المسدود في العين ١٩٠
- طرائف للمسدود ١٩١
- أخبار سلمة بن عيَّاش ١٩٣
- اسمه ونسبه ١٩٣

- ١٩٤ سلمةُ بن عَيَّاش يُعطي الفرزدقَ بيتاً من الشعر
- ١٩٥ سلمةُ يُحبُّ الجاريةَ بربر
- ١٩٥ سلمةُ يهزأُ بأبي حَيَّة
- ١٩٦ بربر دُرَّة الغواص
- ١٩٦ الصَّحاف والجارية جوهر
- ١٩٧ بربر تُوجِّه بجوارِيتها إلى عسكر المهديِّ
- ١٩٧ مطيع بن أياس يقول في جوهر
- ١٩٩ أخبارُ لأم جعفر
- ١٩٩ أمُ جعفر تعطي أبا العتاهية عشرة آلاف درهم
- ١٩٩ تُغفل أبا العتاهية فيذكرها
- ٢٠٠ المأمون يجفو زُبيدة
- ٢٠٠ المأمون يرقُّ لزُبيدة
- ٢٠١ لماذا تنفّس عيسى بن زينب المراكبي؟
- ٢٠٣ ذكر أيمن وأخباره
- ٢٠٣ اسمه ونسبه
- ٢٠٣ عبد الملك يحسده على قوته
- ٢٠٤ أيمن يعتزل المتنازعين
- ٢٠٥ أيمن يغضب من يحيى بن الحكم
- ٢٠٥ شعر أيمن في بني هاشم
- ٢٠٦ نعم الشفيع أيمن لهنّ
- ٢٠٦ معرفة بالنساء
- ٢٠٧ رجع الحديث إلى أخبار أيمن
- ٢٠٧ أيمن يهجر عبد العزيز بن مروان
- ٢٠٨ بشر بن مروان يُعطيه عشرة آلاف درهم
- ٢٠٨ قوله في الحرب بين غزاة وأهل العراق
- ٢١٠ أخبار حُجّية بن المضرب
- ٢١٠ حنان عائشة أم المؤمنين
- ٢١٠ يُؤثر أولاد أخيه على أولاده
- ٢١١ حجية يُحاول ردّ زينب فلا يستطيع

- ٢١٣ خبر إسحاق مع غلامه زياد
- ٢١٣ زياد لا يُراجع
- ٢١٤ إسحاق يطلب أن يغني وأن يُقال له أحسنت
- ٢١٤ إسحاق يُعتق زياداً ويزوجه
- ٢١٥ إسحاق يرثي زياداً
- ٢١٥ زياد يسقي وإسحاق يلحن
- ٢١٦ الداعي إلى الخمر
- ٢١٧ خبر لحبابة مع ابن عائشة
- ٢١٩ أخبار أبي الهندي ونسبه
- ٢١٩ اسمه ونسبه
- ٢١٩ منزلته
- ٢١٩ أبو نواس يسوق معاني أبي الهندي
- ٢١٩ شاعر آخر يأخذ معاني أبي الهندي
- ٢٢٠ أبو الهندي في الحانة
- ٢٢١ موت أبي الهندي
- ٢٢٢ نصر بن سيار يمنع أبا الهندي من الشرب في موسم الحج
- ٢٢٢ يغفر الله له
- ٢٢٣ أسرع الناس جواباً
- ٢٢٤ أخبار سعيد بن وهب
- ٢٢٤ اسمه ونسبه
- ٢٢٤ أبو العتاهية يرثيه
- ٢٢٤ توبة صادقة
- ٢٢٥ سعيد يتوعد سعيداً
- ٢٢٥ لفظ بلا معنى
- ٢٢٥ عادة لولا شواربه
- ٢٢٦ سعيد والكسائي وغلّام جميل !!
- ٢٢٦ سعيد يرثي ابنه
- ٢٢٧ حُكم وأجر
- ٢٢٨ بيتان منه ينوبان عن قصيدة

٢٢٨	رأي جعفر بن يحيى في سعيد
٢٢٩	أمانة سعيد بن وهب
٢٢٩	عُلامه يفحمه
٢٣٠	أيهما أراد سعيد؟
٢٣١	أخبار رؤية ونسبه
٢٣١	اسمه ونسبه
٢٣١	منزلته
٢٣١	يونسُ يُدافع عن رؤية
٢٣٢	رؤية أفصح عربي
٢٣٢	رؤية يؤمنُ بيوم الحساب
٢٣٢	رؤية يروي الحديث
٢٣٣	أبو مسلم يستنشد رؤية
٢٣٥	رؤية يأكل الفأر
٢٣٥	الحجاج يبعث برؤية وأبيه للقاء عبد الملك
٢٣٦	جرير يهدد والعجاج يعتذر
٢٣٦	لهجة رؤية
٢٣٦	أشعر الناس
٢٣٦	تنحّ للعجوز
٢٣٧	دار الظالمين
٢٣٧	أيّ العجاجين أنت؟
٢٣٨	كأنه نشر
٢٣٨	الأذريطوس
٢٣٩	صفة خيل
٢٣٩	جاء الخوان فارفعوا حنّانة
٢٣٩	الشعر واللغة والفصاحة
٢٤٠	أخبار عمرو بن أبي الكنّات
٢٤٠	اسمه ونسبه
٢٤٠	كنيته
٢٤٠	غناؤه يخرق السقف وتُجيبه الحيطان

- ٢٤١ يغني فيركب الناس بعضهم بعضاً
- ٢٤٢ ابن أبي الكئآت وابن عائشة
- ٢٤٣ وراء الصوت
- ٢٤٤ أخبار أسماء بن خارجة وابنته هند
- ٢٤٤ نصيحة أسماء لابنته هند
- ٢٤٥ واحدة بواحدة
- ٢٤٥ جزع هند على زوجها عبيد الله بن زياد
- ٢٤٦ بشر بن مروان يتزوجها
- ٢٤٦ الحجاج يخلف بشراً على هند
- ٢٤٧ جاء قاضياً ثم رجع دلالاً
- ٢٤٨ وأرخيت الستور
- ٢٤٨ القصر الأحمر
- ٢٤٨ الحجاج يحنّ إليها
- ٢٤٩ الحية المنطوية على صدر المرأة
- ٢٥٠ نسبة ما في هذه الأصوات من الغناء
- ٢٥١ غدوات سليمان
- ٢٥٣ أخبار السليك بن السلّكة ونسبه
- ٢٥٣ اسمه ونسبه
- ٢٥٣ أدل من قطاة
- ٢٥٣ سليك المقانب
- ٢٥٥ سليك يُغير على حيّ بني شيبان
- ٢٥٦ السليك في عكاظ
- ٢٥٦ ناقه صُرد
- ٢٥٨ أنذر قومه فكذبوه
- ٢٥٩ السليك يستجير بفكيهة
- ٢٥٩ النعمان بن عقبان يحفظ له الجميل
- ٢٦٠ مقتل السليك
- ٢٦٢ لم تفضح أباه
- ٢٦٤ أخبار أبي نُخيلة ونسبه

- اسمه ونسبه ٢٦٤
- أَبُوهُ يَنْفِيهِ عَنْ نَفْسِهِ فَيُخْرِجُ إِلَى الشَّامِ ٢٦٤
- جَبَّةُ شَبِيبٍ ٢٦٤
- أَبُو نُخَيْلَةَ يَخْشَى ابْنَ صَفْوَانَ ٢٦٥
- أَبُو نُخَيْلَةَ عِنْدَ مُسْلِمَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ٢٦٥
- الْغَلَامُ السَّعْدِيُّ أَشْعَرُ مِنَ الشَّيْخِ الْعَجَلِيِّ ٢٦٦
- الْفَرَزْدَقُ يُفْضِلُ السَّجْنَ عَلَى شَفَاعَةِ أَبِي نُخَيْلَةَ ٢٦٨
- أَبُو نُخَيْلَةَ يَهْجُو ضَيْفَهُ ٢٦٩
- كَفَّرَ هَذَا ذَاكَ ٢٧٠
- هَرَبَهُ مِنْ مَاعِزِ الْبَقَالِ ٢٧١
- يَمْدَحُ الرَّبِيعَ وَسَائِسَهُ ٢٧٢
- قَوْلُهُ فِي أَرْضٍ لَهُ ٢٧٣
- يَهْجُو شَيْبًا ثُمَّ يَمْدَحُهُ ٢٧٤
- أَبُو نُخَيْلَةَ حَسَنَةٌ مِنْ حَسَنَاتِ رَوْبَةٍ ٢٧٤
- صِلَةُ الْمَدِيحِ وَصِلَةُ الشُّبْهِ ٢٧٥
- بَيْنَ أَبِي نُخَيْلَةَ وَأُخْتِهِ ٢٧٦
- يُطَلِّقُ زَوْجَتَهُ لِأَنَّهَا وَلَدَتْ بِنْتًا ثُمَّ يُرَاجِعُهَا ٢٧٧
- أَبُو الشَّيْظَمِ يُحِبُّ الَّتِي وَصَفَهَا أَبُو نُخَيْلَةَ ٢٧٧
- أَبُو نُخَيْلَةَ يَرِثِي الْجَنِيدَ الْمَرِّيَّ ٢٧٨
- امْرَأَتُهُ تَوْنِبُهُ ٢٧٨
- لَوْلَا أَبَانٌ هَلَكَتْ نُمَيْرٌ ٢٧٩
- أَبُو نُخَيْلَةَ عَلَى بَابِ أَبِي جَعْفَرٍ ٢٧٩
- ثَوْبٌ لَجَلْدِي وَجِرٌّ لِأَيْرِي ٢٨٠
- أَبُو نُخَيْلَةَ يُتَخَمُّ مِنْ كَثْرَةِ الْأَكْلِ ٢٨٠
- يَمْدَحُ الْعَبَّاسَ وَلَا يُعْطِيهِ شَيْئًا ٢٨١
- قَصِيدَتُهُ فِي خَلْعِ مُوسَى بْنِ عِيسَى وَتَوَلِيَةِ الْمَهْدِيِّ الْعَهْدِ ٢٨٣
- قَصِيدَتُهُ يَرُويهَا الْخَدَمُ وَالْخَاصَّةُ ٢٨٥
- أَبُو جَعْفَرٍ يَصِلُهُ بِأَلْفِي دَرَاهِمٍ ٢٨٥
- قَطْرِي يَقْتُلُ أَبَا نُخَيْلَةَ وَيَسْلُخُ وَجْهَهُ ٢٨٦